

T199A

ابراهيم احسان العباسي

الكاتب والشاعر

اعداد

نقدى ابو رسلان

رسالة مقدمة الى دائرة اللغة العربية في الجامعة الاميركية في

بيروت، لنيل شهادة الماجستير • بيروت، لبنان، ايار ١٩٨٢ •

ابو اسحاق العباسي

ابو رسلان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

Abu Ishak al-Sabi' as a Writer and a Poet

ابو اسحاق الصابي - الكاتب والشاعر

By

~~Miss Nada Abu-Rislan~~
(Name of student)

Approved:

Prof. Sami Makarem

Sami M. Makarem
Advisor

Prof. Nadeem Naimy

N. Naimy
Member of Committee

Prof. Ramzi Baalbaki

R. Baalbaki
Member of Committee

Member of Committee

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: May, 1987

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Release Form

I, Nada Abu-Rislan

_____ authorize the American University
of Beirut to supply copies of my
thesis to libraries or individuals
upon request.

✓ _____ do not authorize the American
University of Beirut to supply
copies of my thesis to libraries
or individuals upon request.

Signature: Nada Abu Rislan

Date: 10/6/1987

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي ، احد اكبر كتاب الدواوين في القرن الرابع الهجري ، صابئي النحلة ، حراني الاصل ، تولى ديوان الرسائل للخليفة المطيع لله العباسي وللملك معز الدولة البويهبي وتقلده تقليدا سلطانيا ، عرف بالتشدد في احكام دينه ، وبالوقت نفسه كان حافظا للقرآن متبحرا في العلوم الاسلامية ، بالاضافة الى سواها من علوم عصره كالفلسفة وعلم النجوم . كانت علاقاته جيدة مع معاصريه من المسلمين وخاصة مع جماعة من كبرائهم ، لكن منصبه الرفيع وعلمه الغزير وسلوكه الحسن لم تحل دون تعرضه للنكبات والمحن التي عانى منها الكثير فكثر آلامه وشكواه . اما ادب الصابي فهو الادب المبني على الثقافة الغزيرة المتنوعة ، الاسلامية منها خاصة ، وذلك في الجانب الرسمي من هذا الادب او الرسائل الديوانية ، وكان المعبر عن مآسية وآلامه في الجانب الخاص منه او الرسائل الشخصية وبعض شعره .

لم تتناول ابا اسحاق الصابي اية دراسة مستقلة ، مع انه يستحق ان يفرد بدراسة وافية كونه يمثل نموذجا عاليا للكتابة الانشائية في القرن الرابع الهجري ، كما تتمثل في حياته مأساة الكاتب في هذا القرن ، لذلك رأيت ان اجعل " ابا اسحاق الصابي الكاتب والشاعر " موضوعا لاطروحتي للماجستير . وقد عمدت اولا الى التعريف بالصائبة في مقدمة لهذا البحث لانها الدين الذي ينتمي اليه ابو اسحاق ويؤ من بمقائده ، وكان لهذا اثره في سلوكه واخلاقه كما في اتجاهاته العلمية وفي مركزه في الدولة ، وعلاقاته مع الآخرين وفي نتاجه الادبي ايضا ، ثم لأن الدين الصابئي غير معروف للناس قد يسا وحديثا وهذا ما يتضح من اضطراب المصادر القديمة في التعريف به ، فجماعة الصابئية

كانت من رعايا الدولة الاسلامية، تبرأ الكثير من افرادها المراكز العالية في الدولة، والصابي
احدهم، مع انهم لا ينتصون الى دين كتابي . هذه الامور مجتمعة دفعتني الى محاولة التعريف
بعدة امور حول الصابئة : عقائدهم، ومجيئهم الى بغداد، واتصالهم بالدولة، والموقف الشرعي منهم
وغير ذلك .

بعد هذه المقدمة يتناول الفصل الاول عرض حياة الصابي وآثاره بدءاً بالتعريف بأصله
ومولده ثم يرافق تطور حياته منذ الحداثة وبداية اتجاهاته العلمية، ثم صعود نجمه وذلك
باتصاله بالمهلبى وحظوته لديه، ثم توالى النكبات بعد وفاة المهلبى التي اتبعت بحزنه لوفاة
ابنه ثم مرضه وعجزه الى حين وفاته سنة ٣٨٤ هـ . خلال هذه الحياة المديدة المتقلبة تعرف الصابي
الى شخصيات عصره المعروفة وربطته بها علاقات مختلفة منها ما هو واضح صريح ومنها ما هو مبهم
مثير للاستغراب والتساؤل وقد عرضت لعلاقاته باثنين من هذه الشخصيات هما الشريف الرضى والمصاحب
ابن عباد، استخلصت بعدها اهم ملامح شخصية الصابي واهم آرائه، ثم انتهيت الفصل الاول بالتعريف
بمؤلفاته .

اما الفصل الثاني وعنوانه الصابي الكاتب فهو مقصور على دراسة ادب الصابي النثرى
المتنثر في ناحيتين : رسائله بشكل اساسي ثم كتاب التاجي . اما رسائل الصابي فقد عرضت لانواعها
ويمكن قسمتها الى رسائل ديوانية واخرى شخصية وتتفرع من هذين القسمين تفرعات عدة . ثم عرضت لاهم
السمات التي تميز الرسالة لدى الصابي، عمدت بعد ذلك الى تحليل اثنتين منها : الاولى ديوانية
وهي رسالة فتح بغداد والثانية هزلية وهي عهد التطفيل . اما كتاب التاجي فهو كتاب في التاريخ
حاولت ابراز الوجه الادبي له لان الصابي كتب التاريخ بدعاية ادبية . وقد ارتأيت نظرا لتعدد

الشواهد ولطول الرسائل التي اعتمدتها في ابراز السمات العامة للرسالة " الصابية " ان اجعل هذه الرسائل وبعض الشواهد الاضافية في ملحق خاص في نهاية الاطروحة وذلك تخفيفا على القارىء .

اما الفصل الثالث وعنوانه الصابي الشاعر فقد تناول اولاً الشعر عند الصابي في بابين : موقف الصابي من الشعر اعتمادا على رسالة له في تفضيل الشعر على النظم ثم التعريف بموضوعات شعره يذكر فيه كل نوع شعري كتب فيه مع اعطاء نماذج على هذا النوع مرفقة بالتحليل والتعليق في احيان كثيرة ، ثانياً قيمة شعره وذلك من نواح عدة : فنية وشخصية وادبية واجتماعية . اخيراً ينتهي هذا البحث بخاتمة تعد خلاصة موجزة لاهم ما ابرزته هذه الدراسة .

فهرس المحتويات

الصفحة

	توطئة
	مقدمة : المابئة
١	الفصل الاول : حياة المابي وآثاره
٢	أصله مولده وحدائمه
١١	صعود نجسه
٤٣	محتته ونهاية امره
	علاقاته بشخصيات العصر :
١١	الشراف الرضي والماحب بن عباد
١٤٥	شخصيته وآراؤه
١٦٢	مؤلفاته
١٧٢	الفصل الثاني : المابي الكاتب
١٧٤	رسائل المابي
١٧٤	انواعها
١٧٨	السمات العامة للرسالة لدى المابي
٢٢٥	نماذج من نثرابي اسحاق المابي
٢٢٥	كتاب التاجي

المفحة

٢٨٨ الفصل الثالث : العايي الشاعر

٢٨٩ الشعر عند العايي

٢٨٩ موقف العايي من الشعر

٢٩٧ موضوعات شعره

٣٢٨ قيمة شعر العايي

٣٤٢ خاتمة

٣٤٤ ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للعايي او ذكرت اخباره

٣٤٨ لائحة بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

٣٦١ ملحق الشواهد النثرية

المقدمة

=====

الصابئة

الصابئة اسم (١) لديانة قديمة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، كما تحدثت فيها المصادر العربية القديمة ، وكتبت حولها دراسات حديثة متعددة ، ولا يزال عدد كبير من اتباع هذه الديانة يعيشون في العراق وجنوب ايران حتى اليوم (٢) ، يمارسون طقوسهم وشعائهم الدينية ، محافظين على لغتهم الخاصة وكتبهم المقدسة (٣) .
ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع (٤) . وقد اختلف المفسرون

-
- (١) انظر التفسير اللغوي القديم لهذا الاسم في المصادر التالية : محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٨١ هـ) ، ج ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل (تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، تصوير دار المعرفة ، ١٤٠٢ / ١٩٨٢) ، ج ٢ ، ص ٥٠ وشمس الدين ابن خلكان ، وفيات الاعيان (تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٨ / ١٣٨٨) ، ج ١ ، ص ٥٤ .
وابا الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب (بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ) ، مادة : صبا ، وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (مصر ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٠ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
وابا الفيض محمد بن عبد الرزاق الزبيدي ، تاج المعروس (مصر ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٦ هـ) ، مادة : صبا ، وانظر في التفسيرات الحديثة : الليدي داور ، الصابئة المندائيون (تعريب نعيم بدوي وغضبان رومي ، بغداد ، مكتبة الاندلس ، ١٩٦٩) ، مقدمة المعربين ، ص ٨ . ورشدي عليان ، الصابئون حرائيق ومندائيين (بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٧٦) ، ص ٢٦ و ٢٨ .
(٢) هنالك احصاءات رسمية تذكر عددهم . انظر كتاب السيد عبد الرزاق الحسني ، الصابئون في حاضرهم وماضيهم (دون مكان ، ١٣٩٨ / ١٩٧٨) ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٣) ر . عليان ، الصابئون ، ص ١٦ . يعرف الصابئة المعاصرون بالمندائيين . انظر حولهم كتاب عليان السابق الذكر . وداور ، الصابئة المندائيون والحسني ، الصابئون في حاضرهم وماضيهم وناجيتهم مراني ، مفاهيم صابئية مندائية (بغداد ، مطبعة شركة التايمس ، ١٩٨١) .
(٤) (٤) الآيات : ٦٢ من سورة البقرة و ٦٩ من سورة المائدة و ١٧ من سورة الحج .

في تعريف هذه الجماعة (١) ، وليس ادل على ما دار حولهم من اختلافات ما ذكره ابن كثير في تعريفه بهم حين عرض لذكر اختلاف اراء العلماء والمفسرين حولهم (٢) . هذه الاختلافات اذ بالتالي الى اختلافات الفقهاء في كيفية التعامل معهم بين من يحلل ذبايحهم والزواج منهم وبين من يقتلهم (٣) .

وقد ميزت بعض الدراسات الحديثة بين فرقتين من الصابئة هما صابئة البطائع في العراق ، ويعرفون بالمندائيين ، وصابئة حران الوثنيون (٤) ، واعتبرت ان صابئة البطائع هم المقصودون في القرآن الكريم وان ذكرهم فيه ليدل على انهم دين كتابي كاليهودية

(١) قيل انهم يعبدون الملائكة وانهم نوع من النصارى . الكشاف ، ج ١ ص ٥١ وج ٢ ص ٥٢ .
(٢) انظر عماد الدين ابن كثير ، تفسير الحافظ ابن كثير (مصر ، مطبعة المنار ، ١٣٤٣) ج ١ ص ١٨٩ - ١٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٩٠ - ١٩١ . وقد جاءت بعض التفسيرات الحديثة مختلفة عن القديمة ايضا انظر في ذلك ، سيد قطب ، في ظلال القرآن (بيروت ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ١٤٠٢ / ١٩٨٢) ج ١ ص ٧٥ وج ٢ ص ٩٤٢ .

(٤) الحسن بن الصابيون في حاضرهم وماضيهم ، ص ٦٠ و ٦٢ و ٦٣ و كراذه فور " الصابئة " ، دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة المبرية) ج ١٤ ص ٨٩ - ٩٢ . وقد تباه السعدي في مروج الذهب (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٤ / ١٩٦٤) ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، الى وجود فئتين من الصابئة : الحرائين والكيمايين ، اظهرها رجل واحد يقال له " بوداسف " وقال ان الكيمايين نوع من الصابئة " مباينون للحرائين في نحلتهن ، وديارهم بين بلاد واسط والبصرة من ارض العراق نحو البطائع والاجام " . ولابي اسحاق الصابي وصف للسكن في البطائع يقول : " محل خسيس لا يطيب مساوه " .
لثاويه والاصباح ليس بصباح القصيدة في بهجة المجالس لابي عمر بن عبد البر (تحقيق محمد مرسي الخولي ومراجعة عبد القادر القط ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ / ١٩٦٩) ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ . اما حران فمدينة قديمة في ديار مصر ، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان ، وتقع على طريق الموصل والشام والروم . يقال بناها هاران اخو ابراهيم الخليل (ويقال عمه ابو زوجته) فنسبت اليه ، وعرفت فقيل حران . والنسبة اليها حراني وكذلك حراني على غير قياس . وحران مدينة الصابئين لهم فيها اماكن مقدسة ، وتتصف هذه المدينة بقلعة الماء والشجر . انظر حولها : ابن حوقل النصيصي ، صورة الارض (ليدن ، بريل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧) ص ٢٢٦ و ابراهيم ***

والنصرانية (١) ، في حين ان الحرانيين اتخذوا لانفسهم اسم الصابئة ليستفيدوا من التسامح

الاسلامي المفروض للصابئة (٢) .

اما المصادر العربية القديمة فقد اختلفت في تعريف هذه الفئة (٣) نقتصر هنا

على عرض ما جاء في الفهرست لابن النديم والملل والنحل للشهرستاني لانهما من اهم

*** (ابن محمد الاصطخرى ، المسالك والممالك) تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ،
القااهرة (١٣٨١/١٩٦١) ، ص ٥٣ وابن الفقيه ابا بكر احمد ، ابن محمد الهمداني ،
كتاب البلدان (ليدن ، بريل ، ١٩٦٢) ، ص ١٣٢ و ابا عبد الله المقدسي البشاري ،
احسن التقاسيم (ليدن ، بريل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢) ص ١٤١ وابن جبير ،
رحلة ابن جبير (تحقيق حسين نصار ، القاهرة ، مكتبة دار مصر ، دون تاريخ) ص
٢٣٢ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣١٥ و ياقوت الرومي ، معجم البلدان (بيروت ،
دار صادر ، و دار بيروت ١٣٧٥ / ١٩٥٦) ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، و محمد بن عبد النعمان
الحيمري ، الروض المعطاء ، (تحقيق احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥)
ص ١٩١ .

(١) دارور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعربين ، ص ٨ و ١٨ و كاراده فو " الصابئة " ،
ومراني ، مفاهيم صابئية ، ص ٥٢ و ٧٤ .

(٢) دارور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعربين ، ص ١٨ و كاراده فو " الصابئة " ،
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٤ ، ص ٨٩ ، D.S. Margoliouth, "Harranians",

Encyc. of Religion and Ethics, vol.6. pp.519-520 (Newyork,
Scribner, 1955-56).

وقد اعتمد اصحاب هذا الرأي في ذلك على حكاية الصابئة مع المأمون التي ستذكر فيما بعد .

(٣) من هذه المصادر : الراغب الاصفهاني ، محاضرات الادباء (بيروت ، دار مكتبة الحياة ،
١٩٦١) ج ٤ ، ص ٤٢٢ و لسان العرب ، مادة : صبا ، و احمد بن محمد الفيومي ، المصباح
المنير (مصر ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣٠٢ هـ) ج ١ ، ص ٢٠٥ و تاج العروس ،
مادة : صبا .

المصادر (١) التي تناولت الصابئة بدراسة مستفيضة فامدتنا بفوائد كبيرة ومعلومات جيدة

عنهم .

يعرض ابن النديم لذكر غير فئة من الصابئة منهم " الصابئة الابراهيمية " الذين

آمنوا بابراهيم وحملوا عنه الصحف المنزلة (٢) . ثم يذكر حكائيتين عن الصابئة توضيح

الاولى معتقد هم الاساسي وما فرض عليهم من عبادات (٣) ، ولا يخرج ما ذكر فيها عما وصفه

الشهرستاني مفصلاً عن معتقداتهم ، وسنعود اليه فيما بعد . اما الحكاية الثانية فيقول انها نقل

عن ابي يوسف ايشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرنائيين المعروفين

في عصرنا بالصابئة تقول الحكاية " ان المأمون اجتاز في اخر ايامه بديار مضر يريد بلاد الروم

للفزو فتلقاء الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرنائيين ، وكان زعيم اذ ذاك لبس الاقبية ،

وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قره جد سنان بن ثابت . فانكر المأمون زعيمهم وقال لهم : من

انتم من الذمة ؟ فقالوا : نحن الحرنائية . فقال : انصاري انتم ؟ قالوا : لا ، قال :

فيهود انتم ؟ قالوا : لا ، قال فمجوس انتم ؟ قالوا : لا ، قال لهم : افلكم كتاب ام نبي ؟

فمجسوا في القول ، فقال لهم : فانتم اذا الزنادقة ، عبدة الاوثان ، واصحاب الرأس (٤) في

(١) يلي هذين المصدرين في الاهمية مروج الذهب للمسعودي ورسائل اخوان الصفا ونهاية الارب

للتويرى ، بالإضافة الى المصادر التي ترجمت لاعيان الصابئة كتاريخ الحكماء للقفطي وطبقات

الاطباء لابن ابي اصيبعة .

(٢) ابو الفرج ابن النديم ، الفهرست (تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٩٧١) ص ٢٤ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

(٤) ينقل ابن النديم عن ايشع النصراني صاحب هذه الرواية حكاية في الرأس غريبة وفظيعة خلط

فيها مولغها او راويها بين ايمان الصابئة بالنجوم وبين تضحيتهم بالقرايين البشرية ، وربما

كانت هي المقصودة بكلام المأمون هنا . انظر الفهرست ، ص ٣٨٦ .

ايام لالرشيد والدي وانتم حلال دماؤكم ،لاذمة لكم ،فقالوا : نحن نوؤدى
الجزية ،فقال لهم : انما تؤخذ الجزية من خالف الاسلام من اهل الاديان الذين
ذكرهم الله عز وجل في كتابه ولهم كتاب " . . . " وخير المأمون هؤلاء ، كما تقول الرواية ،
بين الدخول في الاسلام او في احد الاديان الكتابية وبين القتل ، ثم رحل الى بلد السروم ،
فغدير هؤلاء زبهم وتنصرت منهم طائفة واسلمت اخرى ، وبقيت فئة منهم في حيرة من امرهم
واضطراب ، حتى اشار عليهم فقيه من حران ان يقولوا للمأمون اذا رجع من سفره انهم
الصائبون ، " فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن " . ثم ان المأمون توفي فسي
سفرته تلك وانتحل هؤلاء هذا الاسم " لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون
بالصابئة " (١)

والملاحظ في هذه الرواية عدة امور : اولها ان المأمون لم يكن يعلم بوجود هذه
الفئة من الناس مع ما كان عليه من ثقافة ومعرفه وعلم ، ثانيا ، ان هؤلاء القوم عرفوا انفسهم
باسم الحرثانية ، وهي نسبة الى حران ، اى انهم لم ينتسبوا الى دين معين بل الى
مدينة ، ثالثا ، حاول الراوى ان يوحي بان صابئة بغداد ومنهم سنان بن ثابت ، هم من
عبدة الاوثان بقوله ان لهم " وفرات كوفرة قرة " جد سنان بن ثابت " ، رابعا ، قوله انه لم
يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة . يضاف الى هذه الملاحظات حقائق اخرى منها ان
ابن النديم انما ينقل ما وقع اليه لانه هو نفسه لا يعرف حقيقة الصابئة كما يظهر من طبيعة
عرضه لخبرهم ، ثم انه كان هنالك بعض الفئات تتعمد الاساءة الى الصابئة والنيل منهم
لما كانوا يتمتعون به من حرية ولما برز فيهم من نوابغ في الفكر والعلم (٢) ، يضاف الى ذلك جهلنا

(١) الفهرست ، ص ٣٨٥

(٢) مرانسي ، مفاهيم صابئية ، ص ٢٨٠

بأشجع النصراني الذي ينقل ابن النديم عنه . كل هذا يجعلنا نضع علامة استفهام كبيرة حول هذه الرواية ، خاصة اذا علمنا ان الصابئة الاصليين هاجروا من القدس الى حران ابتداءً من القرن الاول الميلادي (١) ، كما سوف نرى بعد قليل . يبقى ان اهم ضعف في هذه الرواية هو ما تركه من سؤال : هل كان كل الخلفاء المسلمين من عمر الى المأمون جاهلين بهذه الطائفة ، يقبلون منها الجزية دون ان يكونوا من اهل الكتاب ؟

ثم يذكر ابن النديم طائفة ثالثة من الصابئة يسميها المختلة او صابئة البطائح ، يقولون بالاعتسال ويعظمون النجوم ولهم اصنام ، ويضيف : " وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرثانيين ، وقد قيل انهم غيرهم جملة وتفصيلاً (٢) .

هكذا يتضح لنا كم في عرض ابن النديم ، وهو مجرد ناقل ، من اضطراب بالنسبة لتحديد طائفة الصابئة . على ان ما ذكره الشهرستاني عن معتقد الصابئة ، وماتوصل الى معرفته الدارسون المحدثون عنهم ، يشكل حلاً لما يضطرب في اذهانتنا من معلومات متضاربة بشأنهم ، فالدراسات الحديثة ترفع العلاقة بين الصابئة الاصليين او الموحديين وبين الحرثانيين عن مستوى التسمية الواحدة الى العلاقة الحقيقية التي نتجت عن هجرة الصابئة الحقيقيين عن موطنهم الاول في فلسطين الى مدينة حران حيث جاؤوا اهلها واشروا فيهم وتأثروا بهم (٣) . فقد جمعت حران بين هاتين الفئتين ، فتعرف الحرانيون على دين الصابئة كما تعرف هؤلاء على دين الحرانيين وفلسفتهم ، خاصة الافلاطونية الحديثة (٤) هذا التمازج ادى الى

(١) مراني ، مفاهيم صابئية ، ص ٦٦ .

(٢) الفهرست ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٣) دارور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعربين ، ص ١٣ و ١٥ و ١٦ . وانظر : مراني ، مفاهيم

صابئية ، ص ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٧١ .

(٤) دارور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعربين ، ص ١٦ - ١٧ . وقد ذكر في رسائل اخوان الصفاء ،

(بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ) ج ٤ ، ص ٢٩٥ ان من اسماء الصابئة المعروفة لدى الناس اليونانيون ، والحراسون ، والحثوفون ، وتسميتهم باليونانيين دليل وثيق على معرفتهم بالفلسفة اليونانية ، ويعرف السعدي في مروج الذهب (ج ١ ، ص ٩٥) الحرثانيين بالقول : " هم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين " . ويقول ايضا انه رأى على " باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوباً على مدقة الباب بالسرياني قولاً لافلاطون فسرّه مالك بن عقبةون **

وجود وجوه شبه كثيرة بين الديانتين ، حتى ان الشهرستاني اعتبر الحرنائية احدى فرق الصابئة .

اما الشهرستاني فقد اعاد الصابئة الى زمن ابراهيم الخليل حين اعتبر ان الفرق في زمانه كانت اثنتين : الصابئة والحنفاء (١) . ويقول ان الصابئة كانوا ينسبون عقيدتهم الى اثنين من الانبياء هم عازيمون وهرمس وهما شيك وادريس (٢) . وقد جعل الشهرستاني الصابئة في اربع فرق تتبع عقيدة واحدة ولكن بتدرج في فهمها واتباعها بين الروحانية والمادية ، ولاندري ان كان هذا التدرج زمنيا وان كانت جميع هذه الفرق فرقة واحدة كانت في ابتداء امرها تؤمن بعقيدة روحية تدرجت شيئا فشيئا الى عبادة الاصنام او عبادة الله من خلالها (٣) كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وما نعبدكم ولا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ (٤)

== وغيره منهم وهو " من عرف ذاته ناله " . (مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨) ويرى بعض المحدثين ان الحرنانيين جمعوا في ديانتهم بين الدين البابلي والهليني وبين الفلسفة الافلوطينية .
(D.S. Margoliouth , "Harranians")

- (١) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٣ .
- (٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤ . يقول الشهرستاني عن الحرنائية انهم ينسبون مقالتهم الى عازيمون وهرمس واعيانا واواذى ، ومنهم من ينتسب الى سولون جد افلاطون لأمه . (الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧) وقد ذكر ابن النديم سولون هذا ايضا (الفهرست ، ص ٣٨٣) . وقد ذكر لهم علي بن احمد ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والاهاو والنحل (مصر : المطبعة الادبية ، الطبعة الاولى ، ١٣١٧) ، ج ١ ، ص ٣٥ ، انبياء آخرين كايون واسقلانيوس ويود اسف ، وغيرهم . ويقول محمد باقر الخوانساري في روضات الجنات (تحقيق اسد الله اسماعيليان ، طهران ، مكتبة اسماعيليان ، وبيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٠ - ١٣٩٢) ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ان لهم كتبا واحكاما ينسب بعضها الى شيث وبعضها الى يحيى بن زكريا .
- (٣) يقول ابن حزم (في الفصل ، ج ١ ، ص ٣٥) ما يقرب من هذا : " وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا الى ان احدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعهم بما ذكرنا فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليفه صلى الله عليه وسلم يدين الاسلام " .

(٤) سورة الزمر (٣٩) : ٣ .

الفرقة الاولى يسميها الشهرستاني اصحاب الروحانيات (١) . ويرى هؤلاء ان

للعالم مانعا حكيمًا مقدسًا عن سمات الحدثان وانه من الواجب معرفة العجز عن الوصول

الى جلاله لذا يتقرب اليه بالمتوسطات ، وهم الروحانيون المطهرون والمقدسون عن القوى

الجسدانية والمواد الجسمانية (٢) . هذا المعتقد يحتم ضرورة تطهير النفوس عن الشهوات الطبيعية

والقوى الشهوانية والغضبية حتى يحصل مناسبة بينهم وبين الروحانيات فيسألون حاجتهم منها .

الفرقة الثانية يسميهم الشهرستاني اصحاب الهياكل ، وهؤلاء لما لم يستطيعوا التقرب

الى الروحانيات باعيانها لجأوا الى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت (٣) ، فدرسوا

احوال الكواكب وتعرفوا بيوتها ومظالمها ومغاربها ، وعملوا النجاشم والدعوات (٤) . وكان من

معرفةهم بالنجوم ان شهبروا بالسحر والطلسمات والتنجيم والتعزيم (٥) .

(١) يسميها شهاب الدين النويري "عباد الروحانيات" ، انظر كتابه نهاية الارب في فنون الادب

(القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٤٧/١٩٢٩) ، ج ١ ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(٢) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٤) اخوان الصفا ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ و الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٥) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، وانظر اخوان الصفا ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .

الفرقة الثالثة : اصحاب الاشخاص رأوا ان الكواكب التي يتقرب بها السى

الروحانيات تظهر وتنيب فشعروا بحاجة الى اشخاص وصور قائمة يعكفون عليها ويجعلونها
وسيلتهم الى الكواكب ، فيتقربون بها الى الروحانيات ويتقربون بالروحانيات الى الله . فاتخذوا اصناما
على مثال الكواكب السبعة (١) ونسوا اخرى على اسماء الجواهر الروحانية (٢) .

الخرنابية هي الفرقة الرابعة من فرق الصابئة التي ذكرها الشهرستاني وهو لا

يؤمنون بالحلول والتناسخ ويقولون ان المعبود واحد ومتعدد " اما واحد ففي الذات ، والاول ،
والاصل والازل ، واما كثير فلانه يتكسر بالاشخاص في رأى العين ، وهي المديرات السبعة والاشخاص
الارضية الخيرة ، العالمة ، الفاضلة ، فانه يظهر بها ، ويتشخص باشخاصها ، ولا تبطل وحدته
في ذاته (٣) ، وانه هو الذى ابدع الفلك وما فيه من الاجرام والكواكب . وتقول هذه الفرقة ايضا
بالتناسخ الناتج عن فكرة حدوث طبيعة الكسل في نهاية كل ستة وثلاثين الف واربعمئة وخمسة وعشرين
سنة زوجين من كل نوع من الحيوانات والانسان ذكرا وانثى ، فيبقى هذا النوع هذه المدة حتى اذا انقضت
انقطع نسل الازواج وتوالدها وابتدأ دور اخر (٤) . وهذه هي القيامة الموعودة عندهم ولا ايمان
لهم بالبعث واحياء الموتى (٥) . اما الشواب والعقاب ففي هذه الدار لافي دار اخرى (٦) .

(١) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، وقد ذكر النويرى في نهاية الارب (ج ١ ، ص ٦١ - ٦٢) هذه الهياكل

واما كتبها في العالم كالهند واليمن والصين وغيرها .

(٢) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، وقد ذكرت ايضا في مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، وهي هيكل

العلمة الاولى ، والعقل والسياسة والصورة والنفس .

(٣) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه .

وما يجد ربنا معرفته عن الصابئة ايضا كتمانهم امور دينهم حيث لا يعرف اصول عقيدتهم الا فئة قليلة منهم " قوم مخصوصون او واحد في كل زمان يحيط بذلك علما ، ويتيسر له علما " اى العلم بحركات الكواكب والافلاك وتصرف الروحانيات فيها ، والعمل بصناعة الاشخاص في مقابلة الهياكل (١) . وتحدث احدى رسائل اخوان الصفا عن كيفية ادخال الاحداث من الصابئة في الدين واسماعهم السر فتذكر ان من هذا السرنوعين : سر الرجال ويسمعه الرجال وسر النساء وتسمعه النساء ، وتقول انه يتألف من هذين السرين تأليفات كثيرة من جملتها اربعة يتضمن كل واحد منها قوانين وبراہين علم من العلوم الاربعة : الطب ، والكيمياء ، وعلم النجوم ، وعلم الطلسمات (٢) . وكان الرسالة تعطي تعليلا لبراعة ايناء هذه الطائفة في العلوم المذكورة .

اما بالنسبة للفروض الدينية فالصابئة يتفقون على اداء ثلاث صلوات يوميا (٣) ، ويحرمون لحم الخنزير والكلب والحمام وما له مقلب من الطير ، وينهون عن السكر والاختان . ويتم الزواج عندهم بولي وشهود ولا يجمعون بين امرأتين ، ولا يبيحون الطلاق (٤) . وقد فرض عليهم الصيام ثلاثين يوما متفرقة خلال السنة ويتفلسون ما يزيد على الاربعين يوما (٥) .

-
- (١) الطل والنحل ، ص ٣٣ . ويذكر ان الصابئة المعاصرين يكتنون امور دينهم حتى ليكاد الصابئي لا يعرف شيئا من اسرار الدين ، كما انهم لا يدخلون احدا من الناس في دينهم . الحسن بن الصابئون في حاضرتهم وماضيهم ، ص ١١ - ١٢ .
- (٢) اخوان الصفا ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .
- (٣) الفهرست ، ص ٣٨٣ و الطل والنحل ، ج ٢ ، ص ٧ ، ويقول ابن حزم في الفصل (ج ١ ، ص ٣٤) بأنها خمس صلوات يوميا .
- (٤) الفهرست ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ و الطل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٧ .
- (٥) انظر الفهرست ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ويقول ابن حزم انهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون الكعبة في صلاتهم (الفصل ، ج ١ ، ص ٣٤) .

هذه فكرة مجملة عن الصابئة : فرقها ومعتقداتها اعتمد فيها ايضاح ما امكن من معتقداتها واظهار طريقة تعامل المصادر معها والتي تعكس اختلاف الراى حولها نظرا لسرية تعاليمها ولمحاولات التشويه التي تعرضت لها . لكن ما لا خلاف عليه هو ان لهذه الفرقة أهمية كبيرة بالنسبة لنبوغ عدد غير قليل من ابدائها في مجالات علمية مختلفة . وقد كان معظم هؤلاء في بغداد عاصمة الدولة على صلة مباشرة مع الخليفة او الوزراء . هذه الفئة من الصابئة التي سكنت بغداد قدمت اليها من حران . ويقال ان ثابت بن قرة هو الذى وضع حجر الاساس لوجود الصابئة في بغداد (١) . فقد كان ثابت هذا صيرفيا بحران اتى بمقالة في مذهبه انكرها عليه قومه ، فاستتابوه فتاب ، ثم عاد الى القول بها مجددا ما جعلهم يسمونه من دخول الهيكل ، فخرج من حران ونزل كفرتوثا (٢) . واقام بها مدة الى ان التقاه احد القواد وهو في طريق عودته من بلاد الروم الى بغداد فاعجب بعلمه وفضله واستصحبه معه ووصله بالخليفة المعتضد (٣) .

لكن مع احتلال الصابئين مراكز مرموقة في الدولة ، وكون هؤلاء ينتمون الى ديانة غريبة ، اصبح الموقف الشرعي منهم غير واضح او ثابت ما جعل وجودهم مهددا بالزوال غير مرة . فيذكر ان الخليفة القاهر (٤) استفتى بأمرهم الامام ابا سعيد الاصطخرى قاضي قم (ت ٣٢٨ هـ)

-
- (١) الفهرست ، ص ٣٣١ وجمال الدين القفطي ، تاريخ الحكماء (تحقيق جوليوس ليرت ، ليسك ، ١٩٠٣ / ١٣٢٠) ، ص ١١٥ وموفق الدين ابن ابي اصبعة ، عيون الانبا في طبقات الاطباء (تحقيق نزار رضا ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦٥) ، ص ٢٩٥ ومحمد بن احمد الذهبي ، سير اعلام النبلاء (تحقيق علي ابو زيد ، اشرف شعيب الارنؤوط ، بيروت . مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ١٩٨٣ / ١٤٠٣) ج ١٣ ، ص ٤٨٥ .
- (٢) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣١٣ ، ويذكر ان كفرتوثا قرية كبيرة بالجزيرة الفراتية بالقرب من دار المصدر نفسه والفهرست ، ص ٣٣١ وتاريخ الحكماء ، ص ١١٥ وطبقات الاطباء ، ص ٢٩٥ .
- واعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٤٨٥ . وقد دامت خلافة المعتضد من تاريخ مبايعته سنة ٢٧٩ هـ حتى وفاته سنة ٢٨٩ هـ .
- (٤) كانت خلافة القاهر من تاريخ مبايعته سنة ٣٢٠ هـ حتى خلع وسل سنة ٣٢٢ هـ .

فافتاه يقتلهم لانه رأى انهم يخالفون اليهود والنصارى في دينهم . ويعبدون الكواكب . ولم يشن الخليفة عن عزمه الا جمعهم لمبلغ ضخم من المال كفه عنهم (١) . ويذكر ايضا ان القاهر اجهز سنان بن ثابت على الاسلام (٢) . وقد صدر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى مرسوم عن امير المؤمنين كتبه ابو اسحاق الصابي يقضي بصيانة الصابئة وحراستهم والتخلى بينهم وبين موارثهم وعدم مشاركتهم فيها (٣) .

من ابرز علماء الصابئة واعيانها من عرف من عائلتي زهرون وقره . اما عائلة زهرون التي ينتسب اليها ابو اسحاق ابراهيم الصابي . فسيتم التعريف بعلمائها وادبائها خلال دراسة حياة ابي اسحاق . واما المنتسبون الى عائلة قره فنذكر منهم اولاً : ابا الحسن ثابت بن قره (ت ٢٨٨ هـ) وكان في جملة منجمي المعتضد وحظي بمكانة مرموقة في مجلسه . وله مؤلفات (٤) . ثم ابنه ابا سعيد سنان بن ثابت (ت ٣٣١ هـ) وكان ادبياً

-
- (١) الناج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى (مصر : المطبعة الحسينية ، الطبعة الاولى دون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، وقد حدد ادم متر هذه الحادثة بحوالي سنة ٣٢٠ هـ . آدم معز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى (تحرير محمود عبد الهادى ابوريد ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ١٣٧٨ / ١٩٦٧) ، ج ١ ، ص ٨٥ .
- (٢) الفهرست ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، وتاريخ الحكماء ، ص ١٩٠ - ١٩١ ، وطبقات الاطباء ، ص ٣٠١ ، وقد كان ابو سعيد سنان بن ثابت (ت ٣٣١ هـ) ادبياً وموثقاً وطبيباً ماهراً عمل في خدمة الخلفاء المقتدر فالقاهر ثم الرازي ، توفي مسلماً وله مؤلفات وقد مهر في مهنة الطب لدرجة انه لم يكن يحق لطبيب ان يزاول مهنته الا بعد ان يمتحنه سنان ، وذلك ابتداءً من سنة ٣١٩ هـ . انظر ترجمته بالاضافة الى المصادر السابقة في احمد بن محمد مسكويه ، تجارب الامم (تحقيق هـ . ف . امدروز ، مصر : مطبعة شركة التمدن الصناعية ١٣٣٢ / ١٩١٤ - ١٣٣٤ / ١٩١٦) ، ج ١ ، ص ٤١٧ ، وياقوت الرومي ، معجم الادباء (مصر : دار المأمون ، بعناية احمد فريد رفاعي ١٩٣٦ / ١٣٥٥) ، ج ١١ ، ص ٢٦٢ .
- (٣) كاراده نو ، " الصابئة " . وينقل ادم معز الخبر عن رسائل الصابي المخطوطة بمكتبة ليدن بهولند رقم ٧٦٦ ، الورقة ٢١١ أ - ب (الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٧٧ - ٧٨) .
- (٤) كان في بدايه امره صيرفياً . له رساله في مذهب الصابئين واخرى في الطب . انظر ترجمته في : الفهرست ، ص ٣٣١ ، وتاريخ الحكماء ، ص ١١٥ ، وطبقات الاطباء ، ص ٢٩٥ ، ووفيات الاعيان .

ومؤرخها وطبيبا ماهرا (١) وابا اسحاق ابراهيم بن سنان بن ثابت (ت ٣٣٥ هـ) وكان بارعا في الهندسة وعلم النجوم وله مؤلفات (٢) . اخوه ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت (ت ٣٦٥ هـ) طبيب بارع فاضل وكتابه في التاريخ مشهور (٣) . ويذكر القفطي من افراد هذه العائلة ايضا ابا الحسن بن سنان الصابي ، وكان موجودا في حدود سنة ٤٣٩ يعمل في البيمارستان ، وله اصابات في الطب والعلاج . كما يذكر له اخا يعرف بابي الفضل بن سنان (٤) .
بالاضافه الى هذه العائلة لابد من ذكر البتاني (ت ٣١٧ هـ) بين علماء الصابئة وشهر برصد الكواكب والهندسة وحساب النجوم (٥) . وغير هؤلاء كثير (٦) .

- *** ج ١ ، ص ٣١٣ واعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٤٨٥ وروضات الجنات ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
- (١) سبقت ترجمته في هامش الصفحة ١٢ من هذا البحث .
- (٢) انظر ترجمته في : الفهرست ، ص ٣٣٢ وتاريخ الحكماء ، ص ٥٧ وطبقات الاطباء ، ص ٣٠٧ .
- (٣) خدم المتقي ثم المستكفي ثم المطيع . وكتابه في التاريخ المذكور في المتن يبدأ من سنة ٢٩٥ هـ والى حين وفاته . انظر ترجمته في الفهرست ، ص ٣٦٠ ومعجم الادباء ، ج ٧ ، ص ١٤٢ .
- وتاريخ الحكماء ، ص ١٠٩ وطبقات الاطباء ، ص ٣٠٤ وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣١٤ .
- (٤) انظر تاريخ الحكماء ، ص ٣٩٧ - ٤٠٢ .
- (٥) هو ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان . له تأليف في علم النجوم والهندسة كتاب الزيج وكتاب مطالع البروج ، وشرح اربع مقالات لبطليموس . انظر ترجمته في الفهرست ، ص ٣٤٨ .
- وتاريخ الحكماء ، ص ٢٨٠ وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٦٤ .
- (٦) نذكر منهم : ابن وصيف الصابي ، وكان طبيبا خبيرا بطب العين ورحل اليه من الاقطار (تاريخ الحكماء ، ص ٤٣٦ وطبقات الاطباء ، ص ٣١١) وهارون بن صاعد الطبيب ، وكان يعمل في البيمارستان العضدي في وقته ، وتوفي سنة ٤٤٤ هـ (تاريخ الحكماء ، ص ٣٣٨) .

الفصل الاول

حياة الصابي وأثاره

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال (١) بن إبراهيم بن زهرون بن حَبُون (٢)
سليل عائلة زهرون الصابئية التي قدمت من حرّان في زمن لم تحدده المصادر
لكنه تال بالطبع لقدم ثابت بن قرة أول من قدم بغداد من الصابئية ومهد
لتمكّنهم فيها (٣) والذي يقدر مجيئه اليها بحوالى سنة ٢٥٩ هـ (٤).
أقدم من تذكره المصادر من عائلة زهرون أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون جد أبي
إسحاق إبراهيم الكاتب (٥) . كان هذا طبيباً مشهوراً ، ترجم له القفطي
في تاريخ الحكماء وقال : "أظنه جد إبراهيم بن هلال الكاتب" (٦) ، فيما لم يذكر

- (١) المصادر التي ترجمت للصابي أو ذكرت بعض أخباره مثبتة في نهاية البحث .
- (٢) ضبط ابن خلكان اسمه بالشكل الظاهر في المتن (وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٥٢) .
وورد في بعض المصادر اسم هرون بدل زهرون (الفهرست ، ص ١٤٩ وأبو منصور
الثعالبي ، يتيمة الدهر) مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية ودار الباز للنشر ،
الطبعة الأولى ١٩٧٩ / ١٣٩٩) ، ج ٢ ص ٢٤١ . ومن المفيد الإشارة الى أن اسم
زهرون من الأسماء المقدسة لدى الصابئية المندائيين وتستدل دراور (الصابئية
المندائيون ، ص ٢٦) من وجود اسم زهرون بين أسماء علماء البلاط العباسي على
وجود صلة بين الحرانيين والمندائيين .
- (٣) راجع ص ١١ من مقدمة هذا البحث .
- (٤) كآراده نو ، " الصابئية " .
- (٥) ترجمته في تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ و طبقات الأطباء ، ص ٣٠٧ وف ، كرنكو ،
" أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون " ، دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية) ،
ج ١٤ ص ٨٨ .
- (٦) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ .

(١) ولد بالرقّة سنة ٣٨٣ هـ . وتوفي في بغداد سنة ٣٦٥ هـ ، وقيل ٣٦٩ . انظر في ترجمته :

ص ٣٠٧ وف. كرنكو؛ ثابت بن ابراهيم بن زهرون " دائرة المعارف الاسلامية

(الطبعة العربية) ج ١٤ ص ٨٨٠

(٢) يروى له القفطي وابن أبي اصيصة اخباراً تدل على براعة في الطب تقرب من حد المعجزة.

انظر تاريخ الحكماء، ص ١١١ - ١١٥ وطبقات الاطباء، ص ٣٠٧ - ٣١٠.

(۳) انظر ترجمته فی تاریخ الحکماء، ص ۳۵۰، وفکرنگو "هلال بن ابراهیم بن زهرون ابو الحسین".

دائرة المعارف الإسلامية، (الطبعة العربية)، ج ١٤، ١٤، ٨٨.

(٤) تاریخ الحكماء، ص ٣٥٠.

(٥) ابو الوفاء توزون قائد تركي رقاء المتقى لله الى رتبة امير الامراء سنة ٣٣١ فغلب على الامرفى

خلافته ثم خلعہ وسلم عینیہ سنہ ۳۳۳ھ، وایع للمستکفی باللہ . توفي توزون سنہ ۳۳۴ھ.

اخباره في مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٤ وما بعدها وتجارب الامم، ج ١، ص ٣١٥ و٣١٦ و٣١٧

[illegible]

• 183 - 13643 •

إذا ، أبو اسحاق الصابي هو ابن عائلة الأطباء هذه . اختلف في تحديد سنة ميلاده ، فذكر في ذلك تاريخان : الأول سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة (١) وذكره ياقوت معتمدا ما جاء في كتاب التاريخ لأبي الحسين هلال بن المحسن حفيد أبي اسحاق . أما التاريخ الثاني فهو سنة نيف و عشرين وثلاثمائة وقد ذكره ابن النديم أولا ونقلته كتب التراجم عنه من بعد . (٢) والرأى الأول هو الأرجح لكونه التاريخ الذي ذكره حفيده ، ثم لتاكيد تاريخ وفاته سنة ٣٨٤ هـ وأنه كان في هذه السنة قد جاوز السبعين وسنعود لذكر ذلك في الحديث حول وفاته .

لسنا نعلم من هي والدته اذ لم تذكر المصادر عنها شيئا باستثناء ما ذكره ياقوت في ترجمة ثابت بن سنان حين قال : " وقال أبو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي يرثي خاله أبا الحسن : ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة : (٣) .

اسمع انت يا من ضمه الجدف	نشيج بساك حزين دمه يكسف
وزفرة من صميم القلب مبعثها	يكاد منها حجاب الصدر ينكشف
اثابت بن سنان دعوة شهيدت	لربها انه ذو غلصة اسف
ما بال طبك ما يشفي وكنت به	تشفي العليل اذا ما شفه الدنف
غالتك غول المنايا فاستكت لها	وكنت ذائد ها والروح تختطف
فارقتنى كفراق الكف صاحبها	اطن لها ضارب من زندها نطف

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ و تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ وابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، (القاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٥٦)

ج ٤ ، ص ١٦٢ .

(٢) الفهرست ، ص ١٤٩ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣ ، وصلاح الدين الصفدى ، الوافى بالوفيات (باعتناء س . ديدرينغ ، فسادن ، فرانز شتاينر ١٩٧٢ / ١٣٩٢)

ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٧ ، ص ١٤٣ .

فتت في عضدي يا من غنيت به	افت في عضد الباغي وانتصف
ثوى بمفناك في لحد سكنت به	الدين والعقل والعليا والشرف
لهفي عليك كريما في عشيرته	ممهدا جسمه من نعمة ترف
قد اسلموه الى غبرا يشملسه	فيها التراب فمنها الفرش واللحف * (١)

نلاحظ انه لا ذكر للرابط الذي يجمع بين الاثنين فتبدوا الابيات رثاء وتأبيناً لصديق كريم. على ان هذا لا يكفي دليلاً لنفي صلة القرابة بين الاثنين كما انه لا يؤكد ها قول ياقوت ان ثابتاً خال ابي اسحاق انه ورد في مصادر اخرى (٢) ان ثابتاً بن سنان هو خال هلال حفيد ابي اسحاق وليس لدينا اي اثباتات ترجح لنا رأياً دون آخر (٣). وبناءً على ذلك نحن لانعرف حقاً ان كانت ام ابي اسحاق ابنة سنان بن ثابت او انها امرأة اخرى . ومن المؤسف ايضاً اننا لانجد فيما كتبه ابو اسحاق ذكراً لوالده باستثناء بيتين من الشعر فيهما اشارة الى الوالد من يقول :

" اسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيب

(١) معجم الادباء، ج ٧، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) تاريخ الحكماء، ص ١١٠ وطبقات الاطباء، ص ٣٠٧ .

(٣) في مقدمة رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابي جمع محقق الكتاب ميخائيل عواد ما جاء

في المصادر حول هذا الموضوع ولم يصل الى نتيجة واضحة . انظر مقدمة رسوم دار الخلافة

فاذا ما طواهما الموت عنه فهو في الناس اجنبي غريب (١)

ولسنا ندرى في اى مناسبة شعر الصابي بالغررة لفقده والديه ، ايكون ذلك حين افتقد اباها عندما كان في خدمة المهلبى (٢) وكان قد افتقد والدته من قبل ، ام ان والده قد سبق والدته الى الموت ونراه يتألم لفقد هما في زمن لانعرفه . المهم ان هذين البيتين يحويان الاشارة الوحيدة في كلام الصابي الى والدته ، وتبدو فيهما صورة الام مرتبطة بالاسرة وبفكرة الاحتضان والاطمئنان والميثر الطيب المناقضة لفكرة الغربة والوحشة .

يحيط الغموض طفولة ابي اسحاق المبكرة ولكننا نتصورها هائلة . فهو حين تحدث حول فقد والده في البيتين السابقين تحدث حول فقد الحزن الدافى والميثر الطيب والغربة الناتجة عن ذلك . ثم ان والده كان طبيبا على اتصال بالدولة وله مكانة فمن الطبيعي ان تكون حالته المادية جيدة بحيث يؤمن لابي اسحاق حياة كريمة ويرعاه بعلمه وماله ويروى عن ابي اسحاق حادثتان تعودان الى حدائثه وترتبطان بوالده ، سنثبتهما لاهمتهما في تبيان شخصية الوالد وحياة الابن . يقول ابو اسحاق في الرواية الاولى :

" رايت ابا الحسين والدى في يوم من ايام خدمته لتوزون وقد خلع عليه وحمله على بغل حسن بمركب ثقيل ووصله بخمسة الاف درهم وهو مع ذلك مشغول القلب منقسم الفكر ، فقلت له مالي اراك يا سيدى مهموما ويجب ان تكون في مثل هذا اليوم مسرورا ، فقال : يا بني هذا الرجل - يعنى توزون - جاهل يضع الاشياء في غير موضعها

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ وروضات الجنات ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبى الوزير (٢٩١ - ٣٥٢ هـ) كان في بداية امره في ضيق من العيش فاتصل بمعز الدولة البويهى وتولى له الوزارة سنة ٣٣٩ هـ . كان محبا للادباء والعلماء . انظر اخباره في : تجارب الامم ، ج ١ ص ٣٨٢ و ج ٢ ، ص ٣٤ و ٨٤ و ١٢٣ - ١٢٥ والمحسن بن علي التتوخي ، نشوار المحاضرة (تحقيق عبود الشالجي المحامي ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩١ / ١٩٧١ - ١٣٩٣ / ١٩٧٣) ج ١ ، ص ١٣٨ و اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ و معجم الادباء ، ج ١ ، ص ١١٨ و وفيات الاعيان ج ٢ ، ص ١٢٤ .

ولست افرح بما ياتيني منه من جميلة من غير معرفة . . . ولست آمن ان يستشعر
في السوء من غير استحقاق فتلحقني منه الاذية " (١) . فالرجل حكيم يعرف ان من
يعطي بنير استحقاق يسي بنير حق ، ويعلم ان التعامل مع الكبراء يعني تارة ويخفض
اخرى ، وقد كان على حق في حذره ، اذ ان توزون قد نكبه فيما بعد . (٢) ويمكن تحديد
تاريخ هذه الحثاية بين سنة ٣٣١ و ٣٣٤ اي في سني اماره توزون اذ كان قبلها مجرد
قائد من قواد الاتراك البكمية ، ولا يتصور ان يهب بهذا الشكل الا من كان في منصب
كبير كالامارة مثلا ، وحتى لو حصلت هذه الحادثة قبل تسلم توزون للامارة فلا
يكون قبلها بكثير . كما انه يكن تحديد النكبة بفترة الامارة ايضا .

اما الحكاية الثانية التي يرويها ابو اسحاق فتفسر لنا اتجاه الصابي الى الكتابة
وتركه لمهنة الطب ، مهنة اسلافه بالرغم من حرص والده على تعليمه الطب وتوجيهه
اليه . يقول الصابي : (٣) " كان والدي ابو الحسن (٤) يلزمني في الحداثة والصبي
(كذا) قراءة كتب الطب والتحلي بصناعته ، وينهاني عن التعرض لغير ذلك ، فقويت
فيها قوة شديدة ، وجعل لي برسم الخدمة في البيمارستان عشرون دينارا في كل شهر ، وكنت
اتردد الى جماعة من الرؤساء خلافة له ، ونيابة عنه ، وانا مع ذلك كاره للطب وماثل
الى قراءة كتب الادب ، كاللغة والشعر ، والنحو والرسائل والادب ، وكان اذا احسن
بهذا مني ، يعاتبني عليه ، وينهاني عنه ، ويقول : يا بني لاتعدل عن صناعة اسلافك ، فلما

(١) تاريخ الحكماء ، ص ٣٥٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٥٦ ، يروي ياقوت الحادثة نقلا عن المحسن بن ابراهيم

الصابي وعن الهلال بن المحسن حفيد .

(٤) ربما الاصح " ابو الحسين " .

كان في بعض الايام ، ورد عليه كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن اشياء كثيرة ، كلفه اياها ، ومسائل في الطب وغيره ، سأله عنها ، وكان الكتاب طويلا بليغا ، قد تأتى منشئه وتغارب ، فاجاب عن تلك المسائل ، وعمل جملا لما يريد ، وانفذها على يدي الى كاتب ، لم يكن في ذلك العصر ابلغ منه ، وسأله انشاء الجواب عنه ، قال : فضيت ، وانشأت انا الجواب ، واطلته وحررته ، وجئت به اليه ، فلما قرأه قال : يا بني سبحان الله ، ما افضل هذا الرجل وابلغه ، فقلت له : هذا من انشائي فكاد يطير فرحا وضمني اليه وقبل بين عيني ، وقال : " قد اذنت لك الان ، فامض ، فكس كاتبا " . وهكذا نجد ان التحول في حياة الصابي وانصرافه عن الطب الى الكتابة كان انصياعا لطبعه المحب للادب والشعر والنحو ، وكان ايضا برضوخ للامر الواقع من قبل والده الذي تولى عن امنيته بان يخلفه ولده في الطب ازا ، ما رآه من بلاء نفسه ومهارته في الكتابة .

جرت هذه الحادثة في حادثة الصابي وقبل نكبة توزون للعائلة . اذ اننا نرى انه بعد نكبة توزون قد اصبح الامر معكوسا . فالنكبة اتت على اموال هذه العائلة ما دفع ابا اسحاق الى الانقطاع الى النظر في العلوم لحاجته الى المال . في هذا الوقت بالذات وصف ابو اسحاق للوزير المهلبى فاستدعى عمه ابا الحسن ثابت ابن ابراهيم وطلبه منه فوعده ابو الحسن خيرا وكلم ابا اسحاق في الموضوع (١) فامتنع لانشغاله بالعلوم كما ذكرنا ، ويرى ابو اسحاق الحادثة فيقول : " فلم يزل بي ابي ، حتى حملني اليه ، فلما رآني تقبلني ، واقبل علي ، ورسم لي الملازمة " (٢) هنا نقف على منعطف في حياة الصابي يمثل تحوله الفعلي عن ممارسة الطب والعلوم

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

الى معالجة الكتابة والادب وكان اول اتصال له في هذا المجال بالوزير المهلبى
الذى عرف عنه تقديره للادب واكرامه لاصحابه ، فقد جمع فى مجلسه نخبة
من اهل الادب والكتابة (١) .

(١) يتحدث ابو حيان التوحيدى في الامتناع والمواظبة (نسخة مصورة عن نسخة حققها
احمد امين واحمد الزين ، بيروت ، وصيدا ، منشورات المكتبة العصرية ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣) ج ٣ ، ص ٢١٢ - ٢١٣
عن مجلس المهلبى فيقول : " واخر من شاهدنا ممن عرف الاصطناع ، واستحل الصنائع ،
وارتاح للذكر الطيب ، واهتز للمديح ، وطرب على نغمة السائل ، واغتم خلة المحتاج
وانتهب الكرم انتهابا ، والتهب في عشق الثناء التهابا ، ابو محمد المهلبى ، فانه
قدم قوما ونوه بهم ، ونبه على فضلهم واحوج الناظرين في امر الملك اليهم ،
والى كفايتهم ، منهم ابو الفضل العباس بن الحسين ومنهم ابن معروف القاضي
ومنهم ابو اسحاق الصابى ، وفلان وفلان " .

في الفترة الاولى لدخول ابي اسحاق الصابي في خدمة المهلبى اثبت تميزه في البلاغة والعلم مما جعل المهلبى يرفعه على جملة كتابه ويشير حسدهم له وسخطهم عليه ، " فلما كان في بعض الايام ، وردت عليه عدة كتب من جهات مختلفة ، فاستدعاني ، وسلمها الي . وذكر لي المعاني التي تتضمنها الاجوبة ، واطال القول ، فمضيت واجبت عن جميعها ، من غير ان اخل بشي* من المعاني التي ذكرها ، فقرأها حتى اتى على آخرها ، وتقدم الي في الحال باحضار دواتي والجلوس بين يديه متقدما على الجماعة ، فلزم بعضهم منزله وجدا وغضبا ، وظهر بعضهم التعاليل ، فلم ازل اتلطف وادارى ، واغضي على قوارص تليفني ، حتى صارت الجماعة اخواني واصدقائي " (١) .

ابواسحاق الذي ابتدأ حياته العملية طبيا في البطارستان انتقل الى الادب والكتابة وفتح المجال امامه باتصاله بالمهلبى . تاريخ اتصال الصابي بالمهلبى غير معروف تحديدا ولكنه كما ذكر في روايته للحادثة انها كانت في زمن قريب العهد بنكبة توزون ، والمهلبى يخاطب بالاسنان (٢) . فاذا افترضنا ان الحد الاقصى لنكبة توزون كان سنة وفاته سنة ٣٣٤ او ما قبلها بقليل ، علينا ان نفترض اذا ان اصطناع المهلبى للصابي كان في الفترة الاولى من تعيينه وزيرا اى سنة ٣٣٩ هـ (٣) او ما بعدها بقليل لان الفترة بين الحادثتين ، نكبة توزون والاتصال بالمهلبى ، كانت قريبة كما جاء في رواية الصابي .

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٣) تولى المهلبى الوزارة لمعز الدولة سنة ٣٣٩ هـ . تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، والكامل ، ج ٨ ،

ص ٤٨٥ ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

حكاية تفوق الصابي المذكورة سابقا ، قد تكررت غير مرة ، فنجده يروي حادثة
اخرى مشابهة وقعت سنة ٣٤٩ (١) فقد كان الصابي يحضر مجلسا للصابي ضم جماعة
من كتاب المهلبى وخلفائه ، وقد اخذت الجماعة نشوة الخمر ، فسود رسول من الامير معز
الدولة (٢) يطلب كتابا رسالة في الحال ، فاعتذر المهلبى بسبب سكر الكتاب
وعدم قدرتهم على ذلك في الوقت ثم سأل بعض الكتاب ان كان بإمكانه الكتابة فاعتذر ،
" ورائسي الوزير مصغيا الى القول متشوقا لما يرسمه لي في ذلك ، فقال : تكتبه
يا ابا اسحاق ؟ قلت : نعم " . فكتب ابو اسحاق الكتاب في الحال واعطاه للمهلبى
فقراء معجبا بما فيه وقال للجماعة : " هذا كتاب حسن ، دال على الكفاية البرزة ، ولو
كتبه صاحبا مرويا لكان عجبا ، فكيف اذا يكتبه منتشيا ، ولكنه كاتبي وصنيعتي ، قم
يا ابا اسحاق من موضعك ، واجلس ههنا ، حيث اجلستك الكفاية ، واوما الى جانب
ابي الغنائم ابنه ، فقبلت يده ورجله ، وشكرته ودعوت له ، وجلست بحيث اجلسني
وشرب لي سارا ، ثم استدعى حاجبه وقال : تقدم دابته الى حيث تقدم دواب خلفائي ،
ويوفى من الاكبار والاكرام ما يوفونه ، فحسبني على ذلك كل من كان حاضرا ووفوني من
الغنى حكم المساواة في المخاطبة والمعاملة ، واستشعروا عندها اسباب العداوة
والمنافسة ثم قلدني دواوين الرسائل والمظالم والمعاون ، تقليدا سلطانيا ، كتب

-
- (١) ينقل ياقوت الحادثة عن ابي علي المحسن بن ابراهيم وعن كتاب الوزراء
لابن هلال بن المحسن والرواية في معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٠ - ٦٢ .
- (٢) هو ابو الحسين احمد بن ابي شجاع بويه الملقب بمعز الدولة (٣٠٣ - ٣٥٦) . وهو واحد
ملوك الديلم استولى على بغداد سنة ٣٣٤ في خلافة المستكفي واستمر حكمه لها
احدى وعشرين سنة . ولما توفي خلفه في الملك ابنه عز الدولة بختيار . (تجارب الامم ،
ج ٢ ، صفحات متفرقة بين ص ١٤٦ وحتى ١٨٣ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٧٤) .

به عن المطبع لله الى اصحاب الاطراف " (١) .

وينقل لنا القلقشندي (٢) رواية مماثلة طلب فيها المهلي من كتابه وبينهم الصابي انشاء كتاب عن المطبع لله بنقل سنة خمسين الخراجية الى احدى وخمسين^(٣) ، وعندما عرضت النسخ على الوزير اختار كتاب ابي اسحاق ما اثار حصد الكتاب ايضا (٤) . وتنقل الرواية عن المهلي قوله يصف ابا اسحاق : " هو والله في هذا الفن اكتب اهل زمانه " (٥) .

-
- (١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٠ - ٦٢ ، وقد ذكر خبر تقليد الصابي لديوان الرسائل تقليدا سلطانيا سنة ١٠٩٤ في المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ . وكان على ديوان الرسائل حتى ذلك الوقت آل ثوابية يتوارثون هذا المنصب واخر من تولاه منهم احمد بن محمد الذي مات وهو متولي به فولي بعده الصابي (معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ٢٤٣) وانظر حول آل ثوابية : الفهرست ، ص ١٤٣ .
- ومعجم الادباء ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ وج ٧ ، ص ١٨٧ وج ١٨ ، ص ٩٦ .
- (٢) ابو العباس احمد القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩١٣ / ١٣٣١ - ١٩١٩ / ١٣٣٨) ج ١٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٣) يقول القلقشندي (صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٥٩) انه تم نقل السنة الخراجية ست وثلاثمائة الى سبع وثلاثمائة وقد وافق ذلك خلافة المطبع لله ووزارة المهلي ، وفي هذا التاريخ خطأ واضح لانه لا يوافق خلافة المطبع ووزارة المهلي . اما الرسالة المعنية ، فقد كتبت عن المطبع بنقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وهي في المختار من رسائل ابي اسحاق الصابي (تنقيح شكيب ارسلان ، بيروت ، دار النهضة الحديثة ، دون تاريخ) ص ٣٠٥ وقد جاء في نحارب الامم (ج ٢ ، ص ١٨٩) تحت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ان المهلي نقل سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين .
- (٤) صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٥) المصدر نفسه ص ٦٠ .

هذه الروايات تظهر تفوق الصابي الذي قابله المهلبى بالاكرام والانعام
ما اشار حول ابي اسحاق موجة من الحسد من سائر الكتاب ، حاول بليونته ومرونته
ان يخفف منها ويمتنع عداوة هؤلاء الحاسدين ، وقد عبر الثعالبي عن اعجاب المهلبى
بالصابى بالقول : " وكان المهلبى لا يرى الا به الدنيا ، ويحن الى براعته ،
وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في اوقات انسه " (١) .

لكن مع ان الصابي نال اعجاب المهلبى منذ بداية خدمته له حين اجلسه بين
يديه وقدمه على جماعة الكتاب ، كما في الرواية الاولى ، يلاحظ ان ترقيته الى مرتبة
صاحب الديوان لم تكن سريعة . فالفترة الزمنية التي تفصل بين دخوله في خدمة
المهلبى وبين تقلده الديوان هي عشر سنوات تقريبا ، كان المهلبى يزداد خلالها
اعجابا بالصابى واقتناعا بتميزه ما يدل عليه قوله في الرواية الثانية " ولكنه
كاتبى وصنعتسى " فهل اخر تقليد الصابي لديوان الرسائل حداثة سنه في ذلك
الوقت ، ام كونه صابيا ، ام توارث آل ثوابه لولاية هذا الديوان وكانهم مختصون
به ، حتى اذا توفي متوليهم منهم يومئذ ، احمد بن محمد ، استطاع المهلبى التعبير عن
اعجابه بابى اسحاق وتوليته هذا المنصب ؟

على كل حال ، لم يكن الصابي ليجعل قيمة ما توصل اليه من مكانة ، فهو يعلم
جيدا ما يعنيه ان يكون الفرد كاتبيا للسلطان وفي ذلك يقول مفتخرا من قصيدة (٢) :

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ . ونقلها ياقوت في معجم الادباء (ج ٢ ، ص ٢٩) كما يلي :
وكان المهلبى لا يرى الا به الدنيا ، ويحن الى براعته ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه
في اوقات انسه .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧١-٢٧٢ ومحمد بن الحسن ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية
(رئيس الكتاب رقم ٧٦٩) ، الورقة ١٤٨ (يوجد في المصدر المذكور ثلاثة ابيات
فقط) . وعبد الرحيم بن احمد العباسي ، معاهد التنصيص (تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ، بيروت ، عالم الكتب ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٧/١٣٦٧) ج ٢ ،
ص ٧٢ .

"وقد علم السلطان اني لسانه (١)
 اوازره فيما عسرى وامده
 يحدد بي نهج الهدى (٢) وهودارس
 فيمناي ينشاء ولفظي لفظه
 ولي فقر تضحي الملوك فقيرة
 ارد بها راس الجموح فينثني
 فان حاولت لطفاً فما مروق (٥)
 يسلم لي قس وسحبان وائل
 فيغضي لنشري خاطب وهو مصقع
 وكاتبه الكافي السديد الموفق
 براى يريه الشمس والليل اغسق
 ويفتح بي باب النهى (٣) وهو مخلق
 وعيني له عين بها الدهر يرمق
 اليها لدى احداثها حين تطرق (٤)
 واجعلها سوط الحرون فيعشق
 وان حاولت عنفاً فنار تالق
 ويرضى جريس مذهبي والفرزدق
 ويعنو لنظمي شاعر وهو مخلق"

هكذا الصابي يقدر نفسه ، والمهلبسي يعرف له هذه القيمة ، فتمكنت العلاقة
 بين الاثنين الى حد ان يزور المهلبسي ابا اسحاق للتمزية بوفاء والده ، ولنشبت هنا ما اخبر
 به الصابي من ذلك لانه ابلغ في تصوير هذه الزيارة ، قال ابو اسحاق (٦) : " لما توفي
 ابو الحسين هلال ابي ، جاءني ابو محمد المهلبسي معزياً به ، فحين عرفت خبره . . . "

(١) في معاهد التنصيص ج ٢ ، ص ٧٢ : " امينه " .

(٢) المصدر نفسه : " الملا " .

(٣) في المصدر نفسه : " الهدى " .

(٤) هذا البيت والبيتان التاليان هي فقط ما جاء في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) ، الورقة
 ١٤٨ أ من هذه القصيدة .

(٥) في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) : " مرقق " .

(٦) معجم الادباء ج ٢ ، ص ٣١-٣٢ ينقل الخبر عن كتاب اخبار الوزراء لهلال بن المحسن .

بادرت لتلقيه واستغفرت من الصمود ، فامتنع من الاجابة الى ذلك ، وصعد ،
وجلس ساعة يخاطبني فيها بكل ما يقوى النفس ، ويشرح الصدر ، ويصف والدي ،
ويقرظه لي بقوله . " مامات من كنت له خلفا ، ولا فقد من كنت منه عوضا ، ولقد
قررت عمن اببك بك في حياته ، وسكنت مضاجعه الى مكانك بعد وفاته .
فقبلت يده ورجليه ، واكثرت من الثناء عليه والدعاء له . وحضرتني في الحال
ثلاثة ابيات انشدته اياها ، وهي :

لو وثقنا بان عمرك يمتد	د باعمارنا قتلنا النفوسا
قد تركت الموت الزوام مغیظا	يتلظى لجرحه كيف يوسا
فعدت عندنا المصيبة نعى	باياديك وهي من قبل بوسا

ثم نهض ، واقسم علينا الا يتبعه احد منا ، وانفذ الي في بقية ذلك اليوم خمسة الاف
درهم ، فقال : استعن بهذا على امرك ، ولم يبق احد من اهل الدولة الا جاني
بعده معزيا ، ثم اجتاز بي من الغد في طيارة ووقف واستدعاني وامرني بالنزول معه ،
فبعد جهد ما تركني بقية اليوم .

تصرف المهلبى هذا يتجاوز علاقة وزير بكاتب ديوان الى علاقة صديق بصديق . فقد
مكن الصابي لنفسه في قلب هذا الرجل وعقله ببراعته وفنه وخلقته حتى اصبح بمثابة
صديق له يسراه في الملمات قريبا منه يتصرف معه تصرف النظير لاتصرف ولي الامر .
واعتمادا على الاخبار التي حملتها المصادر مقتشرة هنا وهناك ، لم نجد اى
حادثة تؤثر في العلاقة بين الاثنين وكان الحظ ابتسم للصابي منذ اتصاله بهذا الوزير

فصارت ايامه صفوا لا يكرها مكدرو صار المهلبسي في هذه الفترة موضوعا لاشعار
الصابي ، فيقول في مدحه : (١) .

" قل للوزير ابي محمد الذي قد اعجزت كل الورى اوصافه
لك في المحافل (٢) منطلق يشفي الجوى ويسوغ في اذن الاديب سلاقه
فكان لفظك لوله (٣) متخمل وكأنما آذاننا اصدافه "

وقال يمدحه ايضا : (٤) .

" وتعلقت بالرئيس الذى صر والوزير الذى غدا وزراة الـ
ارحى مهلبى سعيد الـ واذا استنطق الانامل جادات
في سطور كأنما نشرت يـ فخر لم يزل فقيرا (٥) اليها
يغترى البارع المفيد لديها (٦) لاحقا بالمقصد (٧) المستفيد
ببيان شاف ولفظ مصيب واختصار كاف ومعنى سديد "

-
- (١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ وابو اسحاق الحصرى ، زهر الاداب وثمر الالباب (تحقيق
زكى مبارك ، مصر ، ١٩٢٥) ج ١ ، ص ١٢٥ و معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
- (٢) في زهر الاداب : " المجالس " .
- (٣) في المصدر نفسه : " جوهر " .
- (٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ، والابيات الثلاثة الاخيرة في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) ،
الورقة ، ١١٤٨ .
- (٥) في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) : " اليها فقيرا " .
- (٦) في المصدر نفسه : " فصاحة " .
- (٧) في المصدر نفسه : " اليها " .
- (٨) في المصدر نفسه : " بالمقصر " .

وقال مهنثا المهلبى بعيد الفطر قصيدة منها (١) :

"أ سيدنا هنتت نعمال بالفطر
مضى الصوم قد وفيت حقه نسكه
كلفت بذكر الله فيه فلا تنزل
هجرت هجود الليل فيه تهجدا
ووقيت ماتخشاه من نوب الدهر
وفاك مكتوب المثوبة والاجر
من الله فيما ترتجيه على ذكر
وصبرا على طول القراءة للفجر
فلو نطقنا ايماننا باعتقادها
لناجتك لفظا بالدعاء والشكر"

وقد كان المهلبى يبادل له الشعرا حيانا فقد كتب له يوما : (٢) .

"برد مصيفك وافرشه بميشرة
الذكرى وان اضحى ويمعجنى
فاننى لمقام الخل ارتحل
ان تستريح وان تكنك الظلل"
ويخبرنا ابو اسحاق عن بعض نوادره مع المهلبى والتي تدل على جو التفاهم والتبسط بين
الاثنين فيقول : " واجلسنى معز الدولة لاكتب بين يديه وابو محمد المهلبى قائم
فحجبني عن الشمس فقال : كيف ترى هذا الظل ؟ فقلت : تخين . فقال : واعجبا
احسن وتسي * ، وضحك " (٣) .

وكان الصابي في هذه الفترة ولما استشعره لنفسه من مكانة قد طمحت نفسه ليكون
مدوحا من كبير شعراء العصر ، المتنبى ، شأنه في ذلك شأن الوزراء والروما ، فراسل ابنا
الطيب ، موسطا احد كبار التجار ، في ان يمدحه بقصيدة تين مقابل ان يعطيه خمسة

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٣٩ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٣٤ .

الاف درهم ، فكان جواب المتنبي الامتناع وكان في اعتذاره للصابي مادحا اذ قال :
 " والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولا اوجب علي في هذه البلاد احد
 من الحق ما اوجبت ، وان انا مدحتك ، تنكر لك الوزير ، يعني ابا محمد المهلبى ،
 وتغير عليك لانني لم امدحه ، فان كنت لاتبالي هذه الحال فانا اجيبك الى ما التمت
 وما اريد منك فضلا ولا عن شعري عوضا " ، فاقتنع الصابي بكلامه ولم يعاود الطلب (١).

هذه رواية نقلها ياقوت من خطابي علي المحسن بن ابي اسحاق الصابي نقلا عن ابي
 اسحاق نفسه ، ولكن مع ذلك نلاحظ انها تحمل في ذاتها ما يدعو الى الشك في صحتها
 فقد سبق للمتنبي ، بعد ان عاد من مصر الى بغداد (٢) ، ان امتنع عن مدح المهلبى
 الوزير ترفعا عن مدح غير الملوك فما كان من المهلبى الا ان اغرى به شعرا بغداد
 فتباروا في هجائه ، والتماجن به ، والتندر عليه ، ففارق بغداد واتصل بابي الفضل
 ابن العميد ليزيد في حلق المهلبى (٣) . كما ان الصاحب بن عباد (٤) قبل ان يستوزر

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) كانت عودته سنة ٣٥٠ بعد ان يثس من عطاء كافور الاخشيدى وهجاءه . (وفيات

الاعيان ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) اليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(٤) اسماعيل بن عباد بن العباس الملقب بالصاحب كافي الكفاة ابو القاسم (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)

كان من صفار الكتاب في بادى الامر ، كتب لابي الفضل ابن العميد ثم لمؤيد الدولة
 ابن ركن الدولة . ثم تولى له الوزارة بعد ابي الفتح ابن العميد . بعد وفاة مؤيد الدولة
 سنة ٣٧٣ وزير الصاحب لاختيه فخر الدولة الذى استولى على مملكته . ضم بلاط
 الصاحب عددا ضخما من مشاهير الادب والعلم والشعر في ذلك العصر . وللصاحب
 مؤلفات عديدة في اللغة والادب والشريعة ، ترجمته واخباره في نشوار المحاضرة ، ج ٥ ،
 ص ١٦ و ٢٢ - ٢٣ والصاحب بن عباد ، الروزنامة (تحقيق محمد حسن ال ياسين ،
 ملحق بكتاب الامثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب ، بغداد ، مكتبة النهضة ،
 الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ / ١٩٦٥) والفهرست ، ص ١٥٠ وابو حيان التوحيدى ،
مثالب الوزيرين (تحقيق ابراهيم الكيلاني ، دمشق ، دار الفكر ١٩٦١) وتجارب الامم ،
 ج ٢ ، ص ١٦٨ و اليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ و ج ٣ ، ص ١٨٨ وابو شجاع الروذراوى ، ذيل
تجارب الامم (ملحق بكتاب التجارب) ص ١٠ - ١١ و ١٦٣ - ١٦٤ و ١٧١ و ٢٦٤ - ٢٦٥ ،
 و معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ١٦٨ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، و اعلام النبلاء ، =

طمع في زيارة المتنبّي له في اصفهان ، فكتب اليه مستدعيا ، عارضا عليه مشاطرته
جميع ماله ، فلم يابه المتنبّي له ولا اجابه على كتابه او حقق له مراده ، بل قصد
حاضرة عضد الدولة بفارس ، تلك الزيارة التي قتل في طريق عودته منها . (١) .

هذه الرواية ترجح لدينا اسبقية طلب الصابي المدح من المتنبّي على استدعاء
الصاحب له ، فان كان العكس هو الصحيح وان كان الصابي الكاتب لم يهتم لما فيه
طلبه هذا من منافسة للصاحب الذي كان كاتباً في الوقت ايضا ، فكيف يغفل انه بهذا
الطلب يستعلي على وزيره وولي نعمته ، المهلب ، بل كيف يجروا بان خدمته لهذا الوزير
ان يتصل بالمتنبّي بعد ان كان المهلب قد اثار عليه الشعراء بهجونه ؟ صحيح انه
نسب الى الصابي قوله في ختام الرواية : " فتنهت على موضع الغلط ، وعلمت انه
قد نصح ، فلم اعاوده " . (٢) . وكأنه كان غافلا ، لكن هل يعقل ان يغفل الصابي
هذا الامر بعد ان صار المتنبّي مضغة تلوكها افواه شعراء بغداد المجان ؟ ثم هل يجروا
الصابي ايضا على ان يتعالى بنفسه على جميع من بالعراق من الرواساء والوزراء ليقول نقلا عن
المتنبّي انه لم يـر بالعراق من يستحق المدح غيره . والاستعلاء لم يكن يوما من صفات ابي اسحاق
بل لقد عرف دائما بالتواضع للكبراء ولا ريب نعمته بحيث كان يعد مركزه دونهم امرا واقعا ، بالاضافة
الى حذره مما قد يثير غضبهم واستياءهم منه ، هذه الامور مجتمعة تضعف من رواية ياقوت هذه وتبعث الشك

(**) ج ١٦ ، ص ٥١١ (تحقيق اكرم البوشي واشراف شعيب الارنؤوط ، روضات الجنات ، ج ٢ ،
ص ١٩ ، وخليـل مردم ، الصاحب بن عباد (دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٥١ / ١٩٣٢)
ومحمد حسن آل ياسين ، الصاحب بن عباد حياته وادبه (بغداد ، دار المعارف ،
الطبعة الاولى ، ١٣٧٦ / ١٩٥٣) وددوى طبانة ، الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم
(مصر ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٣٨٣ / ١٩٦٣) .

(١) اليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

فيها ، ومهما يكن من امرها او امر واضعها بيد وان القصد منها اظهار مكانة الصابي العالية .

لكن القدر بدأ يرسم نهاية لوجود الصابي في كنف المهلبى ، فقد حدث في سنة ٣٥٢ هـ ان انحدر المهلبى الى عمان لافتتاحها (١) بعد الحاح واصرار من معز الدولة وسنة ومدافعة ومداورة من المهلبى (٢) . وكان المهلبى قد عين ابا اسحاق خليفة له على ديوان الوزارة بالاضافة الى توليه ديوان الرسائل (٣) . وكان ان اصيب المهلبى في هذه الحملة بالعدلة التي ثقلت عليه حتى اودت بحياته (٤) ، وما ان ورد الخبر الى معز الدولة بمرض المهلبى حتى بعث احسب ثقافته يستطلع خبره واوصاه ان وصل ولقيه قد مات ، ان يقبض على امواله وعماله وكتابه ويحمل جميع ذلك الى بغداد (٥) . وهكذا جرى ، فقبض على عياله وولده ومن دخل يوما اليه مثالا

(١) ذكرت هذه الحادثة في تجارب الامم ج ٢ ص ١٩٦ والكامل ج ٨ ص ٥٤٦ ف قيل ان المهلبى سار في جيش لفتح عمان دون ذكر اية تفاصيل ، لكننا نجد في المصدرين المذكورين (تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٤٤ والكامل ج ٨ ص ٤٩٦) تحت احداث سنة ٣٤١ هـ ان يوسف بن وجيه صاحب عمان سار الى البصرة ليفتحها مستعينا بالقرامطة فحاربه المهلبى الوزير ورده عنها واسر جماعة من اصحابه ، ولذا يرجح ان يكون المهلبى قد حاول في هذه الحملة السيطرة على عمان وانتزاعها من صاحبها هذا .

(٢) معجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٢٤ وما بعدها .

(٣) اليتيمة ج ٢ ص ٢٤٣ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٤) تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٨ ومعجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٢٦ - ١٢٩ والكامل

ج ٨ ، ص ٥٤٦ - ٥٤٧ .

(٥) تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٩٧ ومعجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .

وصودروا حتى المكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجرى ما لاجسرى
مثله الا على عدد مكاشف واستغظع الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة (١) .
وكان قد سبق وفاة المهلبى ملايسات ومكاشد كانت ستودى به واصحابه الى الاعتقال
والمصادرة لو لم يموت ، فكانت وفاته سببا لصيانته عن عاجل ابتذالهم له " (٢) . ولما
كان الصابي كاتب المهلبى وخليفته في الوزارة ، كان نصيبه الاعتقال في جملة عماله (٣) .
وقد تولى الامور بعد المهلبى ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى ، وابو
الفرج محمد بن العباس بن فسانجس دون تسمية احدهما بالوزارة (٤) . فخلا الاثنان فسي
في الديوان يعاقبان اصحاب المهلبى ومنعوا الناس من الاقتراب من الباب بان امرا بتلويت ثياب

-
- (١) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .
(٢) معجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٣٠ . وقد جاء في المصدر نفسه (ص ١٢٤-١٢٩) انه سنة
٣٥١ لهج معز الدولة بذكر عمان وحدث النفس باخذها وقد اغراه بذلك بعض النقباء
فامر المهلبى بالخروج اليها فدافعه ووضع عليه من يزهد فيها ، فازداد الحاحا . فعرض
عليه المهلبى ان يستخرج له اموالا كثيرة من حاشيته تساعد على الخروج مقدرا انه
سيمكنه من مصادرة بقية الحاشية فيعفيه من الخروج ، فلم يفعل بل لح عليه في
المضي ، فانهذر المهلبى في جمادى الاخرة سنة ٣٥٢ وبقي فترة في البصرة يستعد
للخروج ، وحدث ان امتنع العسكر من ركوب البحر مما جعل معز الدولة يتهم المهلبى
بانه بعث العسكر على الشغب فكاتبه منكر عليه توقفه في البصرة . وهنا وجد اعداء
المهلبى طريقا للطعن عليه لتنكر معز الدولة له ، فأشاروا حوله الاتهامات
من انه يريد السيطرة على البصرة وان العسكر هناك والعشائر على طاعة له ، فاقتنع معز
الدولة باقاييلهم ثم اشاروا عليه بالقبض على المهلبى والاعتياض بامواله عما يقدر حصوله
من عمان ، فقال الى قولهم وبعث الى المهلبى يأمره بالعود الى مدينة السلام ، وعلم
المهلبى بالحال ورأى ان يتولى هو مصادرة نفسه واصحابه وخصومه ، هنا اصابته العلة
فانفذ معز الدولة احد ثقاته على ظاهر العيادة له وباطن الاستظهار على ماله وحاشيته
فلما توفي قبض على اسبابه وحرمه واولاده وصودروا جميعا فلم يظهر للمهلبى مال ولا ذخيرة
وسان لمعز الدولة صدقه .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٤) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ، والكامل ، ج ٨ ، ص ٥٤٧ .

من يقترب بالنفط (١) . ومن الطبيعي ان يكون الصابي قد خضع لهذه التجربة الصعبة .
لكن مع ان هذه النكبة قد جاءت عقب فترة من الاستقرار الا انها ربما لم تفاجي الصابي الذي
كان يعلم ان مهنة الكتابة لا بد ان ترتبط بالفقر والتعب . وقد كان قبل هذه النكبة
يعجب من غناه ، واستقراره مع كونه كاتباً ادبياً :

" قد كنت اعجب من مالي وكثرة

وكيف تغفل عنه حرفة الادب

حتى انشيت وهي كالغضبى تلاحظني

شزرا فلم تبق لي شيئاً من النشب

فاستيقنت انها كانت على غلط

فاستدرسته وافضت بي الى الحرب

الضب والنون قد يرجى التفاؤهما

وليس يرجى التقاء اللب والذهب " (٢)

اذا ، حدث ما توقعه الصابي من ارتباط مهنته بالفقر ومعاداتها للغنى وكان نصيبه
بالاضافة الى ذلك ان يودع السجن وهو صاحب ديوان الرسائل الذي عمد دائماً الى اداء
مهمته بامانة وصدق ، فيطلق الصابي صرخة قوية يوجهها الى الرؤساء واصحاب الامر طالباً
العدالة واضعاً اياهم امام ضمائرهم ، قائلاً : (٣) .

" يا ايها الرؤساء دعوة خدام

اوقت (٤) رسائله على التعديد

ايجوز في حكم المروءة عندكم

حبسي وطول تهددي ووعيدي ؟

قلدت ديوان الرسائل فانظروا

اعدلت في لفظي عن التسديد ؟

اعلي رفع حسام (٥) ما انشانه

فاقيم فيه ادلتي وشهودي ؟

(١) اليتيمة ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، والبيت الاخير ورد في زهر الاداب ، ج ١ ، ص ٢٤١ تاريخ كتابة
هذه القصيدة غير مذكور في المصادر لكن الارجح انه بعد هذه النكبة لانها اول نكبة فعلية
لله والمعاني الواردة في الابيات مطابقة لوضعه هذا .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ . معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٩-٣٠ ، وقد وردت بعض ابيات هذه
القصيدة في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٤) في معجم الادباء : " اريست " .

(٥) في المصدر نفسه : " حساب " .

بفصول در عندكم . (١) منضود ؟
(٢)
عبد الحميد بهن غير حميد ؟

انسيتم كتبنا شحنت فصولها
ورسائلا نفذت الى اطرافكم

ثم يصف الصابي في هذه القصيدة اخوانه الذين اوثقتهم القيود فيسمهم بالاحرار
الصناديد الذين يذلون للموكلين بهم وكأنهم عبيد . ثم ينهي قصيدته بالطلب من معتقليه نسيسان
الاحقاد مذكرا اياهم بان الحكم لا يخلد لاخذ بل يتنقل وكأنهم ضمن كلامه انذارا :

" فتفضلوا وتعطفوا وحبوا لنا
عفوا قد يم حفاظ وحقود
(٣)
عارية ليست بذات خلود "

يلاحظ ان روح الصابي في هذه القصيدة قوية فهو لا يضمن كلامه تذلا او خضوعا ، انما
يبدو صاحب حق يدافع عن حقه ، ويجاهر بالقول ان احتجازه غير جائز لانه لم يقم باى ذنب بـ
خدمهم ببلاغته وفصاحته فهو لا يستحق هذا بالمقابل ، ثم لا يلبث ان يندرهم بعدم دوام الولاية
لاحد . نبرة الصابي هذه ربما تعود الى روح الشباب الذى يسيطر على نفسه والذى يأبى الذل والهوان
وقد كان يومها في التاسعة والثلاثين من عمره . وسنجد فيما بعد تلاشي هذه الروح بعد توالي النكبات
عليه .

وسرعان ما انتهت ايام الصابي في السجن **وهنا** هو يعود الى عمله مجددا ، (٤) فنجد

(١) في معاهد التنصيص : " عنكم " .

(٢) هنا تنتهي الابيات التي نقلها ياقوت في معجم الادباء .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٤) المصدر نفسه .

يكتب رسالة الى الوزير ابي الفرج محمد بن العباس معتذرا عن خطئه ، شاكرًا الوزير
على كرمه في العفو عنه ، واصفاً حاله وحال اهله ابان الاعتقال وبعده ، طالبًا المزيد من
افضال الوزير عليه ، من هذه الرسالة : (١)

اعرف الناس ، اطال الله بقاء الوزير ، (بحاجة) (٢) من وجدها بعد فقد ها ،
وبفضل العافية من لبسها بعد التمرى منها ، وهذه حالي فيما كنت عليه عند اعراض الحظ
عني باعراضه ، وفيما صرت اليه عند اقبال السعادة علي باقبالها ، وما كنت قط ايد الله
الوزير ، على كثرة ما في من العيوب البشرية ، مأفونا في الرأي ، ولا مسيقا في الاختيار ، لكن
الثانية اضللتني في السبيل التي كنت ليلها ، وعدلت بي عن المحجة التي كنت هاد يها
وتعاضدت علي اتفاقات مردية ، وافكار مغوية ، واقوال اوحشتني بما فيه الملك ، واتستني
بما فيه الهلك ، فزلت ، وقد يزل العالم الذي لا يابريه ، وعثرت وقد يعثر الجواد الذي لا
اجاريه ، ثم احسست بالغلطة وقد اتيتها ، والورطة وقد اشفيت عليها ، فظننت لبقية من انعكاس
طالعي وتراجع حظي ، ان التلافي قد فاتني والاستدراك قد جاءني ، واستمررت في مضرتي
استمرار الجموح ، وتوقفت عن مصلحتي توقف الحرون ، حتى اوردتني المحنة محدور غايتها ،
واسلمتني الى مكروه عاقبتها ، وتقتضيتني باشراكها وحيالها ، وفرستني بانياها ومخالبتها ،
تداركني من سيدنا الوزير ، ايد الله ، عطفه الكريم ، وخلقه الرحيم ، وقلبه الشريف ، وقدره المنيف
فصفح الصفح الجميل ، ووهب الذنب الجليل ، وعفا عن قدرة واقال اعظم عشرة (٣)

(١) الرسالة كاملة في لقاح الخواطر لعلي بن يحيى بن علي (مخطوطة جامعة كمبريدج رقم

١٣٩ ٩ ٩) الورقة ٩٢ ب - ٩٣ أ .

(٢) كلمة ناقصة فعلى لاصل ، وضع مكانها ما يناسب النص .

(٣) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٢ ب .

ونستغرب هنا موقف الصابي هذا واعترافه بالزلزل والخطأ ، ونظنه نوعا من المجاملة او التواضع بغية الخلاص ، لان هذا الموقف يتعارض مع موقفه في الابيات الشعرية المذكورة سابقا والتي يثور فيها على معتقليه ، والتفسير الممكن لذلك هو العامل الزمني بين الحالين ففي اول عهده بالسجن كان نائرا متهددا ، وقد كان لا يام السجن اثرها في تليينه واخضاعه فبدأ على شي* من الذلة في هذه الرسالة .

وجاء في هذه الرسالة ايضا : "ووفق من وهب لي رضاء ، واعادني الى نراه ما في قلبي مرض ولا في اخلاصي شوب ، ولا امسي واصبح الا في ذمامه وحماه ، وتحت ظله وكنفه ولا يخطو لي قدم الا الى بابه ، ولا يتعلق لي امل باحد من المخلوقين غيره وان المنزل الذي انزلني به امتنانه وبوأني امانه لي عجب عجيبا بالدعاء له من اصاغر واكابر كانوا مستوحشين فأنسوا وسكنوا ومنزعجين فقرأوا واطمأنوا ، وقد رأيت بهم في هذه النكبة من تغير العادة وانقطاع المسادة ، وقلوص ظل النعمة ، والخروج من كل ملك وذهيرة ، ما صاروا به قذى في عيني وشجى في حلقى وغصة في صدري . وانا وهم الآن واثقون بالخلف ، منتظرون للمعوض ، قد حسن عزأؤنا عن المأخوذ واستحكمت بغيبتنا بالمأمول ، وثرأينا آثار الاقبال لائحة وعلامه واضحة فتم الله على الوزير النعم ، ووقاه النقم ، ولقاه في نفسه النفيسة وذريته الطيبة ، ما لقانيه في نفسي وذريتي من سكون الجأش واجتماع الشمل ، ووقفه في الدنيا لما يديم فوائدها ، وفي الآخرة

لما يؤمن عواقبها ، فان رأى الوزير ، ادام الله عزهم رب النعمة التي اولاهم ، والعارفة التي اسداها ، وان يظهر من جميل رأيه ما يغسل به درن الموجدة عني ، وآمن به شمس عدوى ومساءة صديقي ، فان كرمه طرق لي سعة الامل ورأيه اعلى * . (١)

لنتعرف الآن على حياة الصابي العائلية . فنحن لانعلم تاريخ زواجه كما لانعرف زوجه وكل ماتفيدنا اياه المصادر انه كان لابي اسحاق ثلاثة ابناء : ابوسعيد سنان وابو العلا صاعد وابو علي المحسن (٢) . وتفيدنا ايضا ان ابا سعيد سنانا كان اسن اولاده وقد توفي سنة ٣٨١ في حياة ابيه (٣) وان ابا سعيد هذا لم يكن نبيها . (٤)

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٣ .

(٢) معجم الادباء ، ج ١٧ ص ٨٢ . اما كنية الصابي " ابو اسحاق " فيرجح انها لاتعود لوجود ولد له بهذا الاسم ، ان انه من الملاحظ ان الاسماء في هذه العائلة ، كما فسي سواها تتردد مع الكنى فجد ابي اسحاق ابراهيم الكاتب اسمه ابو اسحاق ابراهيم ولم يذكر له ولد باسم اسحاق واسم حفيد ابي الحسين هلال مطابق لاسم والده ، وهكذا .

(٣) رسائل الصابي والشريف الرضي (تحقيق محمد يوسف نجم ، الكويت ، سلسلة التراث العربي ، ١٩٦٠ / ١٣٨٠) ص ٦٣ و معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٢ .

(٤) معجم الادباء ، ج ١٧ ص ٨٢ .

اما ابنه المحسن اصغر اولاده (١) فكان ادبيا فاضلا ، لقي الادباء والعلماء واخذ عنهم ، وكان يعرف بصاحب الشامة لوجود شامة حمراء في وجهه (٢) . ورزق المحسن سنة ٣٥٩ ابنا سماه هلالا ، اتجه ناحية الادب ايضا وسمع من العلماء ، فكان كاتباً شهيراً ومؤرخاً ثقة . اسلم في آخر عمره وله مؤلفات في الادب والتاريخ (٣) . اما ابنه الثالث صاعد فلم يرد في المصادر حوله اى ذكر باستثناء عدة بين ابنا ابي اسحاق .

(١) التذكرة الحمدونية (رئيس الكتاب رقم ٧٧٠) . الورقة ٨١ ب .

(٢) توفي سنة ٤٠١ هـ . انظر ترجمته في : معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨١ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ وهلال بن المحسن الصابي ، غزر البلاغة (تحقيق اسعد زبيان ، بيروت ، دار الكلمة ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣) مقدمة المحقق ، ص ٢١ .

(٣) توفي سنة ٤٤٨ هـ . انظر ترجمته في معجم الادباء ، ج ١٩ ، ص ٢٩٤ وفيات الاعيان ج ٦ ، ص ١٠١ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ ورسوم دار الخلافة ، مقدمة المحقق ص ٧ و غرس النعمة الصابي ، الهفوات النادرة (تحقيق صالح الاشر ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الاولى ١٣٨٧ / ١٩٦٧) ، مقدمة المحقق م ص ١٤ وغرر البلاغة ، مقدمة المحقق ، ص ٢٣ . ولهلال بن المحسن ولد نبيه هو غرس النعمة بين هلال وكان ادبيا ومؤرخا وله مؤلفات .

انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ج ٦ ، ص ١٠١ والصفدي ، الوافي بالوفيات (باعثناء س . ديدرينغ ، فسيان ، فرانزشتاينر ، ١٣٨٩ / ١٩٧٠) ج ٥ ، ص ١٦٨ ، ورسوم دار الخلافة ، مقدمة المحقق ، ص ٢١ والهفوات النادرة ، مقدمة المحقق ، ص ١٨ .

هذه المعلومات تلقي لنا بعض الضوء على حياة الصابي فتصور انه تزوج حوالي العشرين من عمره اى بحدود سنة ٣٣٣ تقريبا ، لاننا افترضنا انه ولد له المحسن اصغرا بنائه بعد اربع او ست سنوات من زواجه وان المحسن تزوج في حوالي العشرين ايضا فولد له هلال سنة ٣٥٩ كل اعتمادنا في هذه الاستنتاجات على تاريخ ميلاد هلال ، وعلى كون المحسن اصغرا بنائه ابي اسحاق كما ذكر سابقا .

يبقى ان هنالك امرا لابد من عرضه مفصلا بالنسبة لابناء ابي اسحاق وهو : هل حقا كان لابي اسحاق ثلاثة ابناء كما ذكر ؟ نستعرض الآن جملة من الحقائق :

- ١ — لم تذكر المصادر حول ابنه ابي العلا صاعد غير اسمه .
- ٢ — سنرى فيما بعد انه عندما قبض علي ابي اسحاق سنة ٣٦٧ قبض معه على ولديه ابي سعيد سنان و ابي علي المحسن (١) . لم استثنى صاعد ؟
- ٣ — سنة ٣٨١ توفي ابو سعيد سنان بن ابراهيم الصابي ، فكتب ابو اسحاق والده قصيدة في رثائه نذكر ما قاله فيها : ولئن كان في اخيك واولا د كما ما يفيض من برحائي (٢) وهو يحدد هنا اخا واحدا لسنان الذى هو المحسن . لم غاب عنه ذكر صاعد ؟ وان لم يذكر ابناءه الثلاثة في هذا البيت فلم لم يذكر صاعدا في بيت آخر من قصيدة كتب بها مسن السجى الى ابنه المحسن بين سنتي ٣٦٧ و ٣٧١ ويقول :

(١) معجم الادباء ج ١٧ ، ص ٨٢ والتذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٨١ أ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧١ .

دع المحسن يحيا فهو جوهرة جواهر الارض طرا عند ها عرض
اتركه لي واخاه ثم خذ سلبسي ومهجتني فهما مغزاي والغرض (١)

هذه الحقائق تدخل الشك في ان هاننا حول وجود ابن للصابي باسم صاعد خاصة
اذا قرأنا ما ذكره ياقوت نقلا عن ابي علي المحسن بن ابراهيم : ومن خطه (ابي المحسن) :
لابي المحسن بن سكرة الهاشمي (٢) من قصيدة الى والدي وعمي ابي العلا رحمهما
الله :

آمنوا يا بني هلال جميعا نوب الدهر والزمان المعاند
وارتقوا كيف شئتم في المعالي وانزلوا واهبطوا كل حاسد
لكم في ابي العلا عـ وصعود ببدره التم صاعد
زاد في عزكم وما زال منكم كل يوم يزيد في الصيد واحد * (٣)

كلام المحسن عن ان ابا العلا عمه يؤكده ما جاء في الابيات من عد صاعد من بني
هلال وهنا نجد انفسنا امام احتمالين : الاول ان صاعدا ابن ابي اسحاق والثاني انه
اخوه ونحن لانملك ان نرجح رأيا على آخر انما يلفتنا ما ذكره الصفدي عن ابي اسحاق حين قال :

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧١ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٨ و روضات الجنات ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٢) ابو الحسن محمد بن عبد الله (ت ٣٨٥ هـ) شاعر مشهور يعود بنسبة الى الخليفة ابي
جعفر المنصور العباسي ، شهر بقول الطرف والمجون والسخف ، وكان يقال ببغداد : ان زماننا
جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدا وما اشبههما الا بجرير والفرزدق في عصريهما .
انظر ترجمته في اليتيمة ، ج ٣ ، ص ٣ و وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٤١٠ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

" وهو كبير بيته ، واهل بيته جماعة فضلاء نبلاء " (١) وهذا يشير في ذهننا فكرة كون صاعد هذا اخا الصابي الصغير الذي كان بوصفه كبيرا للبيت ، يرعاه حتى اختلط الامر على المترجمين في عدة ابنا له . هذه مجرد فكرة والحقيقة غير معلومة ، لكن يمكن ان يضاف الى ما ذكر احتمال آخر وهو ان يكون صاعد قد توفي قبل سجن والده واخويه وبالتالي قبل وفاة اخيه . لكن عدم ذكره في اى من شعر الصابي يضعف هذا الاحتمال فوفاة اخيه مثلاً ، كانت مناسبة لتذكره من قبل والده وتذكر المه به ومع ذلك فلم يات على ذكره فيها .

وتغيب عنا اخبار الصابي فترة حتى سنة ٣٦٠ لانعرف فيها عنه شيئاً الا انه يتابع عمله اعتيادياً ، يدلنا على ذلك ما نراه من رسائل مؤرخة في هذه المرحلة .

ثم نجد الصابي يكتب رسالة الى عضد الدولة (٢) يهنئه فيها بفتح حقه ويشكره على مال

(١) الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٢) ابو شجاع فضا خسرو بن ركن الدولة (ت ٣٧٢ هـ) تسلم فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة ثم بلغ من سعة الملك والسيطرة على الملوك ما لم يبلغه احد . وكان الى جانب اهتمامه بالسياسة يتفرغ للادب . انظر في ترجمته واخباره: اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ورسوم دار الخلافة ، ص ٨٠ - ٨٥ و ٩٤ - ١٥ ووفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٥٠ . وصفحات متفرقة من تجارب الامم وخاصة ج ٢ ، ص ٣٦٣ - ٣١٥ وصفحات متفرقة من ذيل التجارب خاصة ص ٣٩ - ٦٢ .

انفذه اليه من فارس وصله سنة ٣٦٠ هـ ، (١) نقتطع منها بعض المقاطع المتعلقة بحياة الصابي والتي تظهر علاقته بعضد الدولة :

" كتابي ، اطلال الله بقاء مولانا الامير الجليل عضد الدولة ، من واسط ، يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاخر ، والامور التي يراعيها مستقيمة منتظمة ، والنعمة في ذلك تامة عامة ، وانا لابس من جميل رأيه وشريف اصطناعه ، شعارا ضامنا للصيانة ، كافيا بالوقاية ، حائلا بين النوائب وبينني ، دافعا لاحداثها عني ، اسيا لما سلف من كلومها ، جابرا لما سبق من ثلومها ، واعدة باخلاق ما اخذت ، واضعاف ما سلبت ، والحمد لله كما هو اهله ، وشخصت الى هذا الموضع ، اطلال الله بقاء مولانا الامير الجليل عضد الدولة ، متوجها الى اعمال الاهواز للخدمة فيما رسم لي والتسكع في بقية بقيت من مغارم محنتي ، ، ، ، ، (٢) .

" ووصل كتاب مولانا الامير الجليل عضد الدولة ، اطلال الله بقاء ، جوابا وفهمته ، وما اقترن به ثوابا وقبضته ، ووقع مني موقع الماء من ذي الغلة ، والشفاء من اخي العلة ، واعظمت قدر ما اختصني به ايد الله من عنايته ، وابانه من رعايته ، وجعلت ذلك جنة بيني وبين الزمان ، واثرة لي على الاضراب والاقران ، وشكرت انعامه مجتهدا محتفلا ، وادرعته مفتخرا متجسلا ، وتضاعف اغتباطي بقوة الحرمة به ، ووثاقة العصمة لديه ، وجرى ذلك عند مجرى الفرس الذي استقر

(١) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ٩٥ - ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

أصله ، واستطال فرعه ، وثبت عرقه ، وقسويت شعبه ، وأراني نفسي بصورة من استحکم في الجملة
نسبه وصار إليها منتسبه ، وحصل فيها رهنه ، وتوفر منها حظّه ، وأما نبي أن أبسط مكاتبه مواصلاً ،
وقضلي أن أبسط مأموراً متهيئاً ، وإلى الله رغبتني في إطالة بقاء مولانا ، . . . ، ولا يزيل عني ظله ،
ولا يسلبني طوله ، ولا يفجعني بالموهوب من رأيه الذي هو عوض عن كل مسلوب ، وذريعتي إلى كل
مطلوب بقدرته . ومولانا الأمير الجليل عضد الدولة ، أطال الله بقاءه ، ولي ما يراه ، ويأمره ، لا زال صائب
الرأى ، نافذ الأمر ، يمين تشريفي بالمكاتبه وتصريفني في عوارض الخدمة ، إن شاء الله . (١)

هذه الرسالة تظهر لنا أموراً مهمة في حياة الصابي منها :

أولاً : العلاقة بين الصابي وعضد الدولة الذي كان آنذاك بفارس علاقة جيدة ، فعضد الدولة
يستخدم الصابي في بعض الأمور ويرفده بالمال ، والصابي يتمسك بهذه العلاقة مع عضد الدولة
لأنه يرى في هذا الرجل القوى ملجأ له وعصمة من الأذى ، فيحمل إليه مشاكله ومتاعبه .
ثانياً : تظهر الرسالة الصابي رجلاً مجرباً ذاق مرارة الحياة وآلامها ، فروح الشباب القوى تختفي
هنا نهائياً ليظهر الصابي رازحاً تحت كلال الدهر ، فتطالعنا في الرسالة كلمات :
النوائب ، الأحداث ، الكلوم ، الثلوم ، التسكع ، المغارم ، المحنة ، ذى الغلة ، أخي العلة ،

مسلوب ، ونجد بالتحليل تركيزاً على فكرة العصمة والملجأ من جانب عضد الدولة : الصيانة ،
الوقاية ، حائلاً بين النواصب وبين دافعاء آسياء جابراً ، واعداء جنة بيني وبين الزمسان ،
قوة الحرمة ، وثاقة العصمة واستحكم في الجملة نسبة . . هاتان الفكرتان : فكرة الجرح او المحنة
او الالم تقابلها فكرة العزاء او العصمة او اللجوء ، هما المسيطران على الرسالة وتوضحان لنا
الحالة التي يعاني منها الصابي في هذه الفترة والهدف الذي يريد بلوغه ، يريد هذا الرجل
الهروب من واقعه الاليم ليعيش في كنف رجل يحترمه ويقدر ادبه ويحميه . هذه الحالة لم يكن
عرفها الصابي من قبل ، ولم تبد في رسالته الى الوزير ابي الفرج ، اذ انا ان شخصية عضد
الدولة هي التي اوجت له بهذه المعاني ، واما ان الصابي قد عرف بعد محنته مع عمال المهلب
سنة ٣٥٢ محناً جديدة وهذا هو الرأي الأرجح والذي تدل عليه الرسالة حين يقول : " متوجهاً
الى اعمال الاهواز للخدمة فيما رسم لي والتسكع في بقية بقيت من مغارم محنتي " . وهنا نسأل : مسن
نكب الصابي مجدداً ؟

اذا حاولنا ان نستوحي الجواب من التاريخ نجد انه سنة ٣٥٦ هـ ثار الديلم
والترك على عزالدولة (١) مطالبين بالاموال والمناصب كل فئة لنفسها ، مما اضطر عزالدولة
بختيار ان يضمن لهم ما طلبوا ، ولما لم يكن يستطيع ذلك عمد الى الطلب من وزراء العمل على جمع

(١) ابو منصور بختيار عزالدولة بن معزالدولة البويهية ، ولي ملكة ابيه بعد وفاته سنة ٣٥٦ ،
قتل سنة ٣٦٧ بعد معركة دارت بينه وبين ابن عمه عضد الدولة وكان في السادسة والثلاثين
من عمره . انظر اخباره في صفحات متفرقة من تجارب الامم واليمنية ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ووفيات
الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

هذا المال كيفما اتفق . فضمن أبو الفضل العباس أرضاء الجند على أن تكون الوزارة من نصيبه (١) ،
 " فآخذ في مصادرة الحاشية والزهم أموالا علم أنهم يفون بها ولا يجحف بهم " ودمر
 الأمر وأرضى الترك والدليم (٢) . والسؤال هو : ألا يجوز أن يكون الصابي من ضمن هذه الفئة
 التي صودرت ؟ والأرجح أن يكون ، لأن أمر النكبة هذه مرجح لذا كان يسعى سنة ٣٦٠ لتمديد
 ما عليه من مغارم . ونتصور أنه في هذه الفترة بالذات كتب الصابي قصيدة يشكو فيها الأيام التي
 تمر عبثا دون أن يحقق فيها رغباته كما يألم لفقره في حين يظنه الناس غنيا - وهذا شبيه بما ذكر
 أعلاه من أن الوزير ألزم الناس أموالا علم أنهم يفون بها . ويهجع الصابي اللائمة على الحظ
 الذي يتفوق على الجد والعمل فيلقى الإنسان حظه لما قدمت يداه . يقول الصابي :

وخطي من رغائبها يفوت	" وأيام تعد علي عدا
وحسبي من ظنون الناس قوت	يظن الناس لي فيها ثراء
وحالي من خصاصتها تموت	كأنني من تخاصمهم مكيين
ولكن اعيت الحيل البخوت	ولم آل اجتهدا واحتقلا
ففايته التحمل والسكوت " (٣)	إذا رام الكريم شكاة بهت

(١) تجارب الاسم ج ٢ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

ثم ان الجوال العام المسيطر على الرسالة المذكورة سابقا ، يذهب بنا الى الظن بان الصابي ربما عانى من غير نكبة في هذه الفترة وفي ذلك يقول الثعالبي انه لما خلى عنه بعد نكبته سنة ٣٥٢ هـ مع عمال المهلبى " لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع الى ان دفع في ايام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى " (١) فحياة الصابي بعد وفاة المهلبى لم تعرف الاستقرار ، وانما كانت تسير في خط يعلو ويهبط ، ونجد نقطة مميزة على هذا الخط لشدة انحدارها هي نكبته على يد عضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ والتي حددت مسير حياته بعدها في خط شبه مستقيم مع اتجاه نزولي عام .

فقد عرفنا من الرسالة المثبتة سابقا ان الصابي كان يكا تبعضد الدولة في فارس ويخد مه وعضد الدولة كان يرعاه بالمال والحماية ، وهذا ما توهمه المصادر ايضا . (٢) ونجد رواية ذكرها ياقوت (٣) تشير الى خدمة الصابي لعضد الدولة سنة ٣٦١ هـ . تقول الرواية : " كان ابو اسحاق الصابي واقفا بين يدى عضد الدولة هو بين يديه كتب قد وردت عليه من ابن سمجور ، صاحب خراسان ، وعلى رأسه غلام تركي ، حسن الوجه ، جميل الخليفة ، وكان مائلا اليه ، ورأيت الشمس اذا وجبت عليه حجبها عنها ، الى ان استتم قراءة ما كان في يده ، ثم التفت اليه ، وقال له : هل قلت شيئا يا ابراهيم ؟ فقال :

(١) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٣) معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

وقفت لتحجبني عن الشمس نفس اعز علي من نفسي
ظلت تظللني ومن عجب شمس تقنعني عن الشمس

فسر بذلك ، وطوى الكتب وجعله مجلسا للقرب ، والتقى على الجوارى الستائر ، ففنسوا به في ذلك اليوم ، وهو في الخامس من شوال سنة احدى وستين وثلاثماية .

بورود عضد الدولة الى بغداد سنة ٣٦٤هـ ، ازدادت العلاقة به وثوقا فزاد اختصاص

الصابي به وقربه منه (١) . فقد اكرمه عضد الدولة وحاضره ، ولا بد من الاشارة الى ان لقب

عضد الدولة الثاني وهو تاج الملة قد اختاره له ابو اسحاق فيروي هلال بن المحسن عن جده

ابي اسحاق قوله : " لما ورد عضد الدولة في سنة ٣٦٤ للمعاونة على الاتراك ، قال لي فسي

بعض ما تاجان بنيه ، قد عرفت يا ابا اسحاق ما كان من المم معز الدولة في منعنا من اللقب

بتاج الدولة ، وردنا عنه ، ولو جئنا نلقب الان به لقب ان يقال عضد الدولة وتاج الدولة ،

فقلت ولم لا يقال : وتاج الملة فيجمع في اللقبين بين الدولة والملة . قال : صدقت ، فلكم هذا

الامر الى ان يحضر وقته ، فلما عاد في سنة ٣٦٧ تلقب به " (٢) .

لكن هذه العلاقة الوطيدة والخدمة المخلصة حملت في ثناياها سلبات للصابي

الذي كان بصفته كاتباً ، مرتبط بالمصير بالعلاقات بين الامراء . فالعلاقات بين عضد الدولة

وعز الدولة لم تكن على ما يرام في هذه الفترة ، فقد كان عضد الدولة يطمع من وراء مساعدته

(١) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادباء ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٢) رسوم دار الخلافة ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

لعزالدة في فتنة الاتراك سنة ٣٦٤ الاستيلاء على العراق وبسط سيطرته عليه (١) .
 وكان عزالدولة قد ابتدأ في معاداة عضد الدولة من قبل بان منع صاحبه من شـرا
 الآلات والدواب التي كان يطلبها من بغداد (٢) . وربما ان الصابي كان يأمل ببقاء
 عضد الدولة ببغداد حتى تنادي في الاختصاص به مع علمه بما بينه وبين عزالدولة، ولـسـو
 حظ الصابي لم يحدث هذا . ولهذا السبب خاف الصابي من البقاء في بغداد بعد خروج
 العضد منها فعمل على الخروج معه (٣) وقيل : ان عضد الدولة طلب منه الخروج معه فعزم
 الصابي على ذلك ووعد به (٤) . لكن يبدو انه فكر في امره مليا ورأى انه ان مضى الى
 فارس سيخلف اهله في بغداد فيكون قد تسبب لهم بما اراد لنفسه النجاة منه (٥) هنا وقع

(١) تجارب الامم، ج ٢، ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٦ .

(٣) معجم الادباء، ج ٢، ص ٣٥ .

(٤) تاريخ الحكماء، ص ٧٥ .

(٥) معجم الادباء، ج ٢، ص ٣٥ و تاريخ الحكماء، ص ٧٥ . جاء في معجم الادباء (ج ٢، ص ٣٥)

" ثم علم انه متى فعل ذلك (اى خرج الى فارس) اسلم اهله وولده وتعجل منهم ما عسى
 الله ان يدفعه عنه وفهم الخبر في دائرة المعارف الاسلامية انه يخاف من ان يسلم اهله
 وولده اى يدخلوا في الاسلام، وليس هذا المقصود بدليل ما جاء في الجملة التي تلي: كـرـنـكـو
 الصابي ابو اسحاق ابراهيم بن هلال " دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة العربية ، ج ١٤ ،
 ص ٨٣ - ٨٥ .

الصابي في حيرة من امره بين البقاء والذهاب وهو يتصور النكبة نصب عينيه . لكن عضد الدولة *
العصمة والملجأ حل له هذه القضية بان ذكره في الاتفاق واليمين التي كتبت بينه وبين
عزالدولة وعمدة الدولة اخيه ، فشرط عليهما حراسته في نفسه وماله (١) .
لكن ذلك لم يكن ليطمئن الصابي لعزالدولة ووزيره ابن بقية (٢) ، فما ان مضى عضد
الدولة الى فارس حتى استنار ابواسحاق واستمر على ذلك مدة (٣) ، وكتب ابواسحاق مصورا نفسه
في الاستنار من قصيدة : (٤) .

(١) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادباء ، ج ٢ ص ٣٦ الخبر في ذيل التجارب : بينه

وبين عزالدولة وعمدتها اخيه واليمين التي حلفا بها " وفي معجم الادباء " بينه وبين عزالدولة
وعهد به اليه ، واليمين التي حلفا بها وشرط عليهما " . ووضح ان عهد به اليه " تحريف لعمدتها
اخيه لان سياق الجملة " حلفا بها وشرط عليهما " يدل على ان المقصود اثنان لا واحد . وعمدة
الدولة هو ابواسحاق ابراهيم بن معزالدولة ، لقب سنة ٣٦٢ . (تجارب الامم ج ٢ ، ص ٣١٢) .

(٢) ابو طاهر محمد بن محمد بن بقية ، لقب نصير الدولة ، وزير لعزالدولة سنة ٣٦٢ . وكان
قبيل ذلك صاحب مطبخ معزالدولة . عمل على تأجيج الخلاف بين عزالدولة وعضد الدولة
فسلمت عيناه سنة ٣٦٦ ولما ملك عضد الدولة بغداد القى تحت ارجل الفيلة حتى قتل
ثم صلب . انظر ترجمته في وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١١٨ وفي صفحات متفرقة من تجارب الامم
خاصة ج ٢ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ و ٣١٠ - ٣١٤ و ٣٥٤ - ٣٥٨ .

(٣) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٤) اليثيمة ، ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ والبيتان الثاني والثالث في معاهد التصحيح ، ج ٢ ص ٧٤ .

" ليس لي منجد على ما اقا سي من كروبي سوى العلیم السميع
 د فتری مؤنسي وفکری سمیری ویدی خادمی وحلمی ضجیمی
 ولسانی سیفی وبطشی قریضی ودواتی غیثی ودرجی ربیعی
 اتعاطی شجاعة ادعیها فی القوافی لقلبی المصدوع
 بمقال اعز من لیث غاب وفعال اذل من یرسوع
 كلما هر فی جوارى هر کاد یفضی الی فوادى المروع
 وانا اجتاز فی السطوح فمن قب ل قبوع الجرذان منه قبوعی "

وهكذا استمر الصابي في استنصاره هذا حتى توسط ابو محمد بن معروف القاضي بامرره ،
 واستأن له من عزالدولة بختيار ووزيره ابن بقیة واخذ عليهما العهد بعدم التعرض له (١) ،
 وقد كتب له الامان ابن بقیة بيد (٢) . فظهر الصابي وترك مدة قصيرة ثم قبض عليه بسعاية
 ابن السراج به (٣) . ويبدو ان ابن بقیة وعد ابا اسحاق بالافراج عنه ثم اخر ذلك ، (٤)
 فكتب ابو اسحاق ابیاتا شعرية وانفذها اليه وهو في حضرة الامير عزالدولة .

(١) ذيل التجارب ، ص ٢١ ومعجم الادب ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٢) معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٦٦ . ينقل عن الهلال بن المحسن .

(٣) ذيل التجارب ، ص ٢١ ، وابن السراج هو ابو نصر ابراهيم بن يوسف * وهو من الاشرار

المعروفين بالسعاية ، قد جمع المكسب الخبيث مالا عظيما واعقد ضياعا جليلا * تجارب
الامم ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٤) نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، والنوخي يروي الخبر نقلا عن ابي اسحاق . وقد عسل =

قال فيها : (١)

(٢)

" الا يا نصير الدين والدولة الذي رددت اليها العزائم فارتد "

اي عجزك استخلاص عبدك بعدما تخلصت مولاك الذي انت عبده ؟ (٣)

هذه النكبة كانت قاسية على الصابي حيث جرى له فيها " خطوب اشقى فيها على نهب

النفوس " (٤) .

لكن امر ابن السراج قد فسد مع ابن بقية، وكان في ذلك الفرج لابي اسحاق فقبض

على ابن السراج " ونقل القيد من رجل ابي اسحاق الى رجله " ، (٥) وحكاية ذلك ان ابن

بقية مرض مرضا شديدا حتى فقد الامل من شفائه ، فكان ابن السراج يوغر صدره بختيار عليه

(**) هلال بن المحسن اجمال ابن بقية للصابي " لحق كان قد اوجبه عليه ايام كون عضد الدولة بيفدان " معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(١) الابيات في نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٢١٢ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٢) في نشوار المحاضرة : ايا ناصرا للدين والدولة التي .

(٣) في هذا البيت اشارة الى استخلاص ابن بقية لبختيار حين اعتقاله عضد الدولة سنة ٣٦٤ .

(٤) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٥) ذيل التجارب ، ص ٢١ - ٢٢ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

ويزين له القبض على عماله ومصادرتهم فلما تعاسك ابن بقية بعد عدة ايام من مرضه علم ما فعل ابن السراج فقبض عليه وعرض لاصناف العذاب حتى مات ، وكان ذلك سنة ٣٦٤ (١) .

عاد الصابي بعد هذه الازمة الى خدمة عزالدولة ، (٢) بعد ان استخلفه ابن بقية لدى الافراج عنه بان يعرفه ما يريد عليه من كتب عضدالدولة ويسلم اليه من يجيئه من رسله (٣) . وهكذا استمرت حياة الصابي تسير بشكلها العادي حتى سنة ٣٦٧ وهي السنة التي احتل فيها عضد الدولة بغداد ، والتي تشكل منعطفًا خطيرا في حياة الصابي ، انها سنة المحنة وبداية الطريق نحو النهاية .

(١) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٢١ - ٢٢ ومعجم الادباء ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٣) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٤ .

محتته ونهاية أمره

كان الصابي وثيق الارتباط بعجلة السياسة لكونه كاتباً للديوان ، كما ذكرنا من قبل
وهاهي الموازين تتقلب الآن ، ففي سنة ٣٦٥ مرض ركن الدولة (١) ، فخاف ابنه عضد الدولة ،
بعد الوحشة بينه وبين أبيه الذي لم يرض عن استيلائه على بغداد سنة ٣٦٤ وانتزاعها من ابن
عمه عز الدولة ، انه ان مات والده ، توزع ملكه وضاع ، فوسط لديه أبا الفتح ابن العميد (٢)
في أن يزيل الوحشة بين الاثنين وأن يجعله ولي عهد ، نظراً لأنه أكبر أولاد ، واقدراً هم
وانجبهم ، فاقترح ركن الدولة بذلك ، وقر رأيهم عليه . فمضى ركن الدولة إلى أصفهان
واستدعى أبناءه الثلاثة : فخر الدولة (علي) وموید الدولة (بويه) وعضد الدولة
(فناخسرو) ، وجرى احتفال حضره الأمراء والقواد والحاشية وأعلن ركن الدولة

(١) أبو علي الحسن بن بويه الديلمي الملقب بركن الدولة ، صاحب أصفهان والري وهمدان
كان ملكاً جليلاً القدر ، عالي الهمة استوزر أبا الفضل بن العميد ولما توفي استوزر ابنه
أبا الفتح توفي سنة ٣٦٦ هـ ترجمته في صفحات متفرقة من تجارب الأمم ووفيات الأعيان

ج ٢ ، ص ١١٨ .

(٢) علي بن محمد بن الحسين ، أبو الفتح بن العميد ، ملقب بذي الكفایتين ، وزير لركن الدولة
ثم لابنه موید الدولة . كان أدبياً فاضلاً بليفاً . قبض عليه سنة ٣٦٦ فسلم وعذب
ثم قتل . انظر ترجمته في صفحات متفرقة من تجارب الأمم واليتمية ج ٣ ، ص ١٨١ ومعجم

الأدباء ، ج ١٤ ، ص ١٩١ .

فيه عضد الدولة وليا لعهد ه وخليفته على ممالكه واخوته خلفاءه في الاعمال التي رتبهم فيها . وقد اعترف له الاخوان بذلك . لكن عزالدولة بختيار عمد اولا الى اصلاح امره مع عضد الدولة بوساطة عمه ركن الدولة ثم عمل سرا على تجميع القوى لمكاشفة عضد الدولة العدا والاستقلال عنه يساعد ه في ذلك وزيره ابن بقية . ولما اعلن بختيار الحرب على عضد الدولة ، انفض من حوله من كان وعد ه بالنصرة فهزمه وخير بين الطاعة لعضد الدولة المقرونة بالسلامة او الحرب فاختر السلام وخلع عليه عضد الدولة وزود ه بالنفقة ، لكنه عاد وانقلب عليه فحارب ه مجددا في شوال سنة ٣٦٧ في موقعة قصر الجص ، فاسر بختيار فيها ثم قتل ومضى عضد الدولة بعد المعركة الى الموصل لافتتاحها . (١) هذا الاستطراء في ذكر العلاقة بين عضد الدولة وعزالدولة ضروري لفهم المسرح والارضية التي يتحرك عليها ابواسحاق هوالتي تتميز بتعقيد لم يستطع تجاوزه ، مما ادى الى سقوطه .

اناء بعد حرب مع بختيار ورد عضد الدولة بغداد . صحيح ان اباسحاق كاتب بختيار كان على علاقة جيدة سابقا مع عضد الدولة وانه كان مكرما لديه الا ان الخوف دب في قلبه من امكان نكبة عضد الدولة له . فلما حصل عضد الدولة بواسطة خرج الصابي الى ابي سعد بهرام بن اردشير كاتب عضد الدولة فسأله اجراء ذكره عنده وطلب امان له ، تسكن اليه نفسه وكتب على يده كتابا الى عضد الدولة (٣) ، جاء في جوابه :

(١) انظر تفصيل ذلك في تجارب الامم ج ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٨٢ .

(٢) ذيل التحارب ، ص ٢٢ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

... " ومن كانت به حاجة الى اقامة معذرة ، واستقالة من عثرة او الاستظهار

في مثل هذه الاحوال بوثيقة كانت مستغن عن ذلك ، بسايقته في الخدمة ، ومنزلتك من الثقة ، وموقفك . لدينا من الخصوص والزلفه وذكر ابو سعد - اعزه الله التماسك امانا ، فقد بذلناه لك على غناك عنه ، وانت آمن على نفسك ، ودامك هو شعرك ، وبشرک ، واهلك ، وولدك وسائر ماتحويه يدك ، حال في كل حال بكنف الاثرة والخصوص ، والاحسان والقبول عندنا ، محروس في جاهك وموقفك ، وحالك فاسكن الى ذلك واعتمده ، ولعلك علينا الوفاء به عهد الله وميثاقه " . (١)

هكذا ارتاحت نفس ابي اسحاق قليلا وقد هيا له هذا الامان ان يخرج بنفسه لاستقبال هضاد الدولة وخدمته . (٢) واصبح ابو اسحاق الان خائفا على داره الشاطئة (٣) ان يدخلها الترك لانه ممن حواشي بختيار فطلب من هضاد الدولة ان يرسل من يحرسها فانفذ معه نقيباً يتحدث ابو اسحاق عن ذلك قائلاً : " وتقدمت عائداً ، والنقيب معي ، فكان يمضي اكثر النهار في اشغاله ، فاتفق ان هجم على الدار احد القواد الاكابر وطرح اصحابه احمالهم وفرشوا فرشهم

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٥٣ .

(٣) يقول هلال بن المحسن في تاريخ الوزراء (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤) ص ٢٨٨ : " وكان ابو اسحاق ابراهيم بن هلال جدي ابتاع دار عبید الله بن القاسم من ابي الحسن ابن عمرو الشرايبي حاجب الخلافة بخمسة الاف دينار ، وكانت مستاتها طاعة في دجلة لا يفارقها الماء في سائر اوقات السنة " .

وربطوا دوابهم وتقدموا اليها بالانتقال ، فأيسنا من دورنا ومضى غلmani يطلبون النقيب
فلما حضر سلم على القائد وقبل يده ووقف بين يديه واخذ يحادثه ثم قال له الديلمي : فيم
جئت ؟ قال : انغذني الملك لا حفظ هذه الدور ممن يتعرض لها فقال له : هذا كاتب من
اصحاب بختيار فأى شيء بينه وبين الملك ؟ قال : كان يخدمه وله موضع عنده . قال ابو
اسحاق : فوالله ما استتم النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمي ورمى بكرسيه كان جالسا
عليه ، وقال لغلmanه : ارفعوا . وركب في الحال وخرجوا بعده (١)

وظلت مكانة الصابي محفوظة وحظه من العيش موفورا ، فيروى عنه حكايته لمجلس انس
حضره مع عضد الدولة بعد وقعة قصر الجص ومقتل عزالدولة ، ووصفه لما غني فيه ولطرب عضد
الدولة للغنم . (٢) ثم ان عضد الدولة وبعد مضيهِ الى الموصل لمحاربة صاحبها
عدة الدولة ابي تغلب بن حمدان ، (٣) حليف بختيار في حربه ضد عضد الدولة كتب الى ابي
اسحاق مخبرا بانتصاره في المعركة . نستدل على ذلك من وجود جوابين كتبهما ابو اسحاق

(١) ذيل التجارب ، ص ٥٣ .

(٢) البهوات النادرة ، ص ١٤ - ١٥ .

(٣) هو الفضنفر بن ناصر الدولة ، صاحب الموصل ، اراد احتلال بغداد لما رأى ضعف
بختيار فخالفه ابوه في ذلك وانتشر نظام عائلتهم ، لما حاربه عضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ هرب
الى الشام ثم قتل في السنة نفسها . ترجمته في صفحات متفرقة من تجارب الامم ووفيات
الاعيان ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

الى عضد الدولة (١) مهنثا بالظفر ، طالبا العفو لنفسه . بعض المقاطع من هاتين
الرسالتين تفيدنا في فهم الموقف الذي اتخذها ابو اسحاق طائنا ان فيه نجاه له ، وذلك حين
يهاجم اعداء عضد الدولة الذين كانوا اوليا * سابقا :

* ووصل كتاب مولانا الملك السيد ولي النعم عضد الدولة وتاج الملة ، ادام الله
علو امره ، وعز نصره ، في معسكره بظاهر الموصل . مبشرا بالفتح الذي املات له آفاق السماء
نورا ، وارجا الارض صرورا ، فتلقته ساعيا على قدمي ، وقبلته بكلتا يدي ، وسجدت شكرا لله على
مستودعه ، ولولانا ، كبت الله اعداءه على تأهيلي للمطالعة به ، وتصرفت في تأمل معناه الجزل ،
ومنطقه الفصل ، تصرف المعجب به لا المتعجب منه ، واقول في ذلك ما قاله ارسطوطاليس للاسكندر
في مفتتح بعض رسائله اليه : اما التعجب من مناقبك فقد اسقطه تواترها فصارت كالشئ
المألوف قد انس به ، لا كالغريب يتعجب منه ، فاما ما شرحه مولانا الملك السيد ، ادام الله علاه
وتمم نعماءه من تقسيم اعدائه بين قتيل صار الى النار ، وهزيم تقنع بالعار ، فايديهم اوكت ،
وافواهم نفخت ، ولولا الشقا المكتوب عليهم ، والخزي المعصوب بهم ، لا تعظوا بغيرهم
من مضى قبلهم ، وسلموا الامر لمستحقه ، ونهم ، وعرفوا حق المعرفة انفسهم ، ووقفوا بها عند
حدهم وقدرهم ، فقد قيل انه لاضيعه على من عرف قدره ، وكذلك لانجاة لمن عدا طوره ، ولكن الحين

(١) الجوابان في رسائل الصابي ، ص ١٠٠ - ١٠٩ و ١١٠ - ١١٣ .

يصم ويعمي ، ويوبق ويردى . . .

" واما خضوع الخاضع له ونزوعه من الامر الذى اورد ، وما يصدره ويبدله في اقتداء
حفاشة النفس ، وشميلة الحال ، فبالتذلل لمولانا يعز العزيز ، وبالتعزز عليه يذل الذليل
وان صحت منه البصيرة ، وخلصت السريرة فستكسوه المراجعة شعارا من الطاعة ، تتلافاه من السقطة ،
وتنقذه من الورطة ، ومولانا الملك السيد ، ادام الله دولته وبسط قدرته ، اعلم بالمخايل ، واهدى
الى الدخائل ، وليس يمدلول على قبول الانابة من النادم المقر ، ولا على اباثها من المداهمن
المصر ، وله ، ايده الله ، عادة جارية بالعفو عن الهفوة الاولى ، التي لم تسبقها قرينة ولا تقدماتها
نظيرة ، فان عفا فعلى سنته الماضية ، وبعد قدرته القاهرة ، وبالرأى الموضوع موضعه ، والاختيار
الذى لا اضطرار معه ، وان سطا فبالله ماتحل سبطوته الابن لامطعم في انتياشه ، ولا سبيل الى
انتعاشه ، ولن يعدمه الله صواب العزم ، وصرمة الحزم ، اى المذهبين ذهب ، واى الغرضيين
طلب ، . . . " ثم يختم الصابي رسالته بالطلب من عضد الدولة ان يأمر بتضمين ما اكتب به مسن
ابتداء وجواب طرفا من الاستخدام ، لا ثقا بما غرنى من الانعام ، في صغير يوازي قدرى او كبير
يجذب اليه بضبعي . . . (١)

ثم نرى ان الصابي قد غير من نبرته في الرسالة الثانية وكأن شيئا ما حدث زاد في
اطمئنانه كأن يكون عضد الدولة مثلا قد بعث اليه جوابا على رسالته ، يشير باستخدامه ، فنلاحظ
انه في الرسالة الثانية يتكلم معتبرا نفسه ضمن الدولة ، فيقول متحدئا عن اعداء عضد الدولة

(١) الرسالة كاملة في رسائل الصابي ص ١٠٠ - ١٠٩ .

اي بختيار واهي تغلب الحمداني .

" فلم يرض الله فيهم ما رضينا ، ولم يعزلهم ما اردنا ، للسابق من جرائمهم ،
والسالف من جرائمهم ، والمستسر لنا في قضائه جل وعز ، من تخويلنا نعمهم واموالهم
وتعليقنا ديارهم واعصارهم " (١) . ولا شك اننا لاحظنا ضمير المتكلم " نا " وما يمكن ان
يعنيه في هذا المجال . ثم يخاطب ابواسحاق عضد الدولة شعرا : " وعبد مولانا الملك
السيد الاجل المنصور عضد الدولة وتاج العلة اطلال الله بقاءه " . يقول مرتجلا ومذكرا :

قل للمهام المستطيل	بقدره السامي الجليل
يذكر ابياتي التي	انشدته قبل الرحيل
فقد ضمنت له الذي	قد نال من راع كفيل
لولا اتقاء البغي قد	بشرته يردى القتييل
وكذاك يمهي من نجا	من سيفه عما قلييل
فازال ذلك بينيا	للعين متضح الدليل
فالحمد لله الذي	نقع الصدور من الغليل * (٢)

وينتهي الصابي رسالته بما يدل على انه رسم له ممارسة عمله كاتبا في الديوان لعضد الدولة

اول من ينوب عنه ويخلفه اثناء غيابه :

(١) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ١١٠ - ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢ . القصيدة مجزوء الرجز وصدر البيت الثالث من الكامل .

" وانا اطل الله بقاء مولانا الملك السيد ولي النعم ،عضد الدولة وتاج الملة ،

ملازم للخدمة في الدار المعمورة ، ومواظب على مجلس الاستاذ ، (١) ادام الله عزه ، تصرفا

من الامر العالي على ما سبق ، وانتظارا منه لما يود ، ومن الله استمد التوفيق لما زاد نسي

عند مولانا حظوة وزلفى ، وكسبني لديه اثرة وقربى ، وهو حسبي ونعم الوكيل . " (٢)

لكن الحظ عاد وانقلب على الصابي ، فبعد ان استأن المسكين ، وهنت نفسه

او كادت ، عاد الى المحنة من جديد . اذ ان عضد الدولة بعث من الموصل امرا الى وزيره ابي

القاسم المطهر بن عبد الله (٣) بالقبض على ابي اسحاق (٤) ويروى في ذلك انه فيمما

كان ابو اسحاق جالسا بحضرة وزير عضد الدولة ابي القاسم المطهر ، ورد البريد من الموصل وفض

(١) المقصود بالاستاذ وزير عضد الدولة ، وكان في ذلك الوقت المطهر بن عبد الله وتبين لنا

رواية القبض على الصابي المذكورة اعلاه صحة ذلك ، اذ ان الصابي كان حاضرا في

مجلس المطهر حين ورد الامر من عضد الدولة بالقبض عليه .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١١٣ .

(٣) هو وزير عضد الدولة عرف بشراسة الاخلاق وخشونتها ، وحدث ان مضى لمقاتلة الحسن

ابن عمران بن شاهين سنة ٣٦٩ ولما احس بإمكان اخفاقه في الحملة قطع شرايين

يديه جميعا حتى مات من النزف ، وذلك خوفا من انخفاض منزلته ، وانظر اخباره في

تجارب الامر ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٢ وصفحات متفرقة اخرى ، والحضارة الاسلامية ج ١

ص ١٢٩ .

(٤) ذيل التجارب ، ص ٢٢ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، ينقل ياقوت الرواية عن هلال

ابن المحسن الذي ينقلها عن جده ابي اسحاق .

بين يديه ، فابتدأ بقراءة كتاب عضد الدولة حتى اذا بلغ مبلغا منه بان عليه الوجوم فقام الصابي من مجلسه يريد الانصراف ، فتبعه بعض اصحاب الوزير وعدل به الى غرفة في الدار وارسل يقول له : " لعلك قد عرفت مني الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم ، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك ، واخذ مائة الف درهم منك وينبغي ان تكتب خطك بهذا المال ، ولاتراجع فيه ، فوالله لا تركت ممكنا في معونتك وتخليصك الا بذلته ، وقد جعلت اعتقالك في داري ، ومقامك في ضيافتي ، فطب نفسا بقولي ، وثق بما يتبعه من فعلي " (١) .

هذا كل ما يستطيع هذا الوزير ان يخدم الصابي به ، اعتقال جميل في منزله شبهه بالاستضافة ، يخلصه به من عذاب المستخرجين ، ومن ايقاع المكروه به . وكان القبض على ابي اسحاق لم يكن كافيا حتى قبض على ولديه ابي سعيد سنان ، وابي علي المحسن . (٢)

حكاية نكبة الصابي سنة ٣٦٤ على يد عز الدولة بختيار ، او سنة ٣٦٧ على يد عضد الدولة مرتبطة بعلاقة ابي اسحاق بكل من هذين الرجلين وعلاقتهما احدهما بالآخر . فالصابي كاتب يمارس مهنة محدودة ، ولسوء حظه ان مهنته هذه مرتبطة بالسياسة اشد ارتباط ، الكاتب يومه بالكتابة فيكتب ما يعجب السياسي الذي يأمره ، فهو ان كتب لعز الدولة كان لابد وان

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠ - ٤١ .

يكتب كما يعجبه وكذلك الامران كتب لعضد الدولة مثلاً اولغيرهما، صحيح ان لشخصية
السياسي دورها الكبير في عمل الكاتب بحيث تؤثر بشكل او باخر في ما يكتبه ، وهذا ما
سنلاحظه في رسائل الصابي ، الذي لم يستطع رسم صورة جيدة لعز الدولة ، بل كان
احياناً يحصل على عكس ما يريد ، فيما تبدو صورة عضد الدولة كأحسن ما يكون عليه الملوك او
القواد . هذا في الرسائل الديوانية ، اما في الرسائل الخاصة والشعر ، فليس في مالدينا
من ذلك اى بيت شعري او رسالة كتبت في عز الدولة مدحا او تهنئة ، فيما نجد انه كتب
الكثير في عضد الدولة ، ربما هذا دليل يظهر لنا ميل الصابي الى الصدق في ادبه، ونستدل
من ذلك ان عضد الدولة كان يعني شيئا كثيرا للصابي مما لم يكن يعنيه غيره كعز الدولة
مثلاً . فالصابي كان يحذر عز الدولة ووزيره فنراه يستتر حتى بعد كتابتهما اماناً له ، بينما
لم يحذر من العضد ولم يستتر ، وهذا دليل ثقتة بعضد الدولة وثقتة بمكانته عنده هذه المكانة
التي تبدو جليلة في نسخة الامان التي كتبها له عضد الدولة ، وفي حراسة منزله من الجند .
اذا بالمقارنة بين علاقة الصابي بكل من عز الدولة وعضدها نجد علاقته بعضد
الدولة اوثق ، وقد كان اخلاصه له سبباً في نكته الاولى . وحفظ له عضد الدولة سابقية
الخدمة والاصطناع ، وكتب له اماناً وحرس داره ، لكنه ، وفجأة ، عمد الى اعتقاله . وهكذا
نلاحظ ان عملية اعتقال الصابي في الاولى والثانية ، لاتعود اليه مباشرة بقدر ماتعمد
لارتباطه بالعلاقة بين الاثنين ، فالصابي كتب في اثناء الخلاف بين عز الدولة وعضدها
جميع الرسائل التي كانت تطلب منه ، وهذا طبيعي فهو في عمله هذا يودى واجبه كما كان

يمكن ان يفعل اي كاتب آخره اين المشكله اذا ؟

تذكر المصادر ان ابا اسحاق كتب في هذه الرسائل ما اثار حفيظة عضد الدولة وجعله ينقم عليه ويعزّو معظمها (١) سبب غضبته الى رسالة كتبها سنة ٣٦٦ عن الطائع لله الى اصحاب الاطراف بتكرمة بختياره (٢) وخاصة ما جاء فيها من قوله : "وقد جدد الله امير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالي السوامق ، التي تلزم كل دان وقاص وعام وخاص ، ان يعرف له حق ماكرم به منها ويتزحزح عن رتبة المعاملة فيها " . (٣) وتقول المصادر ان عضد الدولة انكر هذا الكلام اشد الانكار واعتبره تعريضا به . (٤)

ويعيد هلال بن المحسن في رسوم دار الخلافة (٥) غضب عضد الدولة بسبب الرسالة ، الى تقديم عزالدولة وتعظيمه وانه قرر له الدعاء في صدرها " بأطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وامتع امير المؤمنين بك وبالنعمة فيك ، وفي الفصول والذكر بأيد ، الله " ويقول هلال انه لما ملك عضد الدولة العراق طلب من الطائع ان يزيد على ذلك ، فزاده

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ و ١٢١ و معجم الادباء ج ٢ ،

ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ٣١٥ - ٣٢٥ و رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ - ١٢١ .

(٣) النص منقول بحرفيته عن اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ونجده مع اختلاف بسيط في الالفاظ في

رسائل الصابي ، ص ٣٢٢ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٥) رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ و ١٢١ .

" وسعادتك ونعمتك ، وامتع امير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيك وعندك ، وجعل الدعاء "

له في الفصول وعند الذكر بادام الله عزه ، وبدي* بذلك في الكتاب اليه بتلقيه تاج الملوك

مضافا الى عضد الدولة : (١)

ويلفتنا بالطبع ان القبض على ابي اسحاق كان بعد مضي عضد الدولة الى الموصل

وبعد ان امنه واستخدمه . وهذا يعني وجود رابط بين كون عضد الدولة بالموصل وبين

القبض على الصابي . وتفسيرا لذلك ، يروى انه لما مضى عضد الدولة الى الموصل اخرج الى

الديوان ما وجد في قلاع ابي تغلب من الكتب ، فكان فيها ما كتبه عزالدولة الى ابي تغلب

بخط ابي اسحاق . (٢) وكان الناظر في الموصل (٣) ، يحمل عداوة للصابي فجمع الشيء

الكثير مما فيه ذكر عضد الدولة وحمله اليه . (٤) ولا يستبعد ان يكون لهذا الناظر فسي

الموصل المعادي للصابي دور في توغیر صدر عضد الدولة على الصابي يتعدى احالة الرسائل

اليه .

ونجد سببا آخر لانتقام عضد الدولة من ابي اسحاق ذكره القفطي (٥) ويتعلق

(١) رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ و ١٢١ . والرسالة المشار اليها هي في رسائل الصابي ،

ص ٢٧٩ ، ويلاحظ عدم وجود جميع الادعية المذكورة في المتن في الرسالتين في رسائل
الصابي مع وجود نسبة اكبر منها في رسالة تكربة بختيار في رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٢٢ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٣) ذكر باسم ابي عمرو ولم نتوصل الى معرفة اسمه كاملا وبالتالي ترجمته .

(٤) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٥) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ .

بنسخة الصلح الذى عقد بين عضد الدولة وعزال الدولة وذلك ان عزالدولة تقدم الى الصابي
بانشاء نسخة يمين، فأنشأها واحكمها فلم يجد عضد الدولة له مجالا في نكثها والتزم الحلف
بها، وهكذا لما اخذ العراق سجن ابا اسحاق لهذا السبب . وقد مر بنا ان صلحا عقد
بين الاميرين العضد والعز سنة ٣٦٤، وان عضد الدولة اشترط فيه امان الصابي وعدم ابدائه ،
فهل يمكن ان يقوم الصابي بما يؤذى عضد الدولة في الوقت الذى يعمل الآخر على حمايته
ورعايته ؟ وان كان هذا صحيحا ، ألم يكن بإمكان عضد الدولة القبض على الصابي حال دخوله
العراق ؟ فلم يؤمنه ويحرسه ثم يفدر به ؟ وربما ما قصد القفطي غير الصلح الذى كتب
سنة ٣٦٤ او انه يعني رسالة اخرى .

فالمصادر اتفقت على ان سبب القبض على الصابي هو المكاتبات الفجة التي كان يرسلها
عزال دولة بانشاءه الى عضد الدولة او عنه ، (١) وهكذا سجن الصابي سنة ٣٦٢ هـ ودفع الى
" النكبة العظمى والطامة الكبرى " .

ويبدو ان الصابي لم يترك وحيدا في محنته ، فقد تدخل البعض للشفاعة به
والتعريف بفضله فقبل لعضد الدولة : " مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه ، فانه كان في خدمة
قوم لا يمكنه الا المبالغة في نصحهم . ولو أمره مولانا بمثل ذلك اذا استخدمه في ابليس ،

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ،
ص ١٥٨ وابوالفداء عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر (القاهرة ، المطبعة الحسينية
المصرية ، ١٣٢٥) ج ٢ ، ص ١٢٩ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

ما أمكنه المخالفة . فقال عميد الدولة : قد سوغته نفسه فان عمل كتابا في مآثرنا وتاريخنا
أطلقته " . (١)

ومثلما وجد من يشفع للصابي وجد أيضا من يشمت به ويهيمره ، وفي ذلك قال : (٢)

حلولي لطالت واشمخرت مراكبه	" يميزني بالحبس من لويحله
ومعتقل عان وقد عز جانبـــــــــــــــــه	ورب طليق أطلق الذل رقه
يدا كيدى لاقتة ايد تجاز بهـــــــــه	ومن مدّ نحو النجم كيما يناله
من المجد من ساع تدب عقاربـــــــــه	ولا بد للساعي الى نيل غايـــــــــة
نظيرى فيها كل قرم اناســـــــــــــــــه	واني وان اودت بمالي نكبـــــــــة
ويطلق ان انحى على الكيس سالبـــــــــه	فما كنت كالقمطار يثرى بكيســـــــــه
حوتها له انيابـــــــــه ومخالبـــــــــه	ولكن كليث الغاب ان رام ثروـــــــــة
مباحا له من كل طعم اطايـــــــــه	بييت خميصا طاي ويا ثم يفتدـــــــــي
بها يدرك الربح الذى هو طالبـــــــــه	كذلك مثلي نفسه رأس مالـــــــــه
غنى قلما يشكو الخاصة صاحبيـــــــــه	ولي بين اقلامي ولبـــــــــي ومنطقيـــــــــي

يمكن تقسيم الفترة التي قضاها ابواسحاق الصابي في السجن الى قسمين :

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

الاول يبدأ من تاريخ القبض عليه سنة ٣٦٧ وينتهي سنة ٣٦٩ ، حين اطلق ولداه وامر
بكتابة تاريخ للدولة البويهية ، والقسم الثاني ، يمتد من سنة ٣٦٩ وحتى اطلاقه سنة ٣٧١
وقد اعتمد في ذلك رواية تقول : انه لما اراد عضد الدولة من وزيره ابي القاسم المطهر
ان ينحدر لقتال الحسن بن عمران بن شاهين (١) ، طلب الوزير منه اطلاق ابي اسحاق
واستخلافه بحضرته ، فقال له : " اما العفو عنه فقد شفعتك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعف
عما دونه لاهلنا (يعني الديلم) ، ولا لاولاد نبينا صلى الله عليه (يعني ابا الحسن محمد
ابن عمر و ابا احمد الموسوي) (٢) . ولكنا وهبنا اساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على
الحفيظة منه ، واما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز ان ننقله من السخلة عليه والنكبة لسه
الى النظر في الوزارة ؟ ولنا في امره تدبير وبالعاجل فاحمل اليه من عندك ثيابا ونفقة
واطلق ولديه وتقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا " (٣) وهكذا جرى فقد حمل المطهر ثيابا ونفقة

(١) عندما توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة سنة ٣٦٩ ، خلفه ابنه الحسن بن عمران .
تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

(٢) قبض عضد الدولة على الشريفين محمد بن عمر العلوي و ابي احمد الحسين الموسوي
سنة ٣٦٩ هـ . ولكن نظرا ان محمد بن عمر ليس مقصودا هنا لانه لم يكن قد قبض عليه
قبل انحدار المطهر الى البطيحة بل بعد ذلك لان محمد بن عمران حذر مع المطهر وقبض
عليه بعد موت المطهر . تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٣) الرواية في ذيل التجارب ، ص ٢٢ - ٢٣ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤١ - ٤٢ والنص
الحرفي عن الذيل .

وأطلق سراح ولديه بولغفه بوجوب تأليف كتاب في الدولة الديلمية ، ومضى المطهر الى

البيطحة (١) يوم السبت للنصف من صفر سنة ٣٦٩ . (٢)

ويبدو ان اطلاق ولدى الصابي لم يتم دفعة واحدة ، فقد امر عضد الدولة ابا القاسم المطهر وزيره بالافراج عن ابن ابي اسحاق صاحب الشامة . اى المحسن لقد يم خدمة له ففعل مما اثار تذمر اخيه سنان ، وشكواه ، ودمدمته على والده الذى قال له : أى امر لنا يا بني في نفوسنا ؟ ام اى ذنب لي فيما لطف به لأكليك وحرمته ؟ (٣) وارتأى ابو اسحاق حينذاك التناوب في السجن بين الاثنين وعرض الامر على المحسن فامتنع واصر عليه حتى استحميا واجاب ، (٤) فكتب ابو اسحاق الى المطهر قائلاً :

وعزّ حسهما عن منظر النور

* ابناى عيناى كف الحس لحظهما

عين فصرت عن الابن كالعمور

اطلقت لي منهما عينا وقد بقيت

ستوفرا منهما من اجر مأجور

فسوّ بينهما في فك اسرهما

ابوها وهما من كل محذور * (٥)

يفسدك بالانفس التي مننت بها

(١) ذيل التجارب ، ص ٢٢ - ٢٣ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

(٣) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

(٥) المصدر نفسه .

" فقال المطهر : أأمر الى الملك ، والذي رسم لي اطلاق ولدك صاحب الشامة . ولو كنت
مستطيعا للجمع بينهما لفعلت ، بل لم اقنع حتى تكون انت المطلق ، فعاوده وشكره وقال :
اذا كان قد اخذ في تخلية واحد فيجوز ان يتناوبا في الخروج وفسح المطهر في ذلك ، (١) وروى
عن ابي علي المحسن ان الخدمة التي رعاها له عضد الدولة تسببت في اطلاقه هي انه ساعد رسول
عضد الدولة الذي سلمه والده ابو اسحاق الى ابن بقية بعد ان شرط عليه ان يسلمه رسل عضد
الدولة وتوكلية . ويلفتنا من الرواية ما جاء فيها من ان المحسن جهد بوالده الا يفعل " فخاف واشفق
ولم يقبل " وحمله الى ابن بقية " الذي ضربه واعتقله " . (٢) ويظن المحسن ان الرسول اخبر عضد
الدولة بهذه الحادثة فحفظها له . (٣)

ورأينا اثبات هذه الحادثة لاهميتها في ناحيتين : اولا ، مثلما يمكن ان يكون قد بلغ
عضد الدولة معاونة المحسن للرسول يمكن ايضا ان يكون قد بلغه تسليم ابي اسحاق له وربما هذه
ليست الحادثة الوحيدة من هذا النوع وهذا ما يمكن ان يضاف الى بواعث القبض على الصابي لدى
عضد الدولة والتي ربما كانت مترسبة في اعماقه قبل استئثاره بالرسائل . ثانيا : توضح الحادثة

(١) معجم الارباب ، ج ١٧ ، ص ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ - ٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

صفة مهمة لدى ابي اسحاق وهي ايثاره السلامة والبعد عن المخاطرة لذا " خاف ، واشفق

ولم يقبل " بعدم تسليم الرسول كما جاء في الرواية . (١)

خلاصة ما ذكر هنا انه قبل اطلاق ولدى الصابي سنة ٣٦٩ ، مرت فترة تناوب الاثنان

فيها الخروج من السجن .

تتميز الفترة التي قضاها ابو اسحاق في السجن بالخصوبة الادبية ان انه انصرف الى

معالجة ما يمس شخصيا من امور فهو رسميا غير معني الا بانجاز كتاب في التاريخ ، لهذا

نجده يصرف اهتمامه الى نفسه ومعاناته .

في السجن بعيدا عن اهله واصدقائه يحاول الاعتذار الى عضد الدولة واسترضائه ،

وينتظر المساعدة والعون من رؤسائه . وهكذا يعيش حالة معاناة حقيقية حيث تتعاضد

عليه امور كثيرة كالسجن والفربة والفقر .

الموضوع الرئيسي الذي كتب فيه الصابي هو عضد الدولة . عضد الدولة مدوح ابي

اسحاق سابقا اصبح اليوم شيئا آخر في ذاكرته ، مع استمرار كونه مدوحا . كان امل الصابي وطمحاً

واليوم اصبح سبب شقائه وبؤسه مع استمرار كونه الامل والطمحاً . لقد خاب امل الصابي به

في حين يعلم انه لا امل له في غيره . هكذا كان عضد الدولة محور نتاج ادبي كبير ، فيقف

الصابي احيانا بذل امام هذا الرجل القوى القاسي ، وتختلط في نفسه مشاعر كثيرة حوله

ثم حول الحياة بشكل عام بما فيها من معان وقيم ، فيميل الى الشكوى بعد ان ملّ

(١) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٤ .

تهيئه له الحياة من نكبات متوالية ، فتراءى له الدهر وكأنه مفيظ من صبره يحاول الانة قناته
لكنه يشبث له منتظرا الفرج ، يقول : (١)

فليس تغبني منه الخطوب	* كأن الدهر من صبرى مفيظ
ويأبى ذلك العود الصليب	يحاول ان تلين له قناتي
واشربها كأني مستطيب	تلوح نواجذى والكأس شربي
وتحت الجهر لي سر كئيب	ف فوق السر لي جهر ضحوك
بركنيه كما ثبت النجيب	سأثبت ان (٢) يصادفني زماني
ففي اثنائه الفرج القريب * (٣)	وارقب ماتجي * به الليالي

ويعترى الصابي شعور بالغبن ، ويرى ان الدهر لم يعطه ما يستحق ، وليس ذلك لقصور منه او لنقص
فيه وانما انقلاب في المقاييس ، يقول : (٤)

واحببت ان تدرى الذى هواخذق	* اذا جمعت بين امرأين صناعة
(٦)	(٥)
به لهما الارزاق حين تفرق	فلا تتفقد منهما غير ما جرت

-
- (١) اليتيمة، ج ٢ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، والابيات الاربعة الاخيرة في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
(٢) في معاهد التنصيص : * ان * .
(٣) في المصدر نفسه : * فرج قريب * .
(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ ، ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٨٥ - ٨٦ ، و بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٤ .
(٥) في بهجة المجالس : * تتأمل * .
(٦) في المصدر نفسه : * به جرت * .

(١) فحيث يكون النقص فالرزق واسع
(٢) وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق "

كان الصابي قد جعل عضد الدولة قبلته يرسل اليه الشعر والرسائل، مذكرا
ايامه بحاله . وصار همه الآن ان ينجو من النكبة وان يكون ما يعيشه محنة عابرة لا تلبث
ان تزول ليعود بعدها الى سابق حياته . فله من كتاب : " انا اعتصم بالله الذي يسلم من
استرجع اليه تأثبا ، ولا يخمدل من استنصر به منيبا وبمولانا الملك المنصور عضد الدولة وتاج
الملك ، اطال الله بقاءه ، النى لا تبور عنده حرمة ولا يحقن في فناءه ذمة . ولا تكون بلية مثلي
من الخدم المخلصين ، والعبيد المطيعين ، في ايامه المشرقة الا اصلاحا لا اطراحا ،
وتهديا لا اجتياحا ، ومجازا الى نعم سابغة يوليها ، وعوارف صا دقة يسديها " . (٣)

وكان يحاول استعمال اساليب مختلفة في ترقيق عضد الدولة ، فأهدى اليه يوما
درهمين خسروانين وكتاب السانك والمالك في دفتري (٤) . وكتب اليه :

لي في الخاصة درهمين	" اهدى اليك بحسبها
ن هما جميع الخافقين	وبحسب قدرك دفتري
ت بيان ذاك بلحظ عين " (٥)	فاذا فتحتهما رأيـ

-
- (١) في بهجة المجالس ; " النوك " .
(٢) في المصدر نفسه : " الحدق " .
(٣) لقاء الخواطر ، الورقة ٩١ ب .
(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
(٥) المصدر نفسه .

وله اليه ايضاً :

" تعذر د ينارى علي ودرهي فلاتفت مولانا ببيتين من شعري

وكم بيت شعر زاد بالشكر قدره على بيت مال من لجين ومن تبر" (١)

يلفت انتباهنا في الابيات المذكورة ذكره للخصاصة ورقة الحال ، في حين يضع في الجبهة
المقابلة العلم والادب ويفضلهما على المال وكأنه يشير الى ان لديه ما هو افضل من المال
الذي يحاولون استخراجه منه فلم لا يستفيدون مما لديه من ثروة علمية وادبية ؟

ثم نرى الصابي بعد ثلاث سنوات من سجنه يستعطف عضد الدولة بقصيدة وجدانية واصفا
له حالة اهله في غيابه وما يعانون نتيجة فقده ، ويقال انه ما رقق عضد الدولة شي* كهذه
القصيدة (٢) .

يبدأ الصابي قصيدته باجرا* مقارنة بين عضد الدولة وابنائهم واصفا اجتماع شملهم
والنعمى بهم ، وبينه هو وابنائهم ، المتفرقين عنه على حال من الاسى والحزن ، ثم يطلب
من عضد الدولة الرثاء* لحاله والتصدق عليه بمثل ما اعطي من نعمة . ويلاحظ في هذا المقطع
ذكره لابنة له وزوجة :

" اجل في البنين الزهر طرفك انهم حووا كل مرأى للاحبة موثق

وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم فاهلا به من طارق خير مطرق

(١) اليثيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

مولى موال منك كالبدر مشرق	موال لنا مثل النجوم مطيفة
فارتلذى الشمل لشتيت المفرق	وقد ضمهم شمل لذك مؤلف
فمن مثل ما خولت فيهم تصدق	وان كنت يوما عنهم متصدقا
الى حلة من اعول ود ورق	فلي مقلّة تقضى اذا ما مددتها
على كمد بين الحجابين مقلق	اناث وذكرا ن ابيت من اجلهم
ويصدع قلب النازع المتشوق	رسائلهم تأتي بما يلدغ الحشا
وبائنة من بعلمها لم تطلق	فباكية ترثي اباها ولم يمت
شوارد عنه كالقطا المتمرّق (١)	وزغب من الاطفال ابنا منزل

في ذكر الاطفال هنا ربما اشارة الى احفاده . بعد هذا الوصف ينتقل الصابي الى ذكر
العلاقة بينه وبين عضد الدولة فيمدحه ويعتذر اليه من ذنبه ويذكره بسابق خدمته : (٢)

ولم ارفع ما اوليتني من ترفق	" شهدت لكن انكرت انك صنتني
ودائعه مودعة عند احق	لقد ضيع المعروف عندي واصبحت
وقيدك في ساقّي تاج لفرقي	وحبسك لي جاء عريض ورفعة
تعرقت البقا اشد تعرق	خلا ان اعواما كملن ثلاثة

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦ - ٤٧ .

- (١) وقد ظمعت عيني التي انت نورها الى نظرة من وجهك المتألق
- (٢) فيا فرحتي ان القه قبل ميتتي ويا حسرتي ان مت من قبل نلتقي
- خدمتك مذ عشرون عاما موقفا فهب لي يوما واحدا لم اوفسق
- فان يك ذنب ضاق عندي عذره فعندك عفو واسع غير ضيق *

وكتب اليه سنة ٣٧١ قصيدتين احداهما خين توجهه الى زيارة مشهد الامام علي في الكوفة ،
والثانية عندما اوشكت جيوشه على احتلال جرجان (٣) ، فمن بعض ما يقوله فسي
الاولى : (٤) .

- * توجهت نحو المشهد العلم الفرد على اليمين والتوفيق والطائر السعد
- تزور امير المؤمنين فيساله ويالك من مجد منيخ على مجد
- امولاي مولاك الذي انت ربه اليك على جور النوايب نستعدي
- وهذي يدي مدت اليك بقصة اعيزك فيها من اباء ومن رد
- فلا تبعدني عنك من اجل عثرة فان جياذ الخيل تعثران تخدي
- ولو كنت تنفي كل من جاء مخطئا اذا لعمت الناس بالنفي والطردي

- (١) هذا البيت والذي يتلوه ذكرا في الوافي والوفيات ج ٦ ، ص ١٦١ .
- (٢) في الوافي والوفيات : " فيا فرحتا ان القه قبل ميتتي ويا حسرتا ان مت من قبل نلتقي " .
- (٣) تم احتلال جرجان سنة ٣٧١ هـ بواسطة مؤيد الدولة المزود بجيش قوى من عضد الدولة .
ذيل التجارب ، ص ١٥ - ١٧ .
- (٤) القصيدة كاملة في اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

توالت سنني اربع ومدامعي لها اربع كالسلك سلّ من العقد
فيا ايها المولى الذى اشتاقى عبده اليه اما تشنق يوما الى العبد ؟
فان كان لم يبلغ الى رتبة الرضا فبلغه فيما قبله رتبة الوعد
وامر امرك العالي بتغيير حاله وتخفيف ما يلقي من البؤس والجهد
فقد يجبر العظم الكسير وربما تزايد بعد الجبر شدة مشتد *

ومن الثانية قوله مهنثا بعيد المهرجان : (١)

" تصبح بعز واعتلاء جدود وابشر بخير واطراه سمود
وقل مرحبا بالمهرجان وحيه بطلعة بسام اغر مجيد

الى ان يقول :

" وقد نزلت منه اليك هدية بجرجان ما محصولها ببعيد
وما بيننا الا المسافة فانتظر وروى بشبر فوق ظهر بريد
ولما رأيت الله يهدى وخلقه تجاسرت واستفرغت جهد جهيد

(١) القصيدة كاملة في اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨١ والابيات الاربعة الاخيرة في معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٨٣ . والمهرجان هو في السادس والعشرين من تشرين الاول من شهر السريان (كذا في صبح الاعشى وربما المقصود الشهور الميلادية) مدته ستة ايام ، ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الاكبر ، ويقال انه ذكرى لليوم الذى عقد فيه التاج على رأس اول ملوك الفرس الساسانية وللفرس تقاليد وعادات في هذا اليوم تتعلق بالملابس والطقوس الدينية . صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٤١٠ - ٤١٢ ويصف متر هذا العيد في الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

فكان احتفالي في الهدية درهما يطير من الانفاس يوم ركود
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي وتقيد به بالشكل مثل قيودى
الاطف مولانا وكالما طبعه تسلسل من عذب النطاف بروء

ونجد الكثير مما كتبه الصابي في عضد الدولة نشرًا ، والارجح ان ذلك بعد اسره نظرا لتركيزه
على فكرة العقوبة والعفو ، وجرائم الاولياء وتوبة المذنب ، وقد جاءت هذه التبيانات
على شكلين الشكل الاول وصف مباشر لعضد الدولة سلوكه ، اخلاقه ، مجالسه ، حكوماته ، عطايه . .
وهو في كل ذلك يمدحه ويظهر محاسنه . ونورد من ذلك الامثلة التالية :

" . . . هو لطيف الحس ، صدوق الحدس ، ذكي الالفاظ ، مسدد الالفاظ

عفيف الجوارح ، نظيف (الجوانح) (١) ، قابض يده عن مفارقة الامام ، مقيد لسانه عن هجر
الكلام ، ناظر الى العواقب من بعد ، متناول للغايات عن قرب ، غليظ على اهل العنساد ،
متعطف لاهل الوداد ، حلیم اذا غضب (رصين) (٢) اذا طرب ، متعاض على التعنيف
منقاد مع التلطف ، له من مروءته عين على خلوته ، ومن دينه رقيب على نفسه " (٣)

ومنها : " . . . بعقله المسلط المطلق ، وغضبه الاسير الموثق وربما نازعته النفس الى وطر

(١) بياض في الاصل ، وقد وضعت الكلمة المناسبة للمعنى .

(٢) بياض في الاصل ، وقد استعملت كلمة مناسبة للمعنى .

(٣) من قطعة من كلامه في وصف عضد الدولة في لقاء الخواطر ، الورقة ٩٨ أ .

يقضيه ، او غيظ يشفيه ، فيمتنع عليها حتى يكرر عليهما فكره ، ويشاور فيهما غيره . طلبا
لاغراض الصواب ، وتطبيقا لمفاضل السداد ، ونهايا الى الامر الاحزم ، والحديث الاجمل " (١) .
ومنها " واما (٢) ونعماته مختلفة باختلاف المجرمين والجرائم ، فاذا كانت في الاولياء
والاداسي ، فيقابلها العقاب والتوقيف . فان اغت ، والا فالاعلاظ في التعنيف ، فان كفيها ،
والا فالاعذار والانداز ، فان كفيها ، والا فالابعاد الى حد الاصلاح لا الى حد الاطراح ، فليس
يفضي الى الغايات الا مترقيا في درجات ، هوفي جميعها مائل مع العفو وكاظم على جرة
الغيط " (٣) .

وفي وصفه ايضا : " واما عطايه فعلى المراتب في الاقدار ، وبحسب الاعمال والآثار ،
فليس فيها محاباة مقصر ولا بخش لمجتهد ، ولا يرى على بساطه ولا في اطرافه مبرز محروم ولا عاجز
محطوط ، فالميزان عادل والجفاف زائل ، والواصل الى (حضرته) (٤) شاكر ، والمبمد
عنها عاذر ، وقد علم من وصل اليها انه متى فارق ما اوجبها فارقه " . (٥)

-
- (١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .
(٢) بياض في الاصل بمقدار كلمة .
(٣) من قطعة له في لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .
(٤) بياض بمقدار كلمة ، وضعت الكلمة المناسبة .
(٥) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .

وهكذا يصف ابو اسحاق عضد الدولة من نواح كثيرة حتى اننا نجد له وصفاً
لكيفية تناوله الطعام ومحاولته ترويض نفسه والسيطرة على شهوته (١) ، ولا يستبعد ان تكون
هذه النماذج التي حفظتها لنا بعض المصادر متفرقة ، قد انتزعت من كتاب "التاجي"
تاريخ الدولة البويهية الذي امره عضد الدولة بكتابته في السجن ، وذلك لبعدها عن لهجة
الخطاب فلا يمكن ان تكون رسالة موجهة ، ثم نجد دليلاً آخر فيما قاله الثعالبي في اليتيمة
تحت ترجمة عضد الدولة : " ثم من اراد ان ينظر في اخبار عضد الدولة ويوقف على محاسن
آثاره ، فليأمل الكتاب التاجي من تأليف ابي اسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الاحاطة
بها بلاغة من قد تسهل له حزنونها ، ولا ينجته متونها ، واطاعته عيونها " . (٢) وسنعود لذكر
التاجي في موضعه .

اما الشكل الثاني فهو ما يرجح انه قيل في عضد الدولة دون اشارة مباشرة اليه ،
وذلك بوصفه للملك وما يجب ان يكون عليه ، وسنعرض مقتطفات من ذلك :

" الملك بمن غلط من اتباعه قاتعظ ، اشد انتفاعا منه بمن لم يغلط ولم يتعظ ،
لان الاول كالقارح الذي ادبته العشرة واصلحته الندامة والثاني كالجذع الذي هو راكب
الغرة وراكن الى السلامة ، والعرب تزعم ان العظم اذا جبر من كسر ، عاد صاحبـــــــــه

(١) " من كلامه في ذكر مطاع عضد الدولة ، لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

اشد بطشا واوى ايدا". (١)

ومن ذلك : " الملك القادر اولى بالتأني في حكوماته ، والتثبت في عزماته لانه ان اخذها على شبهة وامضاها على غير بينة لم يكن له دافع عنها ، ولم يخل ايضا من مساعد عليها ". (٢)

ومن ذلك : " الملك المنعم اذا افاض المكارم واغفر الجرائم ، ارتبط بذلك خلوص نية من قرب منه وهم الاقل ، وانفساح الامل من بعد عنه وهم الاكثر ، فيستخلص حينئذ ضائر الكل من حيث لم يصل معروفة الا الى البعض ". (٣)
ومنه : " الملك اذا وعد وفى ، واذا اوعد غا ". (٤)

وغير ذلك كثير ، مقاطع ادبية تبدو كلاما عاما في سياسة الدولة واخلاق الملوك ، انما المرجح ان الصابي كتبها لملك معين هو عضد الدولة يميز هذا الرأي عدة امورها انه يتحدث حول " ملك " وهذا غريب عن المفهوم الاسلامي الشرعي لنظام الحكم والذي

(١) النص بحرفيته عن لقاح الخواطر ، الورقة ٨٩ أ . ونجده مع اختلاف قليل في اللفاظ

في زهر الاداب ، ج ٣ ، ص ٨ وابن حمدون ، التذكرة الحمدونية (تحقيق احسان عباس ،

بيروت ، معهد الانماء العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣) ج ١ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) التذكرة الحمدونية ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

تجلى بوضوح في رسائل الصابي الديوانية التي سنراها فيما بعد . والمعلوم ان عضد الدولة هو اول من تلقب بالملك في الاسلام ، وسمي شاهنشاه او ملك الملوك . فاعتماده في ذكر الامور اللازمة للملك لا يرتبط بالمفهوم الاسلامي الشرعي ولا يعتمد آيات قرآنية انما هو كلام حكيم يعتمد العقل . وقد ذكر ابن حمدون عند ايراد بعض هذه الفقرات ان الصابي جمعها من كلام الحكماء . (١)

يلاحظ ايضا التركيز على مسألة العقوبة واغتفار الجرائم وتوبة المذنب . والتي يمكن تلخيصها انه باغتفار الملك ذنب من اذنب وتاب او قدم عذرا لذنبه ، ينتفع الملك به . فاولى للملك التأني في حكمه . ونعلم ان التركيز على فكرة العقوبة والعفو يمس الصابي شخصا فهو يريد من ملكه اقالة عثرته والاستفادة منه من جديد .

يمكن القول اذا ما ان هذه الافكار خامرت ذهن الصابي واختمرت فيه ، ثم وجدت طريقها الى الظهور مع وجود ملك على العرش ، عانى الصابي من قسوته ما عانى . انما لانعرف في اى مجال تسنى للصابي اظهار افكاره هذه على شكل قواعد للحكم والسياسة .

على ان الصابي لم يكن يوفق دائما في ما يصفه وكان احيانا يصل الى نقيش ما يأمل ، فيروى انه حين كان يكتب التاجي ، دخل عليه صديق فراه منشغلا بالكتابة والتعليق ، فسأله عما يعمل ، فقال : " اباطيل انمقها واكاذيب الفقهاء " ، (٢) فما كان من هذا الرجل الا ان

(١) التذكرة الحمدونية ، ج ١ ص ٢٩٠ و ٢٩٧ .

(٢) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و معجم الادباء ، ج ٢ ص ٢٢ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ و المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ و اعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ و الوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٩ و شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

انتهى ذلك الى عضد الدولة " (١) . فزادت من غضب العضد وسخطه ، فأمر بان يلقي ابواسحاق تحت ارجل الفيلة (٢) . عندئذ اكب نصر بن هارون وعبد العزيز بن يوسف (٣) على الارض يقبلانها شافعين في امره حتى عاد عن عزمه على قتله وامر باستصفاة امواله وابقائه في السجن . (٤)

طبيعي ان نسأل عند الاطلاع على هذه الرواية : كيف يمكن للصابي ان ينطق بمثل هذه الكلمات بحضور من لا يأمنه وهو الرجل الحكيم الحذر ، الذي ذاق من السويلات ما ينبغي ان يقوى

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣) نصر بن هارون وزير لعضد الدولة ثم شورك في الوزارة بينه وبين المطهر بن عبد الله حتى اذا توفي المطهر سنة ٣٦٩ انفرد بالوزارة وهو نصراني . اخباره في صفحات متفرقة من تجارب الامم اما عبد العزيز بن يوسف فكان كاتب عضد الدولة وصاحب ديوانه المعتبر في عداد وزرائه . بعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ وزير لابنائيه على دفعات اخباره في صفحات متفرقة من ذيل التجارب وترجم له الثعالبي في اليتيمة (ج ٢ ، ص ٣١٢) مثنيا على ادبه .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٢ . وفي اليتيمة ان المطهر بن عبد الله استشفع له مع نصر بن هارون وعبد العزيز بن يوسف وهذا احتمال بعيد نظرا لان الصابي كما ذكرنا بدأ بعمل الكتاب بعد مضي المطهر الى البطيحة في الدفعة التسي مات فيها . وفي اعلام النبلاء (ج ١٦ ، ص ٥٢٤) لا يوجد ذكر للشفاعة ، بل يقول انه بعد ان بلغه هذا الكلام عن الصابي " طرده ومات " .

نزعتة الى الحذر والتستر ، بالاضافة الى ما يعلمه من وجود حساد حوله يكيدون له . وقد لاحظنا توخييه السلامة والبعد عما يشير الشبهة في رواية تسليمه رسول عضد الدولة الى ابن بقية ، والتعامل مع الكبراء فن اتقنه ابواسحاق ولوان حفظه السي ، احيانا كان يخلب على تدبيره . هذه الملاحظات حول الرواية التي نسبت الى الصابي قوله " اباطيل انمقها واكاذيب الفقهاء " ، تدفعنا الى الشك بانها من اقوال الصابي ، وانما وضعت عليه لايقاعه بما لاتحمد عقباه وقد تكون من وضع بعض حساده . اما اذا كانت صحيحة النسبة فنجد امامنا احتمالين اما ان الصابي يثق بالرجل كليا وليس لديه ادنى شك به ، واما انه شعر بالاشمئزاز تجاهه ما يفعله ، خاصة انه كان كلما انهى جزءا من الكتاب حمل الى عضد الدولة فيقرأه " ويزيد فيه ويتقن منه " (١) ما اثار العارابي ، ودفعه الى قول ما روى عنه .

زاد هذا الحادث في احراج الصابي وصعوبة موقفه الذي كان يغنى عن المزييد من الصعوبة والتعقيد . فمجلد ايام الصابي في السجن كانت صعوبة وقاسية ، وقد حاول كما رأينا الخلاص مما هو فيه او الهروب فكانت وسيلته الى ذلك تتخذ اتجاهات عدة اهمها : التوجه الى عضد الدولة بالاعتذار والاستعطاف ، وقد رأينا امثلة وافية حول ذلك ، ثم السبب المساعدة من الاخوان والاصحاب ، وهذان الاتجاهان يمثلان الناحية الايجابية ، ناحية الامل . اما اليأس فكان يتخذ اتجاه الاستياء من الواقع القاسي وتمنى الموت ،

(١) ذيل التجارب ، ص ٢٣ ومجمع الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

والثورة على بعض القيم والعلاقات الاجتماعية والانسانية .

انما بالاضافة الى محاولاته استرضاء* عضد الدولة اتجه ابواسحاق شطرس
اصدقائه يتفقد هم ، خاصة من يمكنه مساعدته منهم ، ان لم يكن بشفاعة لدى الملك
فبالمال الذي يسد به المفارم المفروضة عليه ، فكتب الى عبد العزيز بن يوسف قصيدة
يمدحه فيها ثم يذكره بنفسه وبالاته وامله بان تكون محنته تهذيبا له وصقلا ليعود
اكثر اخلاصا في عمله ، ولاتختلف هذه القصيدة عن قصائده لعضد الدولة باغراضها ،
والفرق انه يتبسط في مخاطبة عبد العزيز فيتحول الاستعطاف الى معاتبة ومطالبة ،
مع عدم اغفال موقع عبد العزيز في بلاط عضد الدولة . من هذه القصيدة : (١)

اضاف الى عبد العزيز وانسب

" كفاني علاء حين افخر انني

كفالتة كالا بن وهو له اب

حنته علي الحانيات فصرت في

وعفوا لدى جرم فغيثوا واخصبوا

عمتم جميع الناس حسنا لمحسن

ولي عراقي غدا وهو مجسّد ب

فما بال ابراهيم ان ليس قبله

وسكيتهم في رتبة حين رتبوا

مجليهم في حلبة حين ارسلوا

جفونك عني حين ابكي واندب

ومالك يا عيني البصيرة غمضت

غلامك عنها بالمرء يمدب*

وكيف استطببت العيش في ظل نعمة

الى ان يقول :

(١) القصيدة كاملة في اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

• ازا منصل بالفتح في مقاله
فما هو الا المشرفي المجرب
وياسو* حالي لو جريت لديكم
بمجرى الذى لا يصطفى فيهدب
فصبرا على بوءسى قليل بقاوها
لنمى لنا فيها مراد ومرحب
لكن غمني التأنيب فيكم وساءني
لقد سرنى ان كنت من يوءنب
وعلمي باستحكام حقي لديكم
يحقق ظني ان جرمي سيذهب
وانك للحر الذى لي عنده
ود يعة ود خيرها مترقب *

ولاندرى ماذا لقي الصابي من استجداه بعبد العزيز بن يوسف واستعطافه
فالصادر لا تذكر شيئا من ذلك كما ان في موقف عبد العزيز بن يوسف من الصابي بعض الغموض
ففي حين يذكر ياقوت انه عندما امر عضد الدولة بان يلقي الصابي تحت ارجل الغيلة اكب عبد
العزيز بن يوسف ونصر بن هارون يقبلان الارض شفاعا له حتى امر بتركه حيا (١) . ينقل ياقوت
ايضا عن الهلال بن المحسن ما اخبربه الوزير ابو الريان حامد بن محمد (٢) جده ابا اسحاق
بعد الاعتقال من انه لما انفذ الصابي قصيدته اللامية لتهنئة عضد الدولة عند عودته من الزيارة
اختر ابو الريان عرضها على عضد الدولة في وقت لم يكن فيه عبد العزيز بن يوسف حاضرا وبحضور

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) حامد بن محمد الاصبهاني ، استخلف على الوزارة وتدبير الاعمال وجمع الاموال بعد مضي
ابي القاسم المطهر بن عبد الله الى البطيحة سنة ٣٦٩ هـ . (تجارب الامم ، ج ٢ ،
ص ٤١٠) .

عبد الله بن سعدان (١) الذي كان ابوالريان يأمنه على ابي اسحاق لان اعتقاده بابي اسحاق يوافق اعتقاد الوزير كما جاء في الرواية (٢) وقد نقل الشعالبي في اليتيمة (٣) مقتطفات من اجوبة رسائل كتبها عبد العزيز بن يوسف الى الصابي يصف في معظمها بلاغته ويقول في احدها ردا على رسالة وقصيدة وصلت من ابي اسحاق بيد وانها في الشكوى :
* وجدت خطابه مفتتحة بشكوى الايام في انحرافها ومكاره احداثها ، فاستوحشت منها —
لاستيحاشه ، واستهديت عليها لاستعداداته وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على احكامها ،
لانحرافها دون آماله ، وقدحها في احواله ، ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لاهله دهر
اناخ على مولاى بصرفه واختزله دون واجب حقه ، . . . (٤) ثم يجيب عن القصيدة
شعرا مادحا ابا اسحاق بحفظ اليهود والتفرد بالمكرات والادب ، وينهي قصيدته بالقول :

ضللا لدهر انت من حسناته ولم تكن في نيل احسانه الفردا

لعا انه الدهر العثور وانه لسيان من اجدى عليه ومن اكدى

يميل على ذى الفضل للجهل ضلة يجرعه سما ويبدى له شهيدا

(١) وزير لصمصام الدولة سنة ٣٧٣ ثارت عليه العامة لما حصل في عهده من غلاء وهجموا على داره فقتل سنة ٣٧٥ بمكيدة دبرها عليه عبد العزيز بن يوسف الذي تولى الوزارة بعده . اخباره في صفحات متفرقة من ذيل التجارب وقد سجل التوحيدى جلساته مع هذا الوزير في كتاب الامتناع والمؤانسة .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٧ — ٤٨ .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .

على انه سلم لمن حل بالحمى حمى الملك المدعو لك دولة العضد^(١)

ومن المرجح ان تكون رسالة الصابي قد كتبت من السجن لان الصابي ، كما يبدو ، يشكو من المكاره التي حلت به وذلك في عهد عضد الدولة - كما تبين الابيات - الذي كان بمجملته شؤماً على الصابي وقد امضى معظمه في السجن . ويلاحظ من الابيات ان ابن يوسف يدعو الصابي الى الدخول في حمى عضد الدولة حيث يجد السلام ، وكأنه يدعو الى التوسل اليه والافاء . الى كفه . على انه ليس من صفات عبدالعزيز بن يوسف المساعدة والاخلاص في الود والنصيحة ، فقد شهر بانه رجل مؤامرات ومكائد . (٢) وان كنا لانفهم الدور الذي لعبه تجاه ابي اسحاق الا ان التجاه اليه ، كما يبدو ، لم يأت باية نتيجة .

لكن صرخات ابي اسحاق الى اصدقائه لم تذهب كلها ادراج الرياح ، فقد كان احياناً يجد من يهتم به ويراعي اموره . من اهم هؤلاء الوزير المطهر الذي احسن اليه منذ بدء اعتقاله بان اعتقله في منزله ووعد به بالعمون ثم سمح بالمناوبة بين ولدييه في الخروج ،

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٢) انظر في ذيل التجارب (ص ٩٧ و ١٠٢ و ١٠٤ - ١٠٧) ما فعله عبد العزيز بن يوسف في افساد حال ابن سعدان لدى صمصام الدولة حتى تم القبض عليه ثم قتله سنة ٣٧٥ والمؤامرة التي اضطلع فيها لاجراج الحكم من يد صمصام الدولة . وفي الامتاع (ج ٣ ، ص ١٤٨) حديث حول عبد العزيز بن يوسف يبين سوء اخلاقه وصفارته .

واستمر في الاهتمام به حتى نجده قد استشفع له في اطلاقه ، ومن الطبيعى ان يقدر ابواسحاق مساعدة هذا الوزير في وقت عزفيه الصديق والمعين .

وحدث مرة ان تفقد المظهر حال ابي اسحاق فرأى خلافا في مطعمه ومشرسسه استاء منه ف ضرب الطباخ ومنع المستخرج من مطالبته ببقية من مال كانت عليه (١) . وكانت نوبة المحسن آنذاك خارج السجن فكتب ابواسحاق اليه رسالة (٢) يخبره فيها عن النعمة الجديدة التي حلت به وبابنه سنان المسجون معه ، ويشرح حالتها الجيدة . بعد ان اصبحا ينالان وفرة من الطعام الجيد ، وبعد ان تخلصا من مطالبة المستخرج السيئة . وفي الرسالة وفي جواب المحسن عليها وصف للمستخرج بعبا يدل على لومه وقسوته وقد كانت لهذه الجائحة دلالة كبيرة لدى الصابي على العناية به من قبل الوزير ، ومن قبل السلطان ، بما يصل الى حد الانقلاب من اهماله الى المحافظة عليه وصونه ، ولا بأس من ذكر ما جاء في جواب المحسن على كتاب والده من وصف للمستخرج (٣) .

... " . والانقياد من ملكة المستخرج ، القصير النسب ، الدقيق الحسب ، الذى لا يراقب ولا يخاف العواقب ، ولا تدركه هزة ، ولا تعطفه اريحية ، والخروج من يده الكسرة الاصابع ، القليلة المنافع ، اللثيمة الظفر ، الكثيرة الضرر ، التي لا مخلص لمن وقع بين اناملها ،

(١) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٨١ أ ب .

(٢) الرسالة كاملة في المصدر نفسه ، الورقة ٨١ ب — ٨٢ ب .

(٣) المصدر نفسه ، الورقة ٨٤ أ .

ولا منتزع لمن نشب في مخا لبها ، فالحمد لله الذي كفها عنا بعد الانبساط وقصرها
بعد الاستطالة .

وربما كان الصابي يصف هذا المستخرج عند ما كتب الى المحسن من السجن قائلا : (١)

" كتبت افيك السوء من محبس^(٢) ضحك وعين عدوى رحمة منه لي تبكي

وقد ملكتني كف قط مسلط^(٣) قليل التقى ضار على الفتك والافك

صليت بنار الهم فازدادت صفوة كذا الذهب الابريز يصفو على السبك

وقد كان يسلي ابا اسحاق عن همومه واحزانه رسالة تصله من صديق او محب ، فقد

كتب اليه ابنه المحسن يوما مؤاسيا :

" لا تأس للطل ان غالت غائلة ففي حياتك عن فقد اللهى عوض

ان انت جوهرتنا الاعلى وما جمعت يدك من طارف او تالد عرش " (٤)

فكتب الصابي مجيبا : (٥)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) في معجم الادبا : " مجلس " .

(٣) في المصدر نفسه : " فظ " .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٧٧ و روضات الجنات ، ج ١ ، ص ١٦٤ ،

وفي اليتيمة و روضات الجنات : " تالد او طارف " .

(٥) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧١ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٧٧ - ٧٨ و روضات الجنات ،

ج ١ ، ص ١٦٤ .

"يادرة انا من دون الردى صدف (١)
 قد قلت للدهر قولا كان مصدره
 دع المحسن يحيا فهو جوهرة (٢)
 فالنفس لي عوض عما اصبته به
 اتركه لي واخاه ثم خذ سلبني
 لها اقيها الضايا حين تعترض
 عن نية لم يشب اخلاصها منى
 جواهر الارطرا عندها عرض
 وان اصبته بنفسى فهو لي عوض
 ومهجتي فهما مفزى والغرض"
 ومن طريق ما حصل للصابي في السجن ما دار بينه وبين ابي الفرج الببغاء (٣) من مكاتبة
 شعرية يقال انها انتهت الى عضد الدولة فأعجب بها واستظرفها، وكانت احد
 اسباب اطلاق ابي اسحاق من سجنه. (٤)
 الراحه التي تسببها زياره احد الاصدقاء الى سجن الصابي اورسالته اليه، تجعله

(١) في معجم الادباء وروضات الجنات: "الورى".

(٢) في روضات الجنات: "المحبس".

(٣) ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي من اهل نصيبين، خدم سيف الدولة الحمداني، حتى اذا
 توفي، تنقل في البلاد. توفي سنة ٣٩٨ هـ. ولقب بالببغاء لحسن فصاحته وقيل للشفة في لسانه.
 ترجمته في اليتيمة ج ١ ص ٢٣٦ وفي اعيان ج ٣ ص ١٩٩ واعلام النبلاء ج ١٧ ص ٩١
 (تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم المرقسوسى) والمكاتبة التي دارت بين الاثنين في اليتيمة،
 ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ وفي اعيان ج ٣ ص ٢٠٠ - ٢٠١ وهجة المجالس ج ٢ ص

١٠٩ - ١١١ .

(٤) وفي اعيان ج ٣ ص ٢٠١ .

يفتقد . هذه المحاولات من اصدائه ، وما يرتبط بها من خبر يستعلمه ورأى يرشده ، وائناس
يخفف عنه الوحشة . فنجد رسالة (١) عتاب وتوبيخ لابن عم له لتقصيره معه في الزيارة تبين
حالته ، ونظرتة الى الناس :

* فان كان هذا شيئا يقودك الى سلوة عني ، وجفوة لي ، فما استحقه منك ، ولا اتيت
ما يقتضي وجودها . وان كان عن توان تذهب فيه على سجية وخليقة ، فما اخرج محاسنك
الى ان تهذبها ، وتزحج هذه القذاة عن جوهرها ، وانا اترك الاغراق في هذا القول ،
لجبهات منها كراهية النظرة في استعتابك ، اما تراني جعلت فداك ، واملاكي مأخوذة ،
وطعني مأكولة ، ومنافعي محسومة ، ومضاري معتمدة ، والالسن بما اكره منطلقة ، وعما
احب معتقلة ، وزادى غير مبلغ ، ومسكتي غير لائنة ، واعلام الصواب علي دارسة ، وابوابه
دونني مغلقة ، . . . والمحسن المجمل من كان مثلك لا يقول هجرا ، ولا يتعهد قبيحا ،
ولا يسعف برأى يرشد ، ولا بسعي يعضد ، ولا يكون منه الا الجواب الواحد ، بعد الايام
المتطاولة ، عن الرقاع الكثيرة ، ولا يتعلق عليه ولا منه سفيه من يأس صريح ولا اجتهاد
صحيح ، فان كان احنى الناس علي هذا نعمته ، واغلظهم ذاك وصفه ، هل اجد بينهم
من اتخذه معولا واسميه معقلا ، وهل ههنا الا رفع الطمع من المخلوقين قاطبة وصرف
الامل الى من لا تحجب عنه الظلامة ولا يتأخر منه الادالة . *

(١) لقاح الخواطر ، البرقة . ٩٠ ب - ٩١ أ .

اما الاتجاه الثالث الذى سلكه ابو اسحاق فهو اليأس وتمني الموت وفقدان

الثقة بالناس والاصداق . وله وصف بليغ للاشرار المنافقين من الناس في رسالة

كتبها الى بعض اصدقائه : (١)

" ولو حملت نفسي على الاستشفاع والسؤال ، لضاق علي فيه المرتكن والمجال ،

لان الناس عندنا - ما خلا الاعيان الشوان الذين انت بحمد الله اولهم - طائفتان :

مجاملة ، ترى انها قد وفقت خيبرها اذا كفتك شرها ، واجزلت لك رفقها اذا اجنبتك

كيدها ، ومكشفة ، تنزوا الى القبيح نزو الجنادب ، او تدب بيب العقارب ، فان

عوتبوا ، حسروا قناع الشقاق ، وان غولظوا ، تلثموا بلثام النفاق (٢)

والفريقان في ذلك كما قلت منذ ايام :

ايارب ، كل الناس ابناء علة

اما تعثر الدنيا لنا بصديق (٣)

وجوه بها من مضر الغل شاهد

ذوات اديم في النفاق صفيق

اذا اعترضوا عند اللقاء فانهم

قذى لعيون او شجا لحلق

وان اظهروا برد الودود وظلهم

اسروا من الشحنة حرقير

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) ما بين قوسين ورد في لقاح الخواطر ، الورقة ٨٨ ب .

(٣) هذا البيت والذى يليه في محاضرات الادباء ، ج ٣ ، ص ٢ ، وقد جاء فيها البيت الاول على الشكل التالي : " ايارب ، كل الناس اولاد علة اما تغلط الدنيا لنا بصديق " .

اخو وحدة قد آنستني كأنني

بها نازل في معشر ورفيق

فذلك خير للفتى من ثوائه

بمسبعة من صاحب وصد يق

ويصب الصابي وحدته وتغنيه الموت قائلا :

" هجرت دواتي بعد تصريف حليها

وواصلت كالوراق قارورة الحبر

وعاشرت من دون الاخلاء دفترا

يحدث عما مر في سالف الدهر

فطورا يسليني التعلل بالحنى

وطورا يكون الموت مني علي ذكر" (١)

يبدو من الابيات انها كتبت بعد سنة ٣٦٩ وان الدفتر الذي يعنيه هو كتاب التاريخ

الذي كان يؤلفه . وهكذا تراءى الموت للصابي ورآه نهاية لا بد منها ، فشعر بعيشة الحيساة

وتساوى الشقاء والسعادة فيها ان كانت النهاية واحدة ، لكن الفرق ان الموت بيد وسهلا اذا

جاء منقذا من نكد العيش :

" اذا لم يكن للمرء بد من الردى

فاسهله ما جاء والعيش انكد

واصعبه ما جاء وهو راتع

تطيف به اللذات والحظ مسعد

فان اك شر (٢) العيشتين اعيشها

فاني الى خير الماتين اقصد

وسيان يوما شقوة وسعادة

اذا كان غبا واحدا لهما الفد (٣)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢) في معاهد التنصيص ج ٢ ، ص ٧٤ : " سو " .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ و معجم الادبا ج ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ و معاهد التنصيص ج ٢ ، ص ٧٤ .

أحيانا كان الصابي يبلغ قمة اليأس فيتمنى ان يستريح مما يلاقه بتقدير نفسه

فدا* احد اصدقائه (١) :

ان قد مللت حياتها وبقاها

" نفسي فداؤك غير معتد بها

ارضى لنفسك ان تكون ازاها

ولو ان لي ما لاسواها لم اكن

قد آن لي ان استطيل ذماها

لكن صغرت فلم اجد الا التي

لك شاكر ان قد قبلت فداها

فاذا شكرت لمن فداك فأنني

من نائبات ما اطيع لقاهاها .

وكأنني المفدى حين ارحتي

وكان الصابي قد لاحظ ما بيد وفي شعره من يأس فيعجب له وقد عرفه بالاسم وكله جسدا

وسرور . فبضع اللائمة على الدهر وحوادثه ونكباته ويقرر ان العيش مر والموت حلوا كالغسل ،

يقول (٢) :

يضحك عنه السرور والجذل

" عهدى بشعري وكله غزل

قلب عن النائبات مشتغل (٤)

ايام هي بحبة (٣) بهم ال

نيرانها في الضلوع تشتعل

فالآن شعري في كل داهية

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ و معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) في معاهد التنصيص : " احبة " .

(٤) في المصدر نفسه : " يشتغل " .

اخرج من نكبة وادخل في
كانها سنة مؤكدة
فالعيش، وكأنه صبر
اخرى فنحسي بهن متصل
لا بد من ان تقيمها الدول
والموت حلو كأنه عسل

لكن لكل حال نهاية، وقد آن لعذابات ابي اسحاق ان تنتهي، وكان القدر اشفق
عليه اخيرا، فحسن لمحتجزيه اطلاقه. وقد تحدثت المصادر حول هذه الحادثة
وحملت في ذلك روايات عديدة، فقليل انه تخلص في ايام صمصام الدولة ابن عضد الدولة (١)
وقيل انه * تخلص في آخر ايام عضد الدولة وقد رزحت حاله وتهتك ستره * (٢) وقيل انه
افرج عنه سنة ٣٧١ هـ (٣) وقد نقل ياقوت عن الهلال بن المحسن انه قبر على جده يوم
السبت لاربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلاثمائة وافرج عنه يوم الاربعاء لعشر بقين من
جمادى الاولى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة، فكانت مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة اشهر
واربعة عشر يوما (٤). وجاء في رسوم دار الخلافة ان مدة حبسه كانت اربع سنين

(١) معجم الادباء ج ٢، ص ٢٣. و صمصام الدولة هو لقب ابي كاليجار المرزيان بن عضد الدولة
الذي تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ٣٧٢ لكن اخاه شرف الدولة استولى على بغداد سنة ٣٧٦
واعقله. اخباره في صفحات متفرقة من ذيل التجارب.

(٢) البيته ج ٢، ص ٢٤٤.

(٣) ذيل التجارب ص ٢١ و وفيات الاعيان ج ١، ص ٥٢ و اعلام النبلاء ج ١٦، ص ٥٢٤.

(٤) معجم الادباء ج ٢، ص ٣٥.

له خاطر بعدم امضائه ان تأخر ، فلما دخل عليه يطالعه في امر قال له : "سمع الله

في مولانا ما دعي له " . فقال : " مات جدد ؟ " قال : " شاهد الناس ابا اسحاق

الصابي وقد اخرج من محبسه ومضى الى داره ، فاكثروا من الدعاء والشكر . " (١) وتتابع

الرواية ان عضد الدولة شغل بعلمته عن النظر في هذا الامر الا ان الصابي قد اتصل بسبه

في ايام متفرقة بين اطلاقه وبين اشتداد العلة على عضد الدولة فاعطاه العضد ثيابا ونفقة

عدة مرات . (٢)

تشير هذه الرواية عدة اسئلة : لم اختار الوزير ابو الريان عرض قصيدة ابي اسحاق

على عضد الدولة في وقت لم يكن فيه عبد العزيز بن يوسف حاضرا في حين يقول عن ابن

سعدان في الرواية : " وكنت آمنه عليك ، واعلم ان اعتقاد ، يوافق اعتقادى فيك " لم لم يكن

ابو الريان يأمن عبد العزيز بن يوسف على ابي اسحاق في حين وجدنا انه في احسن

المراحل كان عبد العزيز هذا قد خلص ابا اسحاق من الموت تحت ارجل الفيلة ؟ لاجواب

لدينا . وقد ذكر من قبل ان موقف عبد العزيز بن يوسف تجاه ابي اسحاق كان محاطا

بالغموض . (٣) واما بالنسبة لصحة هذه الرواية فانه لاشك لدينا بها لانها اولاً ، منسوبة

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ ، وينقل ابو شجاع الرواية مختصرة في ذيل التجارب ، ص ٢٤ .

(٣) راجع ص ٧٥ - ٧٧ من هذا البحث .

الى هلال بن المحسن حفيد ابراهيم ، كما اننا نجد مؤشرا آخر يدل على صحتها وهو شعر
كتبه ابو اسحاق الى الوزير ابي عبد الله بن سعدان مطلعته :

" ثنائي لو طولته لك قاصر وطولك لو قصرته لي باهر

ويقول فيسه : ومازلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي ان انت ناه وأمر

أمنت بك المحذور ان كنت شافما فبلغني المأمول ان انت قادر " (١)

ونجد شافما آخر للصابي في رواية حول اطلاقه تقول : " ان صاحب دار خل على عضد

الدولة بهمدان " (٢) وعضد الدولة مكب على دفتر يقرأه ، فقال : يا ابا القاسم بيده رسالة

لك في بعض فتوحنا ، نحن نأخذها باسيافنا وانت تجعلها باقلامك ، فقال : المغنسي

مستفاد من مولانا وان كانت الالفاظ لخادمه ، ثم انشده :

" وانت اكتب مني في الفتوح وما تجرى مجيبا الى شأوى ولا امدى " (٣)

فقال : لمن البيت ؟ فقال : لعبدك ابي اسحاق الصابي محبوسا ببغداد ، فأمر

بالافراج عنه والخلعة عليه ، فكان ذلك سبب خلاصه وتقديره . " (٤)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ والبيتان الاخيران في معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١

وفي التذكرة الحمدونية (رئيس الكتاب ، رقم ٧٧١) بالورقة ١٧٦ ب .

(٢) ورد صاحب بن عباد همدان والتقى عضد الدولة فيها سنة ٣٧٠ هـ (ذيل التجارب ، ص ١٠)

(٣) هذا البيت من قصيدة للصابي مطلعها :

" ياراكب الجسرة العبرانة الاعد تدمي مناسمها في الحزن والجدد "

انظر القصيدة ومناسبتها في معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٤) محاضرات الادبا ، ج ١ ، ص ٩١ .

ان صحة الرواية الاولى لا تطعن في صحة هذه الرواية حول الصاحب ، فيمكن

ان تكون عدة عوامل قد تضافرت للافراج عن الصابي منها شفاعت جماعة من بينهم الصاحب

ابن عباد ، والوزيران ابوالريان وابن سعدان ، ثم رقة عضد الدولة عليه بعد كتابته

عدة قصائد يستعطفه ، ثم انه قد انتهى ما طلب منه من كتابة التاريخ .

المهم ان ايام السجن قد انتهت ، وان ابواسحاق قد نال ماسعى لاجله من حرية

لكن الحرية لم ترجع له مافات ، وآثار النكبة لم تكن لتزول بسهولة ، فأيام السجن كانت محكما

لحقائق كثيرة ، خرج ابواسحاق منها بقله في المال وخيبة في الناس والحياة ، فكشـ

شكواه من وضعه هذا ، فيروى عن الهلال بن المحسن قوله : " قلت لجدي ابي اسحاق ،

تجاوز الله عنه ، وهو يشكو زمانه : يا سيدي ، مانحن بحمد الله تعالى الا في خير وعافية

ونعمة كافية ، فما معنى هذه الشكوى التي تواصلها ويضيق صدرك بها ، ويتنفس عيشك معها ؟

فضحك وقال : يا بني نحن كدود العسل ، قد نقلنا منه الى الخل فهذا نحن بحموضتنا ،

ونأسى ونحزن على ما كنا فيه من العسل ولذته ، وانتم كدود الخل ، ما نقتم حلاوة غيره ،

ولا رأيتم طلاوة ضده " . (١)

بعد وفاة عضد الدولة عرضت على الصابي فرصة للاستقرار والعمل فقد ارسل الصاحب

ابن عباد يستدعيه الى حضرته بالرى باذلا له نفقة واسعة (٢) فكتب اليه معتذرا من قصيدة

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

يبدو فيها انها كتبت سنة ٣٧٢هـ نذكر منها:

وتقاعست عن شأوهن مآرسي	"نكصت على اعقابهن مطالبني
كانت نفاذا كالشهاب الثاقب	وتهدلت مني القريحة بعد ما
دفن الاعزة في العذار الشائب	مكيت شرخ شبيبتهم قد فنتها
حتى اقبل ظهر كف المصاحب	فلوان لي ذاك الجناح لطاري
من غيث راحته الطيث الساكب	كثرت عوائقي التي تعتاقنسي
هو رابعي وعشيرتي واقارسي	ولد لهم ولد وطن ثالث
شامت بوارق يومها المتقارب	والسن تسع بعدها خمسون قد
والحال يقصر عن ترفه راكب	فالجسم يضعف عن تجشم راجل
كانت على الملوكة ضربة لازب	وطي للسلطان طاعة مالك
كل سوا في الحساب الحاسي (١)	وتعطل مع شهرتي كتصيرفي

هكذا بقى ابو اسحاق في بغداد فتولى ديوان الانشاء لصمصام الدولة (٢) ابن
عضد الدولة وخليفته في الحكم . ووجد له شعرا كتبه في صمصام الدولة من ذلك ما
كتبه حين اهداء اضطر لابس :

"يمز علي ان اهدى نحاسا
المن من فيض راحته نضار

(١) معجم الادباء، ج ٦، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٢) رسوم دار الخلافة، ص ١٢٥ وتاريخ الوزراء، ص ١٥١، والهفوات النادرة، ص ٣٠٨ .

وانت عليه لي ان جمار جار* (١)

ولكن الزمان اجتاج حالي

ويقال ان ابا اسحاق استمر على ديوان الانشاء في ايام اولاد عضد الدولة ووزرائهم حتى

وفاته (٢) ، فيما يقال ايضا انه استمر متعطلا الى ان مات (٣) ، وسنحاول استقراء المصادر

لترجيح احدى الروايتين . ففي رسالة كتبها ابو اسحاق جوابا على مذكرة بعثها

الشريف الرضي (٤) يطلب منه فيها انشاء عهد له بتقليده نقابة الطالبين

والنظر في امور المساجد وخلافة والده في النظر في المظالم والحج بالناس

وذلك سنة ٣٨٠ هـ (٥) قال ابو اسحاق : " على ان عهدي بالعمل بعيد ، وذني بعد الغاء كلي .

(١) اليتمة ج ٢ ، ص ٢٨٢ والاصطراب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس ، قيل ان اول من وضعه بطليموس .

(وفيات الاعيان ج ٦ ، ص ٥٢) .

(٢) تاريخ الحكماء ، ص ٢٦٠ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٤) ابو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى ، يعود بنسبه الى الحسين بن

علي بن ابي طالب ، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ وابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز العاشرة بقليل . وصف

بأنه اشعر الطالبين . خلف والده في ولاية نقابة الطالبين والنظر في المظالم والحج بالناس . توفي

سنة ٤٠٦ ببغداد ، وله مؤلفات عديدة . انظر ترجمته في اليتمة ج ٣ ، ص ١٣١ و وفيات الاعيان ،

ج ٤ ، ص ٤١٤ و الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ (باعتنا . ديدرينغ ، استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ،

١٩٤٩) و اعلام النبلاء ، ج ١٧ ، ص ٢٨٥ و روضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٦ وعبد الحسين الحلبي ، حياة

الشريف الرضي (بغداد ، مطبعة الحرية ، ١٣٨٨ / ١٩٦٨) واحسان عباس ، الشريف الرضي (بيروت ،

دار بيروت ودار صادر ، ١٩٥٩ / ١٣٧٩) .

(٥) رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٣ و اليتمة ، ج ٣ ، ص ١٣٢ و وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٤١٥ ، يذكر

ابن خلكان سنة ٣٨٨ تاريخا لذلك وهو خطأ .

وخاطرى بعد الصحة عليل ، وقلبي بعد الفراغ مشغول* (١) ثم هل يمكن ان نقول ان الصابي ،
قد تولى ديوان الانشاء حتى آخر حياته اذا طمنا انه مرض في آخر حياته حتى لم يعد يستطيع
حركة ؟

ومهما يكن من امر ، فهو لم يعد عملا يقوم به فنجد سنة ٣٧٨ يمارس ناحية اخرى من نواحي
معرفة وهو علم التجيم ، فقد امر شرف الدولة الذي كان قد استولى على بغداد واخرج اخاه
صمصام الدولة من العراق (٢) ، برصد الكواكب السبعة في سمرها ، وتقلها في بروجها كما
جرى في زمن المأمون ، واختار لهذه المهمة عالما نجما اسمه ورج بن رستم الكوهي (٣) ، فبنى
من اجل ذلك بيتا في دار الملكية وعمل فيه آلات للرصد ، وكتب فيما توصل اليه محضرين ،
كثرت فيهما خطوط الحاضرين بما شاهدوا واتفقوا عليه (٤) . وكان ابو اسحاق بين الحاضرين
وكتب خطه بذلك (٥) .

-
- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٦ . وشرف الدولة هو ابو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة ، تولى
بغداد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة ٣٧٩ . اخباره في صفحات مغرقة من ذيل التجارب .
- (٢) انظر خبر استيلاء شرف الدولة على العراق في ذيل التجارب ، ص ١٢٣ وما بعدها .
- (٣) ورج بن رستم ابو سهل الكوهي ، عالم بعلم الهيئة وصناعة آلات الارصاد . ترجمته في تاريخ الحكماء ،
ص ٣٥١ - ٣٥٤ .
- (٤) تاريخ الحكماء ، ص ٣٥١ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

ويبدو ان المصائب لم تكن تسمح لابي اسحاق بالارتياح ، بل تستمر في ملاحقته فهنا

هو يفقد ابنه الاكبر سنانا سنة ٣٨٠ هـ ، ويكي الصابي ابنه بلوعة ، وحرقه ميرثيه قائلا : (١)

أسعداني ، بالدمعه الحمراء	جل ما حل بي عن البيضاء
هذه ركبي شوى سنان وقد كسا	ن يهد الاركان من اعدائي
كنت مني ، وكنت منك اخا قسا	والثامنا مثل العصا واللحاه
وكنت في اليتيم في اجمل مني	فيك للشكل في اوان فناعسي

جاءت هذه المصيبة لتهد ما بقي من قوة وجلد لدى ابي اسحاق ، فنراه يصف حالته في

جواب لرسالة تعزية بعثها اليه الشريف الرضي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٠ هـ ، قائلا : " وعلقت
الرقعة ، . . . بالتغزل الذي زاد وافى ، والقول الذي نفع وشفى ، والتعزية التي غمرني احسانها
ومهرني استعسانها ، فصادفت مني قلبا عليلا وخاطرا كئيلا ، ونفسا قد اتخذتها الرزية ، وولت بها
المصيبة ، واحالته المحنة عما كانت عليه من جلد وقوة وتماسك ومعرفة ، . . . (٢) .

هكذا صارت حال ابي اسحاق تزداد سوءا مع تقدم الايام ، فبعد ان كانت معاناته

نفسية ، اضيفت اليها آلام جسدية ، وصار سنة ٣٨١ يشكو المرض في جسمه ، فقد جاء في رسالة

كتبها الى الشريف الرضي قوله :

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ومعرض ابیات القصيدة في معاهد التصحيح ، ج ٢ ، ص ٧١ .

(٢) رسائل الصابي ، والرضي ، ص ٧١ .

" ولولا العلة التي قد اخذت بمخنقي ، وجثمت على مدارج نفسي . لما اخللت

يقصد حضرته والمواظبة على خدمته " . (١)

ونجد للمصابي الكلام الكثير في وصف آخر امره وما آلت اليه حاله من الكبر ،

فقد زمن وظهرت عليه علامات الكبر كالشيب ، والصلع ، ثم ابتلى بالمرض الذي اقعده ، فاصبح

يحتاج الى الجلوس في المحفة اذا اراد الانتقال لقضاء حاجة . فيقول في الصلح :

" لقد اخلقت جدتي الحادثات ومن عاش في ربيها يخلق

وبدلنني صلعا شاملا من الشعر الفاحم الاغسق

وقد كنت اصلع من عارضي فقد صرت اصلع من مفرقي " (٢)

وقيل (٣) انه اراد ذات يوم ان يبرهن للحاضرين في مجلسه ، وهم كثر ، انه

يستطيع الكتابة فشخصت الا بصار اليه لما فتح الدواة ليكتب ، فوضع القلم وقال : (٤)

" وجع المفاصل وهو أي سر ما لقيت من الازى

جعل الذي استحسنته والياس من حظي كذا (٥)

(١) رسائل المصابي والرضي ، ص ٨٠ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) الخبر في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٤) الابيات في اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٣ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ،

ص ٧٦ .

(٥) معجم الادباء " والناس " .

(١)

سب في اواخره القذى *

والعمر مثل الكأس ير

وقد ظلت حال الصابي محتملة حتى سنة ٣٨٤ وهي سنة وفاته ، وكان العرض

والعجز قد اخذا منه كل مأخذ . فصار شبح الموت مسيطرًا على تفكيره وقد رأى انه صار

قريبًا جدًا ، فهو عاجز كليًا عن الحركة لا يستطيع تحريك يدا ورجل فكتب الى الشريفة

الرضي ، يشكو الكبر من قصيدة في مدحه نذكر منها : (٢)

لها ارجل يسمى بها رجلا

" اذا ما تقدت بي وسارت محفة

وفت لي لما خانت القدمان

وما كنت من فرسانها غير انها

سبيلًا عليها يسلك الثقلان

فقد حملت مني ابن سبعين سالكا

جنينة يوم للمنية داني

ولي بعدها اخرى تسعى جنازة

وما كنت من خطوى ويطش بناني

واني على عيث الردى في جوانبي

دما قليل في غد هو فاني *

لاعلم اني ميت عاق دفنه

لكن الصابي في هذه القصيدة ، يلتفت الى الماضي فيرى ان ما حرمه اليوم كان يملكه

بالامس وكان الزمان قد اعطاه الكثير حين بزالاقران ونحوهم فيعتريه شعور بالافتخار ،

(١) معجم الادباء : " اواخرها " .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٥ - ١٦ . والتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣) في اليتيمة : " تعدت " .

(٤) في المصدر نفسه : " تسعين " وهو خطأ .

فيقول : (١)

" وان آخرتني اليوم سن تقدم
فقد اسلفتني حوز كل رهان
ليالي طارت بي عقاب بلاغتي
وبدت بغاثا ما استطاع يراني
(٢)
ابابيل خابت دون ادراك غايتي
على انها لم تأل في الطيران "

وللصابي كلام بليغ ، ضمن رسالة كتبها الى الشريف الرضي ، يصف حالته في آخر
امره . مشبها نفسه بالرديف على ظهر زمان (٣) ، يقول : " اصبحت ، . . محمولا حمل الرديف
على ظهر زمان ، ان حث الى مصلحة جنح او ثني عن مضرة جمع ، الامر كله اليه ، والعنان
والسوط في يديه ، فانا الراكب وهو الضارب ، وانا المملوك وهو المالك ، قد انزلني منزلة
الاسير ، وتحكم علي تحكم الامير ثم قذف بي الى الفراش ، وباعدني عن الانتعاش ، وحص جناحي
بعد الرياش ، وتكبني في المال والمعاش ، فهو الغشوم الظلوم ، والمذم الملووم ، الذي ان
اطعم لم يشبع وان اكل لم يشبع ، وان اعطى خفف ، وان اخذ اجحف واسرف ، عجزت عن مداواة
خلاثقه ايام جلدي ، فكيف اثبت لها في اوان اودي " .

هكذا كان ابو اسحاق في اواخر ايامه يقاسي المرض والعجز الى ان وافته المنية

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٠ والهتمة ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٢) اليثيمة : " جايت " .

(٣) الرسالة كاملة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٩٥ - ٩٦ .

- في شوال سنة ٣٨٤ هـ . (١) وقد اجمعت المصادر على هذا التاريخ باستثناء ابن النديم الذي ذكر ان ابا اسحاق توفي قبل الثمانين وثلاثمائة . (٢) وقد نقلت بعض المصادر هذا التاريخ فأوردته على سبيل الرواية مع ذكرها التاريخ الاول (٣) وسياق حياة ابي اسحاق وما حملته لنا المصادر ، من ذكر كتاباته وحالته خلال السنوات ٣٨٠ - ٣٨٤ خاصة منها مما كان يدور في هذه الفترة بين ابي اسحاق و الشريف الرضي من مكاتبات (٤) تدحض هذا القول . انما الخلاف الحقيقي بين المصادر هو في تحديد عمر ابي اسحاق حين وفاته
-
- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٥ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٠ والكمال ، ج ٩ ، ص ١٠٦ وتاريخ الحكماء ، ص ٧٦ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣ والمختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ والذهبي ، العبر في خبر من غير (تحقيق فؤاد السيد ، الكويت ، ١٩٦١) ج ٣ ، ص ٢٤ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٩ وعام الدين ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩) ج ١١ ، ص ٣١٣ وابن تفرى بردي ، النجوم الزاهرة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦) ج ٤ ، ص ١٦٧ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ واسماعيل البغدادي ، هدية العارفين (استانبول ، طبعة وكالة المعارف ، ١٩٥١) ج ١ ، ص ٧٠ .
- (٢) الفهرست ، ص ١٤٩ .
- (٣) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٩ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
- (٤) راجع ما ذكر ص ٩٣ - ٩٦ من هذا البحث وللمزيد من التفاصيل انظر ما دار بين الاثنين من مكاتبات نثرية وشعرية في رسائل الصابي والرضي .

فقل انه في الحادية والسبعين (١) ، وقيل في الحادية والتسعين (٢) ، والغارق بين الرأيين
عشرون سنة تزيد في عمر الرجل اي ان الرواية الثانية تجعل ولادته سنة ٢٩٣ هـ . وما ينقص
هذا الرأي لدينا امران : الاول ترجيح المصادر للرأي الاول في حين لم يأخذ بالرأي الثاني الا قلة .
والثاني تحديد ابي اسحاق لعمره في قصيدة كتبها جوابا على استدعاء صاحب له
الى حضرته بالرأى وذلك بعد وفاة عضد الدولة (٣) (ت ٣٧٢) . يقول ففي القصيدة معتذرا
عن القبول :

* والسن تسع بعدها خمسون قد شامت بوارق يومها المتقارب

فالجسم يضعف عن تجشم راجل والحال يقصر عن ترفه راكيب* (٤)

فاذا كانت بعض المصادر قد حددت سنة ولادته بـ ٣١٣ هـ وانه كان في الحادية والسبعين
حين توفي سنة ٣٨٤ هـ ، طالما ان هذه الابيات قد كتبت بعد وفاة عضد الدولة فلا بد ان
تكون قد كتبت سنة وفاته تحديدا ، فيثبت تماما ما جاء في المصادر ، وحتى لو انها كتبت بعد
ذلك بسنة او اكثر فنحن نبتعد اكثر عن احتمال كونه جاوز التسعين حين توفي .

(١) رسائل الصاحب والرضي ، ص ٤٥ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣

واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .

(٢) البيهقي ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ والكامل ، ج ١ ، ص ١٠٦ والمختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

علاقاته بشخصيات العصر

ادب الصابي وفنه يضاف اليهما شخصية محبة لطيفة تتم عن خلق كريم وفكر نير، مؤهلات كفيفة يجعل ابي اسحاق من تكثر معارفه واصدقاؤه وان يكون معظم هؤلاء من اهل الادب والسياسة ومن ضمنهم سلاطات الامراء من شعراء وكتاب وقضاة (١) ،

(١) نذكر من هؤلاء : القاضي ابن معروف وله اليه ابيات شعرية ورسائل (انظر اليثيمة ج ٢ ، ص ٢٩٤ وج ٣ ، ص ١٠٨) وابن سكرة الهاشمي ، (انظر محاضرات الادباء ، ج ١ ، ص ٢٩٧ ابيات مدح كتبها ابن سكرة للصابي) وابن الحجاج الشاعر وله في الصابي مدائح (انظر الجزء الثامن من كتاب التاريخ لهلال بن المحسن المنشور ملحقا بـ تاريخ الوزراء ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣) والسري الرفاء ومنهما مكاتبات شعرية (انظر اليثيمة ، ج ٢ ، ص ١٣٢ و ١٤٦ - ١٤٨ و ١٧٤) وابو محمد جعفر ابن ورقاء الشيباني واخوه ابو احمد عبد الله وهما من رؤساء عرب الشام وقوادها (اليثيمة ، ج ١ ، ص ٩٥) وكان بين ابي محمد وابي اسحاق مودة وتزاور ومكاتبات شعرية (انظر اليثيمة ، ج ١ ، ص ٩٧ - ٩٨ و روضات الجنات ، ج ١ ، ص ١٦٥) ولابي احمد مديح للصابي في اليثيمة ، ج ١ ، ص ٩٨ والشاعران الخالديان : ابوبكر محمد وابو عثمان سعيد (للصابي قصيدة في مدحهما في اليثيمة ، ج ٢ ، ص ١٨٣ و اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٨٧) وابو الفرج البغفا ومنهما مكاتبات ايضا (انظر اليثيمة ، ج ١ ، ص ٢٥١ - ٢٥٥) وقد مدحه التوحيدى في الامتاع (ج ١ ، ص ٦٨) وقال عنه في مشالب الوزيرين (ص ٢٧٤) : " كان كاتب زمانه ، لسانا وقلما وشما ئل وكان له مع ذلك يد طويلة في العلم الرياضي " . هذا بالاضافة الى علاقاته بالوزراء الذين كتب لهم كالمهلب ، والذين لم يكتب لهم كتاب ، الفتح بن العميد ، الذي اشار بابي اسحاق في احد مجالسه حين قدم بغداد سنة ٣٦٤ قائلا : " ذاك رجل له في كل طراز نسج ، وفي كل فضاء رهج ، وفي كل فلاة ركب ، ومن كل غمامة سكب ، الكتابة تدعيه باكثر مما يدعيها ، والبلاغة تتحلى به باكثر مما يتحلى هو بها . "

امتن هذه العلاقة كانت مع اثنين من اعيان القرن الرابع الهجري ادبا ورئاسة
نعني بهما الشريف الرضي والصاحب بن عباد . (١)

علاقته بالشريف الرضي :

ربطت ابا اسحاق والشريف الرضي علاقة متينة بالرغم من فارق السن بين الاثنين
ومن اختلاف الملة . ولسنا ندرى بالتحديد تاريخ بداية هذه العلاقة الا ان اقدم ما ورد في
الكتاب الذي ضم المراسلات الشعرية والنثرية (٢) بينهما هي ابيات اربعة من الشعر
مؤرخة بسنة ٣٧٦ ومطلعها :

" اقدمت ا زمانة وزمان عائق عن قضاء حق الشريف " (٣)

(١) يمكن ان يضاف اليهما الزير المملوك الذي عمل الصابي في خدمته فترة طويلة وكان اثرا لديه .
وقد مر بنا ان علاقة وثيقة كانت تربط بينهما لكن عدم دراسة هذه العلاقة ضمن علاقاته
بشخصيات العصر عائد الى انها درست مفصلة ضمن حياة الصابي ثم انها كانت واضحة
وخالية ، كما يبدو ومن اية ابعاد سياسة او اي تعقيد او غموض .

(٢) هو كتاب رسائل الصابي والرضي .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧ - ٨ وديوان الشريف الرضي (بيروت : دار صادر ودار بيروت ، ١٣٨٠ / ١٩٦١)

ج ٢ ، ص ٢٦ .

يعتذر فيها ابواسحاق عن عدم قدرته على زيارة الشريف بالزمانة والضعف اللذين يصيبانه
فالصابي كان في ذلك الحين في الثالثة والستين يعاني العلة ، فيما الرضي فتى يافع في السابعة
عشرة . ثم امتدت العلاقة بين الاثنين على ما يسجله كتاب رسائل الصابي والرضي ، حتى وفاة
ابي اسحاق ، فقد كتب الشريف ردا على الابيات المذكورة قصيدة مطلعها :

" كم ذميل اليكم ووجيف وصدود عنا لكنم وصدوف "

يشيد فيها بفضل الصابي وصبره ويمدح بلاغته (١) . ثم نجد الشريف يكتب للصابي طلبا
بانشاء عهد عن الخليفة الطائع لله سنة ٣٨٠ وقد رسم له عن الطائع تقليد نقابة نقباء
الطالبين والنظر في امور المساجد وخلافه والده في ولاية المظالم والحج بالناس . (٢)

سنة ٣٨٠ توفي سنان بن ابي اسحاق فكتب اليه الشريف رسالة تعزية (٣) بعد

" ان كان لقيه بنفسه معزيا . وفي رجب من سنة ٣٨٤ كتب ابواسحاق الى الشريف قصيدة يمدحه

فيها ويشكو اليه زمانته وعجزه (٤) . وكان آخر ما كتبه للرضي تهنئة بعيد الفطر سنة ٣٨٤ وكان

(١) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٨ - ١٤ وفي ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ٣٠

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٣ - ٧٥ وجواب الصابي في المصدر نفسه ، ص ٧٥ - ٧٦ .
وقد تكرر هذا الطلب سنة ٣٨١ بتقليد الشريف عملا آخر . انظر المصدر نفسه ، ص ٧٧ -

٧٩ - ٨٠ و ٨١ .

(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ٦٣ - ٧٠ والجواب عليها في المصدر نفسه ، ص ٧١ - ٧٢

(٤) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ١٥ - ٢٠ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ - ٣٠١

ومطلعها :

لها ارجل يسعى بها رجلان .

" اذا ما تعدت بي وسارت محفة
والجواب عليها قصيدة مطلعها :

وديني على من لو يشاء قضاني "

" ظمائي الى من لو اراد مقاني "

(رسائل الصابي والرضي ، ص ٢١ - ٢٦ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣) .

بين ارسالها اليه وبين موته اثنا عشر يوما وربما كانت آخر ما كتبه . (١)

هذا باختصار مسار الرسائل التي تبادلها الصابي والرضي بين سنتسي

٣٧٦ و ٣٨٤ وهي وسواها مما لم يعرف تاريخه تساعدنا على تفهم العلاقة التي يمكن ان تربط

فتى من الاشراف بشيخ من الصابئة . ومن خلال هذا النتاج الادبي الرائع من النثر والشعر

تبدو هذه العلاقة متينة ونبيلة وتتخذ عدة اوجه :

الوجه الاول : الصداقة والود ، حيث يصف الشريف صديقه في رسالة تأبين كتبها بعد وفاته

" بالصديق الصادق والحميم الموافق " . (٢) وفي رد على رسالة تهنئة بلغفر كتبها الصابي

سنة ٣٨٤ معتذرا عن عدم قدرته على موافاة الشريف بنفسه ، يقول الشريف واصفا مكانة الصابي

لديه : " وقد قبلت عذره ، ادام الله عزه ، في التأخير عني ، وكيف لا اقبله وانا احق به واولسى

بمثله ، لانني الناهض السارح وهو القاعد الراح ، وانا المطلق المحلول وهو المزموم المعقول .

وانا الاقدر على الخطوات وهو الاضعف عن الحركات . وانا طليق السن النامية وهو اسير

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ بعض هذه التهنئة شعرو بعضها نثر . الشعر قصيدة طويلة
مطلعها :

" ابا كل شعبي قيل في وصفه حسن الى ذاك نهجو من كناك ابا الحسن "

وهي في رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٧ - ٣١ وفي اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ والنثر

في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٩ - ٩٧ والجواب على الشعر في المصدر نفسه ، ص ٣٢ - ٣٩

و اليتيمة ج ٢ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ وعلى النثر في رسائل الصابي والرضي ، ص ٩٨ - ١٠٢ .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٥ .

السن العالية ، والشوق يجذبني اليه كما يجذبه الي ، والنزاع يهفوي بي نحوه كما يهفو
به نحوي ، فتالله انه الحقيق بالعدر وانا الخلق باللوم والعدل ، ان لم يشهد لسي
قلبه بصدق الطوية ويحملني على باطن النية ولم لا وقد وضعنا قد مينا في قبال واحد ،
واستهمنا في طارف من الادب وتالد ، ووالله انني لاتمنى ان ينفرج له صدرى انفراجة
فيرى فيه مكانه المكين ووده المصون ، اللذين لا يشاركه فيهما مشارك ولا يملك موضعه منهما
مالك " (١) . وفي قصيدة كتبها الشريف ردا على شكوى الصابي من العجز ، يقول واصفا
علاقة الاخاء التي تجمعهما : (٢)

فلولا ابو اسحق قل تشبثي	بخل ، وضربي عنده بجران
هو الالافتي عن ذا الزمان واهله	بشيمة لا وان ، ولا متوان
(٣)	(٤)
اخاء تساوى فيه انسا والفة	رضيع صفا ، اورضيع لبان
(٥)	
تمازج قلبانا مزاج اخوة	وكل دلوبي غاية اخوان

وغيرك ينبو عنه طرفي مجانباً	وان كان مني الاقرب المتداني
-----------------------------	-----------------------------

-
- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
(٢) القصيدة في ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ ، ورسائل الصابي والرضي ، ص ٢١
واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(٣) في اليتيمة : " ودا " .
(٤) في المصدر نفسه : " لا " .
(٥) في المصدر نفسه : " تمازج اخوة " .

(١)

ورب قريب بالعداوة شاحط ورب بعيد بالمودة داني
ولو ان لي ، يوما على الدهر امرة وكان لي العدو على الحدثان
خلعت على عطفك برد شبييتي جوادا بعمرى واقتبال زمانسي
وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي وان فل من غربي وغض عنانسي

والرسائل الشعرية والنثرية المتبادلة بين الاثنين تزخر بأمثلة هذا الكلام من وصف
للسداقة والمحبة بينهما ، خاصة منها ما كتبه الشريف الرضي بعد وفاة الصابي من تأبين
ورثاء مما سنعود لذكره فيما بعد .

ولو ان قصائد ورسائل الشريف اصدق واقوى في تصوير هذه العلاقة
الا انه لا بد من ذكر بعض كلام الصابي في الشريف : ولولا العلة التي قد اخذت بمختقي
وجثمت على مدارج نفسي ، لما اخللت بقصد حضرته والمواظبة على خدمته ، فאלله سبحانه
يعلم ان عيني ما تكتحل بغرة هي اعز علي من غرته ، ولقد اهدى اليّ يوم تجشمه العناء
الى داره التي انا ساكنه فيها بمشاهدة ضياء وجهه ومناسمة شريف خلقه ، تحفة لا يكار
الزمان يسمح لي بمثلها ، ولا يمكنني من اهتبال غرتها . (٢) ويبدو من الامثلة المذكورة
اتسام عاطفة الشريف بالوجدانية والصدق وعدم التكلف ، اما الصابي فقد وسم وصفه

لشريف بالاحترام والتشريف نسبة لمكانته الدينية الكريمة .

(١) في اليتيمة : " ساخط " وفيها يأتي هذا البيت قبل البيت السابق .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٨٠ .

ثم ان هذه الصداقة كانت تترجم اعمالا ، فنرى

الرضي مثلا الى جانب صديقه حين وفاة ابنه سنان ، فلم يكفه ان يمضي اليه معزيا حتى كتب له رسالة فيها كل ما يقال مما يقوى النفس ويعزز الايمان (١) ، ويطلب منه في نهايتها ان يجيبه عليها كي يطمئن الى انها لاقت صدى في نفسه وانه عاد الى السلوة والعزاة .

ولابد ان يكون موقف ابي اسحاق منه مماثلا حتى نجد الشريف يقول في رسالة

بعد وفاة الصابي : " ان فقدته اعرى ظهري على كثرة حمايتي وانصاري واوحدني على اقاربسي وعشائري ، وجرعني من شكله غصة لا ازال اجد مرارتها في لهواتي ، واحس بالمها ما بين اضلاعي ابدا " (٢) .

ويمكن ان نحدد لهذه الصداقة بين الاثنين اسبابا معينة منها اعجاب كل منهما

بمناقب الآخر وفضله ، فالرضي يرى ان الصابي متكامل الصفات والفضائل والاخلاق حتى لو طلب فيه عيب او نقص لما وجد باستثناء الاسلام ، حيث ان فضائله دنيوية " فلعمري لو طلب فيه عائبه خلة تحتاج الى ان تتهم ونقيصة يجب ان تتم من الفضائل الدنياوية والمناقب الاكتسابية ، لاعجزه ما طلب واعياه ما اراد والمتمس " (٣) وفي كتاباته اليه الكثير من الوصف لفضله ومناقبه . اما ابو اسحاق فيضاف الى اعجابه بصفات الشريف وخلق

(١) الرسالة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

اعجابه بنسبه الكريم . فقد كتب قصيدة في مدحه ، (١) كانت مدحا لهذه الجماعة
الى العلوية واعلاء شأن الرضي من بينها من ابياتها :

" ابا كل شي * قيل في وصفه حسن الى ذاك ينحو من كناك ابا الحسن
الستلها بعد الوصي ، وآله وانتم اناس فيكم المجد قد قطن
مناقبكم حق بدت بيناتـه ودعواه اصفاء يراهن في الوسن
توقلت في كل هضبة سوء د فافيت واستعليت منها على القن
نقسم هذا الفضل بين طوائف واقسامه مجموعة فيك تختزن
غدوا لك كالأبعاض ان انت كلهم كاملا عجيبا مثله قط لم يكن "

وقد كان الرضي يشمر بفارق النسب والميلاد بينه وبين صديقه ، وربما كان يلام على
صداقته لهذه الاسباب ، فنراه يفتش عن علائق امتن من علائق النسب والميلاد ليبرر هـذه
الصداقة وهي المناسبة في الفضل ، فيقول في رثائه :

" الفضل ناسب بيننا ان لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي " (٢)

وفي ذلك يقول نثرا : فالأمكن قريني سنا ولدة ، فانه قريبي صفا ومودة . والا يكن موازني

شرفا وحسبا ، فانه مساهمي فضلا وادبا . (٣)

-
- (١) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ص ٢٧ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .
(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٣ ود يوان الرضي ، ج ١ ص ٣٨٥ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .
معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٨ وفي رسائل الصابي والرضي واليتيمة : " ان لم يكن " .
(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٧ .

ثم ان طبائع الرجلين كانت متوافقة ، فكان كل يرتاح لحديث الآخر ، اغافة الى الثقة المتبادلة . فيصف الشريف الصابي بانه " شاهد لخاطري في المناقشة وحافظ لسري عند المباشرة " . (١) ونجد الصابي يوصي الرضي بحفظ اولاده والعناية بهم بعد وفاته :

" هنالك فاحفظ في بني اذمتي وذر عنهم روعات كل زمان
فاني اعتد المودة منك لـي حساما به يقضون في الحدثن
ذخرت لهم منك السجايا وانها لانفع مما يذخر الابنوان
وفاء ومدا للجناح عليهم وضنا بهم عن مس كل هوان " (٢)

الوجه الثاني للعلاقة بين الاثنين هو الوجه الادبي ، ان كلا الرجلين من اهل الادب ، انما يغلب النشر على ادب الصابي والشعر على الرضي ، ويبدو ان كلا منهما يقدر ناحية ابداع الآخر . فالشريف يقدر نشر الصابي وفنه الكلامي لذلك رأينا انه كان يطلب منه انشاء المهدود له عن الطائع لله . (٣) وقد وصف الشريف نشر الصابي بقوله : " جاريا على رسمه (٥) في ابراد الفرر وزواج الفقر والاستكثار من المعاني المضيئة والالفاظ الجليلة " . (٤) وقال فيه :

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٧ .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٨ - ١٩ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٣) انظر رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٣ و ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(٥) الابيات في المصدر نفسه ، ص ٣٥ وديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ واليتيمة ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

” مسود ^(١) قصب الاقلام نال بها نيل المحر اطراف القنا للندى

ان لم تكن تورد الارماح مورد ها فما عدلت الى الاقلام عن جبن

والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد كما لقائل القولة الفراء عن لسن .

اما الصابي فكان يعرض على الرضي بعض ما يكتبه من شعر ليحكم له فيه ، من ذلك

ما ارسله من مجموعة مقطوعات شعرية حول حفظ السرسنة ٣٨٢ هـ . (٢) ومن اقوال

الصابي مما يدل على اعجابه بأدب الشريف ماجاء في جواب على طلب الشريف انشساء

نسخة عهد :

” والله ياسيدى لو كتبت انت ما استكتبتني ، وكفيت نفسك ما استكفيتني ، لكنك

اجراً مني يدا ولسانا ، واطول شأوا وميدانا ، واكثر اصابة واحسانا ، لانك ترجع الى نسبك

العربي الشريف ، وادبك المنيف ، فتكون بهما احز مني لمفاصل الكلام واسبق الى درك

المرام . (٣)

وقوله : ” فوالله ما قرع الاسماع احسن من نظمه اذا نظم ، ونثره اذا نثر ، وحكمه

اذا حكم ، وفصله اذا فصل ، فلو استطعت ان اسعى الى انامله التي سطرت تلك البدائع

ورصفت تلك الجواهر لفعلت مسارعا حتى اودعهن عن كل حرف قبلة واستلمهن جملة

(١) في اليتيمة : ” مسنود ” .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

اذ كن للفضائل معادن وللمحاسن مكان . (١)

الوجه الثالث للعلاقة هو الوجه السياسي وقد تناولت هذه الناحية غير دراسة
ادبية . منها كتاب حياة الشريف الرضي للشيخ عبد الحسين الحلي وكتاب الشريف
الرضي للدكتور احسان عباس ، بالإضافة الى اشارة بعض المصادر والمراجع ، الى هذا الامر
اشارة عابرة . (٢)

تتلخص هذه المسألة بالقول ان الشريف الرضي كان ذاهمة عالية وطموح كبير بلس
به حد الطمع بالخلافة والعمل من اجل تحقيق ذلك ، يعزز هذا الطموح لديه انتسابه
الى بيت النبوة وموهلاته وقدراته العالية . وديوان الرضي يزخر بشعره المليء بالشجوة
والعزم على الوصول الى غايته هذه كقوله :

ما انا للعليا ان لم يكن من ولدي ما كان من والدي

- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٩٤ .
(٢) روضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ و ٢٠٤ وزكي مبارك ، النثر الفنى فى القرن
الرابع (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٢ / ١٩٣٤) ج ٢ ،
ص ٢٩١ ومقدمة ديوان الشريف الرضي (شرح وتعليق كامل سليمان ، بيروت ، دار
الفكر ومكتبة العرفان ، ١٩٥٦ / ١٣٧٥) ج ١ ، ص ٨ ومقدمة ديوان الرضي ، ج ١ ص ٥ -
٦ (دار صادر . وهذه النسخة هي المعتمدة في هذا البحث) السيد محمد حسين
فضل الله " تأملات حول شخصية الشريف الرضي " ، الثقافة الاسلامية ٢ (١٤٠٦ هـ)
ص ١٢ .

ولامشت بي الخيل ان لم اطا
سرير هذا الاغلب الماجد * (١)

وقوله عن نفسه :

* هذا امير المؤمنين محمد
كرمت مفارسه وطاب المولد * (٢)

وقوله في امير المؤمنين القادر بالله سنة ٣٨٢ :

* عطفنا امير المؤمنين ، فاننا
في دوحة العليا * لانتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت
ابدا كلانا في المعالي معرق

الا الخلافة ميزتك فانني
انا عاطل منها ، وانت مطوق * (٣)

وقد سيطر هذا الطموح على شخصية الرضي وعلاقته بالملوك والخلفاء وطبعها بظلمه ،

كما كان له الاثر الكبير على حياته . (٤)

(١) ديوان الرضي ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٧ .

(٢) ديوان الرضي ، ج ١ ، ص ٤٠٩ وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٤٢ وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٢ .

(٤) في كتاب الحلي حياة الشريف الرضي ، شرح واف لبواعث هذا الطموح ومراحلها ، انظر الصفحات ٦ و ١٢ - ٢٧ و ٣٨ وخاصة ٤٧ - ١٠٥٤ ما كتب الدكتور عباس ، الشريف الرضي ، فیرافق تقلبات هذا الطموح في نفس الشريف بين ثورة وخمود وقوة وضعف . انظر الكتاب خاصة منه الصفحات : ١٥ - ١٦ و ٧٨ - ٩٥ و ٩٨ - ١٠٩ و ١١٣ - ١٢٦ و ١٤٢ - ١٤٣ .

اما ابواسحاق الصابي ، الشيخ المحنك ، ذو الخبرة بالزمان ، والمعرفة بعلم

النجوم ، فقد بشر الرضي في احدى قصائده اليه بانه سيصل الى مطامحه قائلا : (١)

" ابا حسن لي في الرجال فراسة تعودت منها ان تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك انك ماجد سترقى من العليا بعد مرتقى (٢)

فوفيتك التعظيم قبل اوانه وقلت اطل الله للسيد البقا

واضمرت منه لفظة لم ابح بها الى ان ارى اظهرها لي مطلقا (٣)

فان عشت او ان مت فان ذكر بشارتي (٤) واوجب بها حقا عليك محققا

وكن لي في الاولاد والاهل حافظا اذا ما اطمأن الجنب في مضجع النقا (٥)

والسؤال هو : هل كان لهذه الفراسة الواضحة والموكدة من قبل صاحبها تأثير على نفسية

الشريف وحياته ؟ هنا نجد اختلافا في نظر الدارسين . لذا لابد من استعراض بعض الآراء

التي قيلت في هذا الموضوع ومناقشتها بغية الاستفادة من ذلك وللمزيد من الايضاح .

(١) الابيات في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٠ وديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٨٩ - ٩٠

وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(٢) في روضات الجنات : " السى " .

(٣) في ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ : " اطلاقها " .

(٤) في روضات الجنات : " فان مت او ان عشت " .

(٥) في ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ : " في موضع البقا " .

عد بعض الدارسين هذه الفراسة اسطورة او خرافة لا يمكن ان يدخل مثلها الى قلب الشريف وعقله . (١) وكان الاخذ بهذا الكلام نوع من السخف حاشا للشريف ان ينزلق اليه . وهذا الرأي يدحضه امران : ثقة الشريف بالصابي واطمئنانه اليه ، ثم القصيدة التي اجاب الشريف بها فراسة الصابي والتي مطلعها : (٢)

" سننت لهذا الرمح غربا مذلقا واجريت في ذا الهند واني رونقا "

وفيها يقول واعدا الصابي بالسعي لتحقيق ظنه وبنصيبه من العز الذي سيبلغه :

(٣)

" لعن برقت مني مخايل عارض لعينيك تقضي ان يجود ويفدقا

(٤)

وان ترليثا لاثدا بفريسة يراصد غرات المقادير مطرقا

فما ذاك الا ان يوفر طعمها عليك اذا جلى اليها وحققا

وان يرق يوما في المعالي فانه سما ليوقتي وطه رجلك مزلقا

وان يسع في الامر العظيم ، فانما سعى لك في ذاك الطريق مطرقا

(٥)

فان راشني دهرى اكن لك بازيا وسرك محصورا ويرضيك مطلقا

(١) مقدمة ديوان الرضي لكامل سليمان ، ج ١ ، ص ٨ .

(٢) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤١ وديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ والبيتان الاولان منها في روضات الجنات ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(٣) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤١ : " لعينك تقضي :

(٤) في المصدر نفسه : " لا بدا . "

(٥) في المصدر نفسه ، ص ٤٣ : " دهر :

أشاطرك العز الذي استفيد ه
بصفقة راض ان عنيت واملعا
وان تعطيني الاعظام قولاً فانني
ساعطيك فعلاً منه اذكي واعبقا
فوالله لا كذبت ظنك انـه
لعار اذا ما عاد ظنك مخفقا
فان الذي ظن الظنون صوابا
نظير الذي قوى الظنون وحققا

فيما يعترف البعض ان لكلام الصابي نوع من الالقاء بهذه الفكرة للشريف تحبباً او تزلفاً (١) .

اما صاحب كتاب حياة الشريف الرضي فيعبر عن هذه الفراسة " بالمعازفة " والواربة (٢) ويرى ان التأثير عكسي فحب الخلافة الذي مزج نفس الشريف منذ صباه هو الذي اثار شعور الصابي هذا (٣) وقد كان الصابي - كما يقول - يهدف من خلال ذلك الى استعادة مقامه الاول بعد ان افقده ايامه مضى الدولة واهانه (٤) .

اما تعليل الدكتور عباس لهذا الموضوع فيمكن اختصاره على الشكل التالي : ليس

الصابي " خبيثاً ماكرًا " في " نهضة " (٥) وهناك عدة عوامل دفعت اليها :

— كان يظهر له من خلال قصائد الرضي طموحه الى الخلافة والمجد وتغنيه بالحرب ، والسلاح

(١) م . فضل الله تأملات حول شخصية الرضي ، ص ١٧ .

(٢) الحلبي ، حياة الرضي ، ص ٥١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) عباس ، الشريف الرضي ، ص ١١٤ .

أداة الثورة .

— معرفة الصابي بأن المتريعين على عرش الخلافة لا يمتازون عن الرضي بعقل ولا أدب ولا طموح .

— ربما لفته انتصار العلوية في كل مكان فلم يبق الا ان يكون الخليفة في بغداد عظميا .

— السنوات تقترب من نهاية القرن حين يمكن ان يبعث الله للناس اماما ليحدد لهم دينهم (١) ويرى الدكتور عباس ايضا ان لهذا الكلام الصادر عن الصابي موقعا عميقا في نفس الرضي نظرا لاحترامه له وثقته به وتجربته ، ثم لكونه صابيا عارفا بالنجوم . (٢) .

نلاحظ انه في الرأي الاول يرتبط التحليل بحياة الصابي وغاياته حيث يعتبر المؤلف ان رغبة الصابي في استعادة مركزه بالاضافة الى ما يعرفه من طموح الرضي للخلافة ، املت عليه هذه الفراسة ، لذا فهو موارب ومآذق ، اما الرأي الثاني فيربط الفراسة بشخصية الصابي ، وخبرته حيث اتخذ من معرفته بحياة الرضي ، وافكاره ، ومن مراقبته الوضع السياسي في عصره عامته ورسميا من معرفته بعلم النجوم دلائل على فراسته هذه ، ونلاحظ انه لا اثر في هذا الرأي لغايات خاصة للصابي وربما لهذا السبب لم يعتبره خبيثا او ماكرا . ولا بد من الانتباه الى امرين في هذا التحليل : الاول هو ان انتصار العلوية في بغداد وسلمهم الحكم لم يكن امرا متيسرا او متوقعا لتقسك البويهيين ، اصحاب السلطة الحقيقيين ، بالخلافة العباسية . اما الامر الثاني فهو ان الاعتقاد بإمكان ان يبعث الله في نهاية كل قرن اماما يحدد للناس دينهم هو اعتقاد اسلامي من الصعب ان يؤمن به ابو اسحاق العباسي المعتقد . ثم ان الشريف قد لا يكون الامام الذي يصلح للناس دينهم مع سمو اخلاقه وسمائله وذلك انه لم

(١) عباس بن الشريف الرضي ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه .

يتحدث عن الخلافة ، كضمون سياسي يحقق من خلاله اهدافا اسلامية تحل مشاكل الناس ، كما انه لم ينطلق من مشاكل الامة المصيرية - من ظلم الحاكم وجهل المحكوم - ليضع برنامجا لتغيير الواقع هو انما كانت مسألة الخلافة بالنسبة اليه مجرد طموح يرضي نزعة الشعور بالعظمة الذاتية لديه المكتسبة من كنيسته المميزة وانتسابه الى بيت النبوة . (١)

لنلاحظ الآن بعض الحقائق المستقاة من النصوص :

اولا : نجد في بعض شعر الشريف ما يدل على نوع من المشاركة بينه وبين الصابي في نيل غاية واحدة كما في جوابه على فراسة الصابي حيث يؤكد على مشاركته فيما سيصل اليه ، (٢) وفي قصيدة اخرى يقول :

" تمازج قلبانا مزاج اخوة وكل طلوبي غاية اخوان " (٣)

فلنطبق هذه الفكرة في ذهننا ، وننتقل الى نص آخر نستخرجه من رسالة في تأبين الصابي كتبها الشريف الى بعض الرؤسا * :

* ان فقدنا اعرى ظهري على كثرة حمايتي وانصاري ، واوحدني على اقاربي وعشائري

(١) فضل الله ، تأملات حول شخصية الرضي ، ص ١٨ .

(٢) راجع الابيات المذكورة ص ١١٢ - ١١٣ من هذا البحث وانظر القصيدة كاملة فسي

ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ ورسائل الصابي والرضي ، ص ٤١ .

(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٤ وديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤١ والبيتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ . وفي البيتيمة " تمازج اخوة " .

وجرعني من شكله غصة لا زال اجد مرارتها في لهواتي ، واحس بالمها ما بين اضلاعي
ابدا ، ما اطيل لي في الامل وروخي لي من الطول ، حتى لقد ضاقت لذلك مفاخ قلبي و ضعفت
حوامل جسمي ، وحننت الى قرب الوفاة وسئمت تكاليف الحياة " (١) ثم قوله : " لقد فجعت
منه بفصن الفضائل الوريق ، ولسان المناقب الذليق ، والاروع الذي ماضل في مسارح الخطوب ،
ولم يظلم باعباء الامور . ولا التفت عليه العظام الا فرجها ، ولا استجيبتم دونه المضائق
الا ولجها ، ولا جرد في مهم الا كفاء ، ولا استطب لدا ، الا شفاء " . (٢) وقوله : " لقد وجدت
به وجد الرؤوم ببيكرها وقد فقدته ، والبغوم بطلاها وقد اضلته ، وسلبنيه الزمان آنس ما كنت
بفضله ، واحوج ما كنت الى مثله ، شا هذا لخاطري في المنافة وحافظا لسرى عند المباينة " (٣)
وقوله : فياليت شعري على ما آسى من ابي اسحاق بعد خلوميكانه وتهافت بنيانه :
على رياسته القديمة وقدمه المتقدمة وتقلبه في الدول يستمد ها من التجارب وتستمد ه من
المناقب ، وتكسوه ملابس العز والفخر ، ويكسوها ملابس الصيت والذكر ، ام على انقطاعه من
المجارين وانفراده عن المبارين ، وحصوله في البلاغة لمعة ساطعة الشعاع وغرة سائلة القناع ،
وسابقا قد اعجز الطالبين وامن اللاحقين " . (٤)

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

هذه المقطوعات تبين لنا عدة أمور :

اولا ، الصابي سند للرضي يعتمد عليه حتى يشعر بعد فقدّه بالضعف مع وجود الانصار وبالوحدة مع وجود الاقارب ، ولا بد من الاشارة الى ان الرضي كثيرا ما فضل الصابي على اقاربه في شعره (١) ، وهو عامة يضيق بهؤلاء الاقارب نظرا لما بينهم من تنافس على السلطة والنقابة وغير ذلك . (٢)

اذا فالتأثير الذي تركته وفاة الصابي كان كبيرا على الشريف حتى بلغ به الضعف والتأثر ان تمنى الموت لنفسه حين قال : " لقد ضاقت لذلك مفاسخ قلبي وضعفت حوال جسي بوحنت الى قرب الوفاة وسئمت تكاليف الحياة . "

الامر الثاني هو ثقة الشريف بمقدرة الصابي على تدبير الامور وتسييرها ، وايجاد الحلول والتخلص

من المآزق .

(١) من ذلك قوله : " وغيرك ينبوعه طرفي مجانباً
ورب قريب بالعداوة شاحط
(ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤) .
وقوله :
ان يدن قوم الى دارى فالفهم
فتأعني فانت الروح في البدن
فالمرء يسرح في الآفاق مضطرباً
ونفسه ابدا تهفو الى الوطن
والبعد عنك بلاني باستكانهم
ان الغريب لمضطرب الى السكن
انت الكرى موئسا طرفي وبعضهم
مثل القذى مانع عيني من الوسن " .

(ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ ورسائل الصابي والرضي ، ص ٣٦) .

(٢) عباس الشريف الرضي ، ص ٣٦ .

ثالثا : الموت وافى الصابي حين كان الرضي بأس الحاجة اليه يحادثه ويفضي اليه
باسراره .

رابعا : ايمان الرضي بكفاية الصابي في الرئاسة وسياسة امور الدولة وذلك بتجربته الفنية
وبلاغته العالية .

ثم لنترك هذا ايضا لنشير الى امر آخر مهم وهو شعور الرضي بالفن اللاحق بابي
اسحاق والظلم الذي تعرض له حين لم تعطه الايام ما كان يستحقه نظرا لما يتمتع به من
فضائل . من ذلك قول الشريف : (١)

ليس الحظوظ على الاقدار والمهن

" ما قدر فضلك ما اصبحت ترزقه

فزاد ما بك من عيظي على الزمن

قد كنت قبلك من دهرى على حنق

(٤) لي على قدر عقله المضعوف

وقوله : (٣) " ان شكواك للزمان مبين

(٥)

قع غلا للفاضل المعروف

ايعموم المجهول بحر اول بيت

ت ولكن انا فغير منيف

قد مت غيرك الجدود واخر

وهنا نجد شيئا مشتركا بين الاثنين : قد رات وموهالات عالية وحق مهضوم ، نقمة على

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٣٥ - ٣٦ ود يوان الرضي ج ٢ ، ص ٥٤٤ واليتيمة

ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٣٦ واليتيمة : " فسي " .

(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٢ ود يوان الرضي ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٤) في رسائل الصابي والرضي : " عن " .

(٥) في المصدر نفسه : " فيه " .

الزمن وطموحات مشتركة .

وهكذا أصبح لدينا الآن مجموعة من الحقائق يمكن تلخيصها بالقول ، ان الاثنين
يسعيان لفاية مشتركة . وان وجود الصابي كان دعامة كبيرة لعمل الشريف فضعف بعد وفاته
ثم ان الشريف كان مؤمنا بقدرات الصابي في سياسة الامور وتدبيرها ، معجبا ببلاغته
واهميتها في تسجيل آثار الدولة وبلاضافة الى ذلك يشعر بان الصابي لم يعط ما يستحق .
بناء على ذلك لا يستبعد ان يكون الصابي مستشار الرضي في اعماله ، ييوج له باسرار
وطموحاته فيجد لديه النصيحة الحكيمة التي استمدها من حياته الطويلة في الوسط السياسي
ولا يستبعد ايضا ان يكون قد اعد للصابي منصبا يتبوأه حين يتسلم زمام الامور ، كأن يكون مستشارا
له يستفيد من ارائه ، او صاحبا لذيوانه يرفع صيت الدولة ، اوربما وزيرا يعهد اليه بالمهم
من الامور اليس لدى الصابي الكفاية القائمة لقولي هذا الامر ؟ بلى وهذا ما يعرفه الرضي
جيذا . ويعرف ان الصابي لن ينافسه في امر بل سيكون صنيعته المطيع لذا يصح الاعتماد
عليه اكثر مما لو كان احد اقربائه خاصة انه سيوفر له مآثرته ايام الاحكام ذلك الزمان .
اما من ناحية ابي اسحاق فاغلب الظن انه لا يريد تحديدا استعادة كرامته التي
اهانها عضد الدولة ، كما ذكر صاحب كتاب حياة الشريف الرضي وانما يريد ضمانا

لنفسه ولا بناءه من بعده بان لا يتكرر ما فعله ضد الدولة به في زمن آخر ومع اشخاص آخرين .
فجماعة الصابئة في بغداد فئة قليلة العدد ضعيفة وسط المجتمع المسلم الضخم تريد العيش
بسلام وسيلتها الى ذلك العلم وحسن التصرف . وليس بعيدا ان يكون قد اعتمد في فراسته
على ما عرفه من طموحات الشريف ومن واقع الحال في عصره كما ذكر الدكتور عباس ، انمينا
كان للغاية الشخصية من طلب الضمانة والحماية له ولا بناءه الدافع الكبير في هذه الفراسة
والا اليس غريها ان يكون الصابي قد تنبأ ايها للصاحب بن عباد بالرفعة والعز وطلب منه
ايضا حماية ابناءه من بعده ؟

يقول الصابي في رسالة استمache كتبها الى صاحب بن عباد : " على انه لم يستوف
بعد حثله ، ولم يستوعب قسطه ، فان للدنيا مواعيد فيه لا بد من ان ينجزها بمساعيه وما اخاف
في هذا القول والحمد لله من غلط الفراسة ولا كذب المخيلة ولا بمعارضة المعارض ومناقضة
المناقض ، ولا اعدم صحة الشهادة وقيام الدلالة وقبول المستمع وتشجيع المتبع ، " (١)
ثم ان ابا اسحاق عند احسن بقرب وفاته سنة ٣٨٤ كتب الى صاحب كتابا
يسأله فيه الاستمرار في امداد ولده من بعده بالرسم المقرر لهم (٢) وقسرن الكتاب

(١) رسائل الصابي ، ص ٤٠٦ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ ويروي ياقوت عن هلال بن المحسن ان صاحب بن عباد
كان على اهتمامه ومراعاته لمن ببغداد والحرمين من كتاب وشعراء وادباء وزهاد
بيعت اليهم المال كل سنة مع الحاج علي منازلهم فيحمل الى ابي اسحاق بن هلال
خمسائة دينار والى حفيده هلال بن المحسن الف درهم (معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٠) .

بقصيدة يقول فيها :

التي بآيات تسروع وتذعر	" اسيدنا ان العنية اعذرت
على مورد ما عنه للمرء مصدر	لها نذر قد آذنتني بهجمة
اذا غمضت عينا وعينك تنظـر	وحق لنفسك كان منك معاشها
حضائك طابت نفسه حين يقبر	ومن وراث الا ولا بعد وفاته
واطلبه والجنب مني معفـر	أأطلب منك الرفد عمرى كله
لها موقف فيه لك الحمد ينشر" (١)	وليست باولى بدعة لك فى الندى
وهذا شبيه جدا بما كتبه فى السنة نفسها الى الشريف الرضى من قصيدة : (٢)	
وكان يرينى غفلة المتوانس	" هو الاجل المحتوم لى جد جده
له لست منها آخذا بأمان	له نذر قد آذنتنى بهجمة
سيأتى فلا يثنيه عنى ثانى	ولا بد منه مهلا او معاجلا
وزد عنهم روعات كل زمان	هنالك فاحفظ فى بني اذ متسي
حساما به يقضون فى الحدشان	فاني اعتد المودة منك لى
لا نفع ما يذخر الابوان	ذخرت لهم منك السجايا وانها
وضنا بهم عن سر كل هوان" (٣)	وفاء ومدا للجناس عليهم

(١) معجم الادباء، ج ٦، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) القصيدة فى رسائل الصابغ، والرضى، ص ١٥، والبيتيمة، ج ٢، ص ٢٩٩ ومطلعهما :

" اذا ما تعدت بى وسارت محفة
لها ارجل يسمى بها رجلا ن."

(٣) رسائل الصابغ والرضى، ص ١٨ - ١٩، والبيتيمة، ج ٢، ص ٣٠١.

وقد افطنا في ذكر ابيات القصيدتين لما بين معانيهما من تشابه وحتى بين

الالفاظ ايضا ، ونراه يتوسل الى كل منهما بما يربطه به من علاقة فالاول يرفده بالمال لذا يطلب منه الاستمرار في ذلك والثاني تربطه به مودة يرى من مستلزمات رعاية ابنائيه من بعده . هذا الامر يؤكد لنا اهمية دور الجانب الشخصي في موضوع الفراسدة على ان هذا لا يعني انه يمكننا ان نسمي هذه الفراسدة مواربة ومماذقة لان تحققها يشكل نتيجة منطقية لطموحات الشريف وسميه اليها .

اذا يمكن القول ان الصابي كان معينا للشريف الرضي على تنفيذ مآربه بما يقدمه له من دعم معنوي ، ان يحفظ اسراره او بتثبيته على السعي فيما يريد ، او بمداه بالمشورة والرأى وذلك لما كان يرى في الشريف من رغبة في هذا الامر واستحقاق له ولما كان يطوى في نفسه من توق الى توفير السلام والامن له ولابنائيه من بعده .

لكن ربما كان الامر ابعد من ذلك وان العلاقة بين الاثنين يمكن ان تفسر بنوع من التوافق السياسي والمصلحة المشتركة . فاذا عدنا الى حياة كل منهما وجدنا فيهما فترة مظلمة يمكن ان تسمى بزمان النكبة وهو عهد عضد الدولة .

فالصابي قد اهين في هذه الفترة وانزل من مكانته العالية ليسجن ويصادر
ما الجأه الى استعطاف هذا وذاك من الكبراء للشفاة له اولمده بالمال اما الرضي
فقد كان طفلا ابن عشرين سنوات حين اعتقل ابوه وعمه في فارس . (١) ولا يستبعد ان يكونا
قد صودرا ايضا ، اما احباؤه واصدقاؤه ابيه فقد خضعوا لتدابير عضدالدولة فهم —
بين حبيس وقتيل . (٢)

فاذا كان قد تأكد لدينا استنادا الى الرسائل المتبادلة بين الشريف والصابي
انهما كانا على علاقة جيدة سنة ٣٧٦ فهذا لا ينفي احتمال ان تكون العلاقة اسبق
في الزمن او ان تكون قد ابتدأت بعلاقة ماربطت بين الصابي ووالد الشريف . ابي احمد
الموسوي ربما اقتضت على المعرفة المتبادلة ، والمودة والاحترام المهم ان
الشريف والصابي عاشا الظروف نفسها في عهد عضدالدولة وهذا ما يحصرهما في خانة
واحدة : خانة المضطهدين من قبل الحكم . وتختلف طرق التعبير عن هذه المعارضة ،
فظهر تعبير الشريف في طموحه لنيل الخلافة وسميه العملي من اجل ذلك : اما
الصابي فانه قد وجد فتى شريفا صاحب طموح كبير فوجه اهتمامه اليه بكل ما يقوى لديه
آماله وطموحاته ، يريد ان يخلق به بدلا لما هو موجود على الساحة وان ينتقم به من
المسيئين الذين اساءوا اليه واحتقروا خدمته او ان يتوصل عن طريقه الى مركز قوة في الدولة .

(١) تجارب الاسم ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٢) الحلبي ، حياة الرضي ، ص ١٣ .

على هذا الاساس، يبدو الصابي صاحب اطماع يعلم انه لا يستطيع تحقيقها بنفسه بسبب سنه العالية ووضع الصعب، لذلك عمد الى العمل في الخفاء بأن وقف وراء الرضي يمدد بالعموم والثقة. فكان الرضي الشخصية التي ترضي طموحه وتحقق له ما لم يعد قادرا على تحقيقه بنفسه، اما بالنسبة للشريف فقد كان ابو اسحاق اكثر من هذا، كان السند القوى والدعم الثابت والمحفز الدائم، لذا نجد انه انتقده كثيرا بعد وفاته، وهذا يمكن ان يفسر الصدق في التعبير عن مشاعره نحوه ان خلال حياته او بعد وفاته والذي لا نجده بهذه القوة في كتابات الصابي الى الشريف او عنه .

هذه اهم جوانب او اوجه العلاقة التي ربطت الصابي بالشريف الرضي، وقد كانت على الاقل بالنسبة للرضي عميقة الاثر بعيدة الغور، فقد كتب في ابي اسحاق القوائد الجميلة والتي عرضنا لنماذج منها، فهو بالنسبة اليه جزء من الحلم الكبير الذي ملاء كيانه. ولما توفي ابو اسحاق رثاه الشريف بقصيدة طويلة مطلعها :

"ارأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النصارى"

وكان ان عتب على الشريف فيها كونه شريفا يرثي صابئا فبرر ذلك بالقول : " انما رثيت فضله . " (١) وقد كان من نصيب هذه القصيدة ان يفسرها ابن جني (٢) ضمن كتابه تفسير

العلويات . وهي اربع قصائد للشريف الرضي منها هذه القصيدة وقصيدته

(١) وفيات الاعيان ج ١، ص ٥٤ واعلام النبلاء ج ١٦، ص ٥٢٤ والوفات بالوفيات ج ٦، ص ١٦١ وشذرات الذهب ج ٣، ص ١٠٧ وروضات الجنات ج ٢، ص ١٦٦ . ويقال ان الشريف المرتضى اخا الرضي عندما سمع مطلع هذه القصيدة قال : نعم طمنا انهم حملوا على الاعواد كلها كاخرا صابئا عجل به الى نار جهنم . (تاريخ الحكماء، ص ٧٦) .

(٢) ابو الفتح عثمان بن جني النحوي، كان اماما في علم العربية وله مؤلفات عديدة . وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٢٤٦ .

ففي رثاء* الصاحب بن عباد . (١) وقد اعتبرت قصائد الشريف في رثاء*
الصاحب من اصنفق مراثيه واشجأها (٢) وهي ثلاث، الاولى المشار
اليها سابقا، (٣) ومنها :

من وقعه متتابع الا زباد	" جبل هوى لو خدر في البحر اغتدى
ان الثرى يعلو على الاطواء	ما كنت اعلم قبل حظك في الثرى
وعدت على ذاك الجواد (٤) عوادى	طاحت بملك المكرمات طوائج

-
- (١) معجم الادباء، ج ١٢، ص ١١٢ .
(٢) عباس، الشريف الرضى، ص ٢١٦ - ٢١٧ .
(٣) القصيدة في رسائل الصاحب والرضى، ص ٤٥ وديوان الرضى، ج ١، ص ٣٨١ واليتيمة، ج ٢، ص ٣٠٦ ومعنى ابياتها في معاهد التصحيح، ج ٢، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٤) في رسائل الصاحب والرضى واليتيمة : " الجلال " .

(٣)	(٢)
اسفا عليك فلان لرقاد	ولقد كبا طرف (١) الرقاد بناظري
أني ، ومثلك معوز الميلا (٤)	شكلتك ارض لم تلد لك ثانيا
والقلب بالسلوان غير جواد	(٥) ان الدموع عليك غير بخيلة
وغسلت من عيني كل سواد	سودت ما بين الفضاء وناظري
فلمثلته اعياء على المرتاد (٦)	لا تطلبي يا نفس خلا بعده
شرفي مناسبه ولا ميلادي	(٧) الفضل ناسب بيننا ، ان لم يكن
(١٠) فلانت اعلقهم يدا بودادي	(٨) (٩) ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي

- (١) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٨ : " طيف " .
 (٢) في البيئمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ : " منذ افتقدتك " .
 (٣) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٨ والبيئمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ : " لرقادي " .
 (٤) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٩ والبيئمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ : " معوز " .
 (٥) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٠ والبيئمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ : " اما " .
 (٦) في البيئمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ : " المقتاد " .
 (٧) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٣ والبيئمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ : " ان " .
 (٨) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٣ : " الا " .
 (٩) في المصدر نفسه : " وعشائري " .
 (١٠) في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٨ : " بغوادي " .

وتركت اضيقها علي بلادى *

ضاقت علي الارض بعدك كلها

وفي الشهر نفسه ، شهر وفاته ، اجتاز الشريف بقبوره بالجنينة من ارض كرخايا (١) فقال
يرثيه في قصيدة (٢) منها :

اقمنابه نغمى الندى والمعاليا

* ايعلم قبر بالجنينة اننا

(٣)

عظام المساعي لا العظام البواليا

حططنا ، فحيينا ساعيه انما

(٤) (٥)

من الدمع اوشال ملأ الما قيا

ومالاح ذاك التراب حتى تحلبت

نكفكف بالايدي الدموع الجواريا *

نزلنا اليه عن ظهور جيانا

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٦ ، وكرخايا نهر ببغداد تتفرع منه انهار عدة تدخل بغداد
ومنها انهار الكرخ كلها ، ويذكر ياقوت انه لم يبق لهذا النهر اثر في زمنه . انظر
الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت ، دار الكتب العلمية ، دون تاريخ) ، ج ١
ص ١١٢ - ١١٣ معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ . والجنينة : تصفير جنة وهي
الحديقة او البستان والجنينة : ارغ . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

(٢) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٦ ، ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ واليتيمة ،
ج ٢ ، ص ٣١٠ .
(٣) في رسائل الصابي والرضي واليتيمة : " عطفنا " .
(٤) في رسائل الصابي والرضي : " القرب " .
(٥) في اليتيمة : " تخيلت " .

ثم يختم قصيدته بالقول :

* رثيتك كي اسلوك فازد دت لوعة
لأن المراثي لاتسد المرازيا
وأعلم ان ليس البكاء بنافع
عليك ولكني امني الامانيا

آخر ما قاله الشريف الرضي في الصابي في جمادى الاولى سنة ٣٩٣ وقد اجتاز بقبره (١) فشمع
بالحنين والشوق اليه والى ذاك الزمن الذى جمعهما :

* لولا يذم الركب عندك موقفي ،
حييت قبرك ، يا ابا اسحق
كيف اشتياقك مذ تأيت الى اخ
قلق الضمير اليك بالاشواق
هل تذكر الزمن الانيق ، وعيشنا
يحلو على متأمل ومذاق
وليا لي الصبوات وهي قصائر ،
خطف الوميض بعارض مبراق
امضي وتعطفني اليك نوازع
بتنفس كتنفس العشاق
وانود عن عيني الدموع ولو خلت
لجرت عليك بوابل غيداق * (٢)

علاقته بالصاحب بن عباد :

اما علاقة ابي اسحاق الصابي بالصاحب بن عباد فهي مختلفة تماما منها مع الشريف
الرضي حيث يغيب هنا الجانب الوجداني او الاخواني ، لنجد علاقة اودية بين كاتب وآخر ،
او بينه وبين وزير ، اختصرها الصابي بالقول : " وما يزال بين رغبة مولانا صاحب الجليل

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٦١ ودیوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٢) المصدران نفسهما .

كافسي الكفاة ، ادام الله علوه وكبت عدوه ، في عبده ورغبة عبده اليه سر مكنون في الصدور ،
ومستور تحت الضلوع ، فهما يتناحيان به على بعد الدار ، ويلتقيان عليه بالافكار
فان مطلع من حجاب القلوب وشذ من ظهور الغيوب ، فان ظهوره يكون من جهته في نفحات
الانعام ، ومن جهتي في ثمرات الكلام " (١) .

العلاقة بين صاحب الصابي قد يمة يرجح انها تعود الى سنة ٣٤٧ حين ورد
الصاحب بن عباد الى بغداد برفقة الاميرابي منصور بويه من ركن الدولة (٢) - الذي لقب
فيما بعد بمؤيد الدولة - وكان كاتباً له (٣) . ويروي الصاحب في الروزنامة ان اول ما جرى
لدى قدومه العراق استدعاء الوزيرابي محمد المهلبى له وجمعه بينه وبين ندمائه (٤) .
في ذلك الحين كان ابواسحاق يكتب للوزير المهلبى ولا شك انه التقى الصاحب وعرفه كاتباً ،
وسنرى فيما بعد ان الصابي لم ينس انه عرف الصاحب كاتباً .

ولسنا ندرى كيف تطورت العلاقة بين الاثنين فيما بعد اذ ان رسائل الصابي الى
الصاحب والتي تلقي الضوء على هذه العلاقة معظمها متأخرة . ونستدل من كلام للصابي
في احدى رسائله اليه ، انه خدمه قبل ان يستوزر . يقول : " وانما خدمته ايام كانست

(١) صبح الاعشى ، ج ٨ ، ص ١٤٠ .

(٢) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الروزنامة ، ص ٨٧ . وفي المصدر نفسه ذكر لعدة لقاءات بين الصاحب والمهلبى .

رئاسته سرا في ضمير الزمان ، ودينا في ضمان الايام فكيف لورأيته آمرا ناهيا بيسسن
وسادتيه ، ورآني خادما ماثلا بين يديه " . (١)

ومهما يكن من امر فان صاحب بن عباد كان شديد الاعجاب بنثر الصابي وترسله
وقد عبرت المصادر عن ذلك بالقول : " وكان صاحب يحبه اشد حب ، ويتعصب له " (٢)
وكان للصاحب رغبة في رعاية من ينفذاد والحرمين من الكتاب والشعراء والزهاد فيبمسث
اليهم الصلات سنويا مع الحاج فكان يرسل الى ابي اسحاق خمسمائة دينار والى حفيسه
هلال الف درهم . (٣) وللصابي رسالة (٤) يتحدث فيها حول هذا الامر فيذكر ورود اثنين
من الحاج عليه مرسلين من صاحب ، يقول : " فعرجا الى ملعين ، وعاجا علي (٥) مسلمين
فحين عرفتهما ، وقبل (٦) ان ارد السلام عليهما ، مدت اليه اليهما ، (٧) كما مدها حسان

(١) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٩ ب .

(٢) البيئمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ١٩ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣٩٢

(٣) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

(٤) الرسالة في البيئمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٩ - ٥١ وبعضها في
لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٤ .

(٥) في معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٩ : " الي " .

(٦) في المصدر نفسه ، ص ٥٠ : " فقبل " .

(٧) في المصدر نفسه : " الى مامعها " .

ابن ثابت الى رسول جبلة بن الايهم (١) ثقة منى بصلته ، وتشوقا الى تكريمه واعتياده
لاحسانه والفا لموارد انعامه ، وتيقنا ان خطوري بباله ، مقرون (٢) بالنصيب من ماله .
وان ذكرناه لي مشفوعة بجداواه ، (٣) وقمت عند ذلك قائما ، وقبلت الارض ساجدا ، وكسرت
الدعاء والثناء مجتهدا ، وسألت الله تعالى (٤) ان يطيل له البقاء كطول يده بالعطاء ،
ويمد له في العمر ، كما تاد ظله على الحر (٥) ، وان يحرس هذا البدن ، القليل العدد ،

(١) يشبه ابو اسحاق نفسه مع صاحب بن عباد بالشاعر حسان بن ثابت مع جبلة بن الايهم
الملك الفسائي ، وكان يمدحه قبل الاسلام فخصص له الملك قدرا من المال والشياب
يدفع اليه كل عام ، ابو الفرج الاصفهاني ، الاجاني (تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ،
دار الكتب المصرية ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩) ج ١ ، ص ١٥٨ . اما حكاية حسان مع رسول
جبلة فيروى ان معاوية بن ابي سفيان وجه رسولا الى ملك الروم فلقى جبلة بن الايهم
هناك وكان تنصر من بعد اسلامه والتجأ الى ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأخبره
بانه اصبح شيخا ضريرا ، فدفع اليه بالف دينار ليوصلها اليه فلما عاد الرسول الى المدينة
لقى حسانا في المسجد فقال له . " يا ابا الوليد ، صد يقك جبلة يقرأ عليك السلام " فقال :
" هات مامعك " . قال : " وما علمك ان معي شيئا " ، قال : " ما ارسل الي بالسلام قسط
الاومعه شي " . قال : " فدفعت اليه المال . (الاجاني ، ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٦٩) وهناك
رواية اخرى للخبر . انظر المصدر نفسه . ص ١٦٦ - ١٦٨ .

(٢) في معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٥٠ : " الخطرة منى على باله مقرونة " .

(٣) في المصدر نفسه : " بجداواه علي " .

(٤) " تعالى " غير موجودة في معجم الادبا وفي لقاح الخواطر .

(٥) في لقاح الخواطر : " ويمد له عن تطرق اقباله ويحرس هذا البدن "

من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، (١) ما كفهم به من ذراه ، وأفا* (٢) غليهم من سيداه ،
واسامهم فيه من مراتعه ، وأعد به لهم من شرائعه ، التي هم محللون . الا عنها ، ومحرومون الا
منها .*

وهنا بيد وان الصابي يكتب بصفته احد الكتاب الذين يصلهم المالح بالمال . ولا يخفى
تواضع الصابي للمالح في الرسالة وذلك من مد اليد لآخذ المال وتقبيال الارض والسجود . وليست
هذه المرة الوحيدة التي نرى فيها ابا اسحاق يتحدث بصفته احد الكتاب متلقي الصلة من
المالح انما نجد له رسالة اخرى (٣) يعرض فيها مشكلته ومشكلة هؤلاء الكتاب جميعا . يقول
في الرسالة :

" اما بعد ، ايد الله سيدى المالح ، فان نوب الدهر تتردد منذ منون (كذا)
علي وعلى اهل عنايتنا المنحوسة بالعراق ، مشيخة بنوازلها ، ملقية بكلاكلها ، كالحة بوجوهها ،
كاشرة عن انيابها ، لتعاقب الايدى الوالية علينا ، وتدرجها في الاساءة الينا ، وتزايد هـا
في القظاظلة بنا ، وتجاهزها المنزلة الى المنزلة في الاستئصال لآحوالنا ، وقد توفر قسطلي في
تأثيرها بحسب ضني بعرضي وصوني نفسي ، وبذلي دونها مالي ، وزقايتي اياها بما ملكست
يدى ، حيث لم اسأل المعونة احدا ولا سمحت ان استميج مسودا ولا سيدا راجعا الى شـي*

(١) في لقاح الخواطر : " الابواب " .

(٢) في لقاح الخواطر ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٠ : " افا* " .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٤٠٤ .

مما يرجع اليه الناس من موروث تالد ، ومكتسب طارف ، حتى انتهت مغارمي الى نحو
 خمس مائة الف درهم ، لم يبق لي بعدها ضيعة ولا منزلة ، ولا باطن ولا ظاهر . . . (١)
 كلام الصابي باسم الكتاب عارضا مشكلتهم يحدد وجهها من اوجه العلاقة بين
 الإثنين ، ونظن ان هذه العلاقة ابتدأت بكون الصابي كاتباً يتلقى الهبة من صاحب كما يتلقاها
 اى كاتب آخر . ثم اتخذت نوعاً من الخصوصية ، ان ابا اسحاق كان ارفع منزلة لدى
 صاحب من بقية الكتاب ، فالصاحب شديد الاعجاب به وقد روى عنه قوله : " كتاب الدنيا ،
 وبلغا " العصر اربعة : الاستاذ ابن العميد (٢) ، وابو القاسم عبد العزيز بن يوسف ،
 وابو اسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه " . (٣) كما روي عنه ايضا :
 " ما بقي من اوطاري واغراضي الا ان امك العراق (٤) واتصدر بفداه واستكتب ابا اسحاق
 الصابي ويكتب عني واغير عليه " . (٥) فنقل الحديث الى ابي اسحاق فقال : " ~~ويغير~~
 علي وان اصبت " . (٦)

-
- (١) رسائل الصابي ٤٠٨ - ٤٠٩ .
 (٢) يعني ابا الفضل عليا وكان صاحب يعمل اول امره في خدمته . (معجم الادباء ،
 ج ٦ ، ص ١٧٢) .
 (٣) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥١ .
 (٤) عرف عن صاحب انه كان يحب بفداه والرئاسة فيها . انظر ذيل التجارب ، ص ٦٣ -
 ١٦٤ .
 (٥) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .
 (٦) المصدر نفسه .

بعد انتهاء محنة ابي اسحاق و وفاة عضد الدولة كتب الصاحب يستقدم ابي اسحاق " وبذل له النفقة الواسعة ، والمعونة الشاسعة عند شخوصه والارغاب والاكتسار عند حضوره " . (١) فاجابه الصاحب معتذرا بلباقة قائلا :

وتقاعست عن شأوهن مآربي	" نكصت على اعقابهن مطالبني
كانت نفاذا كالشهاب الثاقب	وتبدلت مني القريحة بعد ما
حتى اقبل ظهرك الصاحب	فلوان لي ذاك الجناح لطاري
ضمنت سعادة كل جد خائب	واعيش في سقيا سحائبه التري
شجنت بكل مسائل ومجاوب	واعد من جلساء حضرته التي
متثبت فيقول هذا كاتبني	فيقول : من ذا سائل عني له
اني وخدمته اجل مراتبي	اترى اروم بهمتي ما فوق ذا
من غيث راحته المثلث الساكب	كثرت عوائقي التي تعتاقني
هو رامي وعشيرتي واقاري	ولد لهم ولد وبطن ثالث
شامت بوارق يومها المتقارب	والسن تسع بعد ها خمسون قد

فالجسم يضعف عن تجشم راجل وال الحال يقصر عن ترفه راكب " (٢)

ولابأس من اثبات مقطوعات من رسائل اخرى يعتذر فيها ابو اسحاق عن اللحاق بالصاحب

(١) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

من ذلك قوله : " كتبت بعد الجواب ، وانا منقسم بين نية ناهضة ، وعوائق قابضة . وشوق
باعث وانتشار امر حابس ، ومراقبة لابد ان يستعملها طالب السلامة وسالك الاستقامة ، ورأيه
ادام الله تعالى ايامه ، في ذلك الاعلى ، ودليله الاهدى وامره الانفذ الامضى " . (١)

وكتيب ايضا : قد كنت ، اطال الله بقا . مولانا الصاحب الجليل كافي الكفاة ، منذ
ثمانى سنين (٢) تحت كلكل من كلاكل المحن ، ثقل علي بركة وبلغ مني عركه ، وتقليبي بين عطلة
شديدة ونبوة مديدة ، ثم رفعت عني بفضل الله وما استدار من دوائر الاقدار وحوادث الليل
والنهار التي اذا اظلت اللثام قنطوا واذا انفرجت عنهم غمطوا ، كما انها اذا ساورت الكرام
(صبروا) (٣) واذا هادنهم رأفوا واحد بوا " . (٤) الى ان يقول : " قد صرت بتناول
الاذى وتبا ري المدى وركود الخطرات وفتر الشروات بمنزلة الريض الذلول ، القانع من الليالي
باقلاع بوسها وانحراف نحوسها ، المستكثر القليل من اسعادها والزهد من ادخالها
فلذلك اقتصرت وتركت بيني وبين الغاية التي دعت الى الخدمة فيها منزلة اتفرغ بتركها لخير
اكتسبه ومعاد اصلحه وولد او به وصديق اذا كرهه . وغير ذلك مما الظفر به مغمس وعصر

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٧ ب .

(٢) يمكن تحديد تاريخ هذه الرسالة بسنة ٣٧٢ اذا اعتبرنا ان بداية محنته كانت على يد عز
الدولة سنة ٣٦٤ هـ .

(٣) كلمة ممحوة في الاصل وضعت مكانها كلمة متممة للمعنى .

(٤) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ أ .

الشيخوخة له موسم * (١)

إذا صاحب يطلب الصابي وذاك يتفنع ، وقد حاولت المصادر تفسير موقف كل من الرجلين ف قيل ان صاحب كان يطلب ابا اسحاق * اما تشوقا واما تشرفا * . (٢) وقيل ان استدعاءه اياه ايان محنته دليل على الود الاكيد الذي يضره صاحب له * ود خالص لوجه الادب ، و هو خالص لوجه الله ، لا يريد صاحب به جاها ولا منزلة لانه كان ان ذاك صاحب الجاه والمنزلة * . (٣) كما قيل بالنسبة لاي اسحاق انه كان * يحتمل ثقل الخلّة ، وسوء اثر العظلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة صاحب ، بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في ايامه * . (٤) وقد رأينا ما اعتذر به ابو اسحاق شعرا ونثرا ، وسنحاول عرض هذا الموضوع استنادا الى الوقائع .

عرف صاحب بن عباد بالكبرياء والعجب ، وفي ذلك يقول الثعالبي : " لما بلغت

سنوه الستين اعترته آفة الكمال . وانتابته امراض الكبر " ، (٥) وقد زخرت صفحات كتاب

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ ب .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٣) طبانة ، الصاحب بن عباد ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٥) اليتيمة ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

مثالب الوزيرين للتوحيدى بذكر اخبار كبريائه واعجابه بنفسه وبأدبه وازدراؤه لفناج غيسره

من الادباء والشعراء . (١) وهكذا كان صاحب دأئما يطلب الجاه والرفعة ويسمو الى المزيد من الرياسة والسلطة . فها هو قبل الوزارة يطمع في زيارة المتنبى له في اصفهان فيكتب اليه مستدعيا اياه بلطف ضامنا له مشاطرته جميع ماله ، فلم يجبه المتنبى الى ذلك . (٢) وهذا يوضح لنا استهانه صاحب بنصف ماله مقابل ان يقصده المتنبى كما يقصد غيره من الرواساء وهو الآن يستدعي الصابي ويفريه بالمعطايا الكثيرة فما هو هدفه ؟

هنالك عدة امور لا يمكننا انكارها :

اولا : اعجاب صاحب بادب الصابي وقد ذكرنا ذلك من قبل ، ويبدو ان ابن عباد كان يستدعي اجزاء من رسائل ابي اسحاق ليقرأها ، (٣) فنجد رسالة كتبها ابو اسحاق الى احمد اصدقائه الذى سيحمل جزءا من رسائله لعرضه على صاحب من المفيد اثباتها نظرا لاهميتها في تبيان الطريقة التي يخاطب بها ابو اسحاق صاحب :

(١) انظر مثالب الوزيرين خاصة الصفحات ٨٢ - ٨٣ و ٩٩ و ١١٤ - ١١٥ و ١١٩ و ١٢٥ - ١٢٦ و ١٣٢ - ١٣٣ و ١٤٧ - ١٤٨ و ١٦٦ و ١٩٥ و ١٩٨ . وقد اشارت الى ذلك بعض الدراسات الحديثة . انظر مردم ، الصاحب بن عباد ، ص ٥٦ و ٦٢ و ٦٧ وآل ياسين ، الصاحب حياته وأدبه ، ص ٤٨ .

(٢) اليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) لقاح الخواطر ، الورقة ٩١ ب .

" وليس مولاي ، ايد الله ، في حمل هذا الجزء الى تلك الحضرة الادبية "

والنفس الادبية والفضائل السيارة ، والخصائص التي تقصر عن وصفها العبارة ، الا كمسكن
جلب الى هجر تما بل حشفا . (١) وحقا اقول انه كوز ما اجاج تجهز الى بحر فرات
عجاج ، فلينعيم غير مأثور وليقدم امامه اعتذارا او تصديدا ، وليعلمه ، ثبت الله وطأته وادام
دولته ، انني عبده في الخدمة وتلميذه وتخريججه في الصناعة ، وان الحسنه مني وان ظهرت
فهي له محسوبة واليه منسوبة ويسأله لازل مسوء ولا ان ينبه على ما يرضاه ولا يخفي عنه
ويستر على ما ياباه ولا يبديه ، ان شاء الله تعالى . (٢)

ويبدو ان صاحب ، خلافا لعادته في ازدراء نتائج الآخرين ، قد تحدث

عن الصابي في مجالسه معليا من شأنه ، فكتب الصابي يشكره قائلا من رسالة :

" واذا تأملت صنع الله في ان شئ وجه النعم الي ، وعطف بها علي ، وجدت

اوكد دواعيه واغوى الاسباب فيه ما حفظ على مولانا صاحب الجليل كافي الكفاة وروى عنه
وتردد في انديته ومحافله ، من اعلاء قدرى بتقريظه ، ونعتي بما لا يثبت الا بشهادته
وتقليده ، فاذا شكرت فاليه ينتهي شكرى ، واذا فخرت فعليه يقف فخري ، وما انا ملجأ مع
بعد الدار اليه عرض بضائعي نظما ونثرا عليه ، وتعريض اطمارها لانها تعرض وتتصفح بين

(١) الحشنى من التمر : ما لم ينو ، فاذا يمس صلب وفسد لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة .

(اللسان ، مادة : حشف) .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ٩١ ب .

يديه ، مع العلم بانها ضعيفة الاثمان خفيفة الاوزان مضمحلة على الامتحان ، فان رزقت قبولا منه فيحسن رأيه وان نفقت على غيره فبما يتضمن من طيب ثنائه . واذا ثبت قول القائلين — ان كل مجتهد مصيب ، فقد اجتهدت وما فرطت ، واعذرت وما عذرت * . (١)

ثانيا : نلاحظ في المقطوعات التي اثبتت تواضع الصابي حيال اعجاب الصاحب به . هذا التواضع الذي يبدو في مختلف رسائله للصاحب ، ان في شكره على الصلوات او في الاعتذار من الالتحاق به او في طلب المال ، هو الذي زاد رغبة الصاحب في استقدامه اليه والذي جعله لا يتخوف من شيوع مديحه لواعجابه به ، وذلك انه بكبريائه لا يمكن ان يحتمل من يتباهى عليه ويتمجرف ، لذا رأيناه يلاحق المتنبى مستبعا سقطاته مظهرا سيئاته لانه ترفع عن الالتحاق به (٢) .

ثالثا : الصاحب كان يصل الصابي بالمال ابتداء ، ثم كان يرفده حين يمد اليه في نكاته وهذا ما اشعر الصاحب بان له افضالا على هذا الكاتب وكأنه ضيعته .

رابعا : الصابي كاتب الخليفة ورئيس ديوان الرسائل في الخلافة العباسية ، صاحب مكانة عالية لا يقلل من قيمته ومن رأى الناس به فقد به منصبه وتمرضه للمحن ، او كما قال هو :
* وتعطلي مع شهرتي كتصرفي كل سوا * في الحساب الحاسب * (٣)

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ ب .

(٢) البيئمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

فالوزير صاحب يعلم ان وجود مثل ابي اسحاق في بلاطه فيه المزيد من الرفعة له والعزة، خاصة مع ما تعلمه من تسابق امراء ووزراء ذلك الزمان على اجتذاب افضل الادباء والعلماء الى قصورهم . فالصاحب لم يكن يربى الادباء رعاية خالصة لوجه الله كما قيل ، وانما ايضا ليشيع فيه الثناء الحسن والصيت الحميد ، ولو ان صاحب كان يصل الادباء كعمل من اعمال البر الخالص من الكسب الذاتي لما فارقه ابو حيان التوحيدي بعد ثلاث سنين من الخدمة وليس في حوزته منه درهم واحد . (١) اما كان يمكنه ان يصل التوحيدي ببعض المال ويصرفه؟ خلاصة القول ، ان صاحب معجب بترسل الصابي ، معجب بمكانته ، يرتاح الى طريقته في التصرف وتواضعه له ، يشعر بفضل عليه لانه كان يصله دائما بالمال هذه الاسباب مجتمعة كانت تدفع صاحب الى طلب الصابي اليه ليمثل بين يديه بعد ان كان استكنابه له حلما قد يما لديه حين كان يقول : " ما بقي من اوطاري واغراضي الا ان امسك العراق ، واتصدر ببغداد ، واستكتب ابا اسحاق الصابي " (٢) . فلما توفي مخدوم الصابي وسيد ، الملك المهلب عضد الدولة ، وكان الصابي في حالة فقر ، اتاحت للصاحب فرصة تحقيق حلمه القديم . لذلك استدعى الصابي وبذل له الكثير لكن حلمه لم يتحقق وابو اسحاق رفض الالتحاق به ، فهل كان رفضه نتيجة كبريائه كما ذكرنا ام بسبب ما كان يعتذر به من فقر

(١) مثالب الوزراء ، ص ٢٠٧ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

وشيخوخة واهل ام ان هنالك اسبابا اخرى ؟

الصاحب بالنسبة لابي اسحاق رجل محايد ، مستقر ، بعيد عن التقلبات السياسية التي كانت تطيح بوزير لترفع سواه ، وكان يرعاه ويمده بالمال ، فهو بالنسبة اليه الشيء المستقر الدائم الذي يمكن الاعتماد عليه في كل الاوقات ، لذا كان يقصده اذا اعوزه المال ابان محنته ويعلم انه لا يخيبه .

كما ان ثقة الصابي بالصاحب وبمكانته لديه دفعتة الى ان يوصيه بالاستمرار فسي اجراء المال على اولاده بعد وفاته . (١) وما يجدر ذكره ان الصابي كان كلما مدح الصاحب ادخل في مدحه صفة الكرم والعطاء ، كقوله يتحدث عن ان الدهر حرمه من جوار الصاحب وباعده عنه * وانما حماني ورود بحر زاخر ، وحجبنني عن ضياء بدر زاهر ، ومنعني من بلال نوء ماطر واخرجني من عموم غيث قاطر وحال بيني وبين من اليه الشكوى لـه ومنه العدوى عليه حتى خلا بي فافرط ظلمه وتحكم في فجار حكمه * . (٢)

اذا الصاحب مصدر عيش للصابي ، ومساعد دائم ، لم يتغير من ناحيته يوما ، لكننا لانعلم تماما كيف يفكر ابو اسحاق بالصاحب فيما عدا ذلك . ونجد هنا رأيين نقلهما التوحيدى عن الصابي ولا نعلم مدى صحتهما . يقول التوحيدى : * سألت الصابي ابا اسحاق عنه فقال ان صدقت في وصفه ساء قوما وان كذبت في وصفه ساءني ولان انفسرد بالساءة احب الي ، وبعد فنحن معه كما قال الشاعر :

(١) معجم الادباء * ج ٦ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ .

(٢) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٩ ب ولقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ أ .

" وتمتدح احيانا عليه ولو مضى لكننا على الباقي من الناس اعتبا " (١)

كما ينقل رأى الصابي باده : " وقال الصابي : هو مجتهد غير موفق ، وفاضل غير منطوق ، ولو خطأ كان اسرع له ، كما انه لما عدا كان ابطلا عليه ، وطباع الجبلي مخالف لطباع العراقي يثبت مقاربا فيقع بعيدا ، ويتناول صاعدا فيتقاعس قعيدا " . (٢)

ثم اننا لانرى في وصف الصابي للصاحب او في رسائله اليه ملامح اعجاب بشخصه باستثناء وصفه بالكرم الذي كان يفخره به ، لذا يمكن القول ان الصاحب وزيرا واديبا لا يعني الكثير للصابي والذي يبدو من عرض الحقائق فيما سبق ان عدم التحاقه به قد يكون عائدا الى اجتماع الاسباب التي ذكرها الصابي والمذكورة في المصادر . فالصابي كما قال عن نفسه قد روضته الايام حتى اصبح قانعا يرضى منها برفع البؤس عنه ، فهو لا يطمع بالكثير ، فلمسم اذا يتجشم مشاق الرحلة الى الصاحب تاركا اهله وابناءه ؟ فالغاية ليست على قدر كبير من الاهمية لديه كي تسهل اليها السبل ، والصاحب ليس ذاك الشخص الذي يحل كيانه بشخصيته كي يلتحق بخدمته ، كيف وبالا مس كان كاتبا في مثل مستواه .

اما اذا حاولنا البحث عن اسباب اخرى فلا نجد امامنا الا احتمال ان يكون الصابي

متمسكا بالبقاء ببغداد ، ولا يعود ذلك لخوفه على اهله كما كان سنة ٣٦٤ هـ عند مسـ

(١) مثالب الوزراء ، ص ٢٠٩ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ، ص ٦٢ .

رفض الخروج مع عضد الدولة الى فارس ، وانما لنيته القيام بمشروع معين ، كعمل سياسي
تكون بغداد مسرحا له . فهل كان يومذاك قد تعرف الى الشريف الرضي ورأى فيه خليفة
المستقبل ؟ ام هل كان بانتظار حدث كبير يغير الوضع القائم ؟ ام انه قد ارتبط بعمل
ما مع الدعاة الفاطميين الذين كانوا في بغداد ؟

في هذا المجال نلاحظ اماكن وجود علاقة بين ثلاثة اقطاب : الشريف الرضي
والصابي والفاطميين ، ففي فترة يرجح انها سنة ٣٨٤ (١) جرت حادثة مع الرضي تدل على
انه يعلق آماله بالفاطميين ، ان لم تدل على ارتباطه بعلاقة معهم . فقد رفع اصحاب
الاخبار للخليفة القادر ابياتا شعرية منسوبة الى الرضي يقول فيها :

مقول قاطع وانف حمسي	" كم مقامي على الهوان وعندي
وبمصر الخليفة العلوي	ليس الذل في ديار الاعادي
ي اذا ضا مني البعيد القضي	من ابوه ابي ومولاه مولا
واوامي بذلك الورد ري * (٢)	ان خوفي في ذلك الربع أمن

ففاظ القادر امر الابيات وعاتب والد الشريف بذلك ووكل امره الى ابيه الذي عاتبه عتابا
وافيا فانكر نسبة الابيات الى نفسه ، لكن لما امره ابوه ان يكتب للخليفة

(١) عباس ، الشريف الرضي ، ص ١٠٦ .

(٢) ابوالفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم (حيدرآباد الدكن ،
دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٨ هـ) ج ٢٧ ، ص ٢٨١ .

بذلك طاعنا بنسب صاحب مصر رفض بحجة انه يخاف الدعاة ، وتردد القول بينه وبينه
ابيه فحلف ابو احمد انه لا يقيم معه في بلد وانتهت الحكاية ان اخذت اليمين على الرضي
انه لم يقل هذا الشعر (١) لكن بعد فترة عزل الخليفة ابا احمد والد الشريف وابنيه
من مناصبهم . (٢)

موقف الرضي من الفاطميين لم يثبت طويلا بل تغير ، فنجد انه لما كتب في ديوان
الخلافة محضر بالطنين في النصب الفاطمي في ربيع الاخر سنة ٤٠٢ هـ كتب الرضي خطه فيه (٣)
هذا ما يجعلنا نربط بين الموقفين فنرى في الموقف الاول : وجود الصابي (٤)
وعلاقة جيدة مع الفاطميين ، وفي الموقف الثاني : غياب الصابي وانكار للحق الفاطمي .

بعد عرض مختلف الاحتمالات التي قد تكون ادت بالصابي الى رفض الالتحاق
بالصاحب يمكن وصف العلاقة بينهما بأنها على مستوى من المئانة والوثاقة حتى انها لسم
تكن لتتغير يوما او تتأثر بمؤثرات خارجية . اعجاب واحترام من ناحية صاحب يقابلهم
تواضع وحسن تصرف من ناحية ابي اسحاق .

(١) المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٨٢ .

(٢) عباس ، الشريف الرضي ، ص ١٠٩ .

(٣) المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ .

(٤) حتى لو كان ابو اسحاق قد توفي في هذا الوقت الا ان رأى الشريف الفاطميين
لم يكن وليد ساعته انما كان سابقا في ذهنه .

شخصيته وآراؤه

ابو اسحاق الصابي انسان عرف بناحيتين : قلم بليغ وخلق رفيع . وقد وصف اهل

العصر فيه هاتين الصفتين فقليل في ادبه :

برسائل الصابي ابي اسحاق

" اصبحت مشتاقا حليف صباية

نوب البراعة سلوة العشاق

صوب البلاغة والحلاوة والحجى

يحكي لنا الاطواق في الاعناق

طورا كمارق النسيم وتارة

كتبت بدائع على الاحداق " (١)

لا يبلغ البلغا شأو مبرز

اما خلته فنختار مما قيل فيه كلام ابي حيان التوحيدي الذي وصفه " بالظرف الناصع ،
والتواضع الحسن ، واللهجة اللطيفة ، والخلق الدمث ، والعزفة بالزمان ، والخبرة
باصناف الناس ، . . . " (٢) وكلام الشريف الرضي الذي قال في رسالة الى احد الرؤساء
يذكر ابا اسحاق بعد وفاته : " ابو اسحاق ابراهيم بن هلال ، فلو كان اسم يوضع على جماع
الفضل ويكون علما لمجموع النبل في زماننا هذا ، لكان هذا الاسم واستغنى بذكره عن ذكر

(١) اليتيمة ج ٢ ، ص ٢٤١ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٧ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٦١ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ، ص ٦٨ .

الثناء الجميل ، واختصرت به مسافة القول الطويل * . (١)

لم يكن ينقص ابا اسحاق بنظر الكثيرين الا الاسلام . وهذا يرسم حوله علامة استفهام
ان كيف يمكن ان يتولى ديوان الانشاء ويتقلد تقليدا سلطانيا كاتبا صابيا * ، في حين ان الاسلام
هو من الشروط الواجبة على صاحب هذه الوظيفة (٢) اعتمادا على نصوص من القرآن والحديث
واعمال الصحابة والخلفاء الاولين .

يقول تعالى في القرآن الكريم ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خيالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم
الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ (٣) . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " انا لانتعين
بمشارك " (٤) . وقد حفظ من اقوال الصحابة وافعالهم ما ثبت ذلك ، (٥) كما يرج عليه الخلفاء
ذوو الثناء الحسن في الامة . (٦) فلو وظيفة كاتب الديوان اهمية كبيرة نظرا لعظم المهمات

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ١١١ .

(٢) صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) المصدر نفسه . سورة آل عمران (٣) : ١١٨ .

(٤) شمس الدين ابن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، (تحقيق صبحي الصالح ، دمشق ، مطبعة
جامعة دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٣٨١ / ١٩٦١) ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٥) احكام اهل الذمة ، ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١٢ و صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٦) احكام اهل الذمة ، ج ١ ، ص ٢١٢ : ويروى لنا ما جرى مع كل من هؤلاء الخلفاء بالنسبة
لهذا الموضوع انظر المصدر نفسه ، ص ٢١٢ وما بعدها .

المتعلقة بها وهي حفظ القوانين واستيفاء الحقوق ، وإثبات الرقوع ، ومحاسبات العمال ، وإخراج الأموال ، وتصحيح الظلمات (١) ، ثم إن الكاتب يحتاج للاستشهاد بالقرآن الكريم في كتاباته ولمعرفة أوامره ونواهيه ، فإن كان نسياً خلت كتابته من القرآن وإن حفظ شيئاً منه فقد أبيحت حرمة الله تعالى الذي يقول (لا يمسه إلا المطهرون) (٢) .

ومع أن الصابي لم يكن أول كاتب يستلم هذه الوظيفة من غير المسلمين إلا أن شهرته الواسعة ، ربما دفعت بعض الدارسين (٣) إلى محاولة تفسير وجوده حيث لا يحق له شرعاً أن يكون ، فرأى أن ذلك دليل على العناية بديوان الإنشاء لأن أبا إسحاق كان أكبر المنشئين في زمانه (٤) . ويستطرد هذا الباحث مدعماً رأيه بالقول أن رشاء الشريف الرضى ، نقيب العلويين ، والصابي الذي رفض الإسلام يدل على أن قيمه

(١) أبو الحسين علي بن محمد الماوردي ، الاحكام السلطانية (مصر ، مطبعة الوطن ، ١٢٩٨ هـ) ص ٢٠٥ وأبو يعلى الفراء ، الاحكام السلطانية (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧ هـ) ص ٢٣٧ .

(٢) صبح الأعشى ج ١ ، ص ٦٣ ، سورة الواقعة (٥٦) : ٧٩ وقد فسرت هذه الآية بأنها نفى للزعم الذي قال أن الشياطين تنزلت بالقرآن ، إنما تنزلت به الملائكة المطهرون . " ولا " هنا نافية لوقوع الفعل لا ناهية . (في ظلال القرآن ج ٦ ، ص ٣٤٧) .

(٣) آدم متز في الحضارة الإسلامية ج ١ ، ص ٤٤٨ .

(٤) المصدر نفسه .

الانشاء الجيد فسي نظرههم اهم من قيمة العقيدة الصحيحة (١) . ونجسد

رأيا آخر قريبا من هذا يعد استخدام ابي اسحاق على ديوان الانشاء

دليلا على اعتماد الحكام بالكتاب (٢) .

وكان القلقشندى (٣) قد حاول ايضا تفسير هذا الامر، فرأى انه

لا يحتج بالصوابي وانه كتب للخلفاء وملكوك الديلم وهو غير مسلم، لانه من مدة " قليل

اهلها، ليس لهم ذكر ولا ملكة، وليس منهم محارب لاهل الاسلام ولا لهم

له ولادة قائمة فتخشى غايلته وتخاف عاقبته " . (٤)

لكننا بعد عرضنا لحقيقة العلاقة بين الشريف الرضي وابي اسحاق نستطيع

ان نخطىء الرأي الذى اتخذ من رثاء الشريف للصابي دليلا على ان الانشاء الجيد اعلى

(١) الحضارة الاسلامية، ج ١، ص ٤٤٨، ويرى السيد محمد حسين فضل الله ان موقف الرضي من

الصابي يدل على عدله حيث ان الاختلاف مع الصابي في ناحية العقيدة لم يمنعه من رؤية الجوانب الاخرى الايجابية فيه من قيمة ذاتية وخلقية وثقافية (" تأملات حول شخصية الرضي "، ص ٢١) .

(٢) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي (القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٧٧) (١)

ص ٢٠٢ .

(٣) ف، صبح الاعشى، ج ١، ص ٦٣ .

(٤) المصدر نفسه .

قيمة في نظرهم من صحة العقيدة ، ان تبين لنا ان الارب لم يكن العامل الوحيد
الذى يربط بين الرجلين، بل تربطهما علاقة من الصداقة والثقة والتوافق السياسي تخطت
الاختلاف الديني بينهما. كما اننا نرى انه بالرغم من صحة رأى القائل باعتداد الحكام
بالكتاب في ذلك العصر الا ان هذا ليس السبب الوحيد في تولية الصابي ديوان الرسائل،
وليس السبب ايضا ما ذكره القلقشندي به ليل^١ وجود غير وزير نصراني في الحكم نذكر منهم
مثلا ابا العلاء صاعد بن ثابت الذى استخلفه وزير عزالدولة بالحضرة سنة ٣٥٧ هـ (١)
ونصر بن هارون وزير عضد الدولة ، وهو^٢ من اهل ملة كثيرة العدد ولهم مالک ومنهم
محاربون لاهل الاسلام. والذى نظن انه السبب الحقيقي هو طبيعة الحكم في الدولة العباسية
في ذلك الوقت حين لم يكن التمسك بالنظام الاسلامي وما اثر عن السلف تاما ، وانما كان في
معظم الاحيان شكليا ، والافان امورا كثيرة كانت تجرى في الدولة مخالفة للشرع الاسلامي^٣
وفيهما ما فيها من الظلم والتعسف كالمصادرات والاقالات والتلاعب بالخلفاء وغير ذلك
فعدم التقيد بالنظم الشرعية اعطى نوعا من الحرية لغير المسلمين فذهبوا بعضهم
المناصب العالية كما بي اسحاق الصابي الذى تميز بالكفاية العالية والقدرة على العيش
مع المسلمين وكأنه احد هم .

(١) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

لسنا ندري في أي وقت تعرف ابواسحاق إلى الاسلام ودرس القرآن وفقهه

وحفظه " حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه " . (١) لكن من يقرأ رسائله لا يشك لحظة في أنه مسلم ، ان لم يكن يعلم ذلك ، حتى ان رسائله الخاصة كانت تحفل بالروح الايمانية الاسلامية ، لكن ابواسحاق كان صابئاً ويقال انه كان من نساك اهل دينه ، محامياً عن مذهبه متصوناً عن الشهوات والهوى (٢) ، وله في ذلك شعر :

حمّتي لذتي رتب المعالي	وضني بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكفي	لخوف عقوبة وحذار نار
فواشوقاً إلى خلع العذار	وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويالهيغي على حل الأزار	صريعاً بين سكر أو خمار " (٣)

ويروى ان الصابي حضر يوماً مأدعة الوزير المهلبى فامتنع من اكل باقلاء كانت عليها وهو محرم على الصابئة فالح الوزير عليه ليأكل فقال : " ايها الوزير لا تريد ان اعصى الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه " (٤) وقد بلغ من تمسك الصابي بدينه ان عسّرض

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ووفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

عليه عز الدولة (١) الوزارة ان اسلم فرفض (٢) . لكن تدينه لم يكن
من نوع التعصب الذي يعمي البصيرة عن الرؤية ، فقد كان حسن العشرة
للمسلمين ، يحترم ديانتهم . فبالإضافة الى حفظه القرآن ، نجد انه كان
يصوم شهر رمضان مشاركة لهم . (٣) فتسك الصابي بدينه كان تسك
ايمانيا عميقا . وكثيرا ما تظهر نفحات الايمان هذه في رسائله ، من ذلك
على سبيل المثال لا الحصر قوله يذكر النواصب التي المتب به : " ولله في اثنا
ذلك سر جميل ، ومنع جليل ، والله المحمود رب العالمين " . (٤) او قوله : " وما رفعنا
اليه من العظائم التي لا يصبر لها ولا لمعضها الا من استحكمت بالله نفسه وحسن يقينه

(١) في المختصر في اخبار البشر ج ٦ ص ١٢٩ : " معز الدولة " .

(٢) اليتمه ج ٢ ص ٢٤١ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٢١ ، وفيهات الاعيان ج ١ ص ٥٢

والعبر في خبر من غير ج ٣ ص ٢٤ . واعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٢٣ والوافي بالوفيات ،

ج ٦ ص ١٥٨ والمختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٢٩ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٦ .

(٣) اليتمه ج ٢ ص ٢٤١ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٢٨ وفيهات الاعيان ج ١ ص ٥٢ والعبر

في خبر من غير ج ٣ ص ٢٤ واعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٢٣ والبداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٣

وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٦ ويقول السيد عبد الرزاق الحسني ان الصابئة الحاليين يتظاهرون

بالصيام في اول رمضان مجارة لمجاورهم من المسلمين كما كان يفعل ابو اسحاق الصابي

مع الشريف الرضي ، (الصابئون ص ١٣٥) .

(٤) لقاح الخواطر الورقة ٩٦ ب .

وانا احمد الله على ان انزل مع كل محنة امتحنني بها عبرا لها وشكرا عليها
وقولا بما يرضيه فيها". (١)

ويبدو ان علاقته مع ابننا* بلده الاول حران كانت جيدة ونرى فسي احدي

رسائله اليهم انه كان يحترمهم وينظر اليهم كجماعة روحية صافية، فيقول :

" اما دعاؤكم ، ايدكم الله ، لي فقد كنت اعتقد ، درعا حصينة وجنة متينة واعلم
ان الله تدارككم ، به حتى لا نل غليظ القلوب وتزحزحت عنى كلال الخطوب ، والا فلو وكنت
فى تلك النائية الى نفسي وعوني بي على استحقاقي لكنت بعيدا من ادراك مطالبي والظفر
بمأرسي لان سهوى اكثر من تيقظي ، وذهني اضعاف تحفظي . . . ومن كان بهذه الصفة
كانت نوائبه واقعة موقع العدل وكان مأخوذا اذا قبل منها الفضل وكان حريا بأن يقوم
ويؤدب وحقيقا بأن يشقى ويهذب لكن اعتقدت منكم ، ايدكم الله بالعامل المجتهد ، والساهر
المتجدد ، والخير التقى ، والصالح الزكي حفنى بملايكتكم وانقذني بالرحمة لكم ، ومن علي
بالخلاص اذا لات حين مناص " . (٢)

ونحن لا نستطيع ان نستدل على التفاصيل في معتقد ابي اسحاق الا اننا نعلم
انه صابئي لا يختلف فى عقيدته عن جماعة الصابئة بحران لذا هو يحترم دعاؤهم وتهجدهم

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٧ .

(٢) المصدر نفسه . الورقة ١٨٩ .

وصلا تهيم، ثم نجد له بيتا من الشعر في قصيدة غزلية يختصر عقيدة الصابئة بالتوحيد فيقول : (١)

" والصابئون يرون انك مفرد (٢) في الحسن اقرارا للفرد ^(٣) ما جد "

ثم ان الصابئ يعرف التجيم ويؤمن به، فيقول عن ذلك : " فان شمة هذه الصناعة هو، تقدم المعرفة بما يكون، والاستعداد له بما يمكن ولا اقول ان ذلك يؤدي الى دفع مقدورنازل ولا معارضة محتوم حاصل . ولكني اقول : ربما كان من سعادة السعيد ان يعلم هذا الامر فيتصدى لحيازة ما يحب، ويتوقى حلول ما يكره، وربما كان من منحه المنحوس ان يجهله فيكون كالملوب بصره وسمعه، الذي لا يرى فيتحفظ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الامرين لسابق قضاء الله تعالى موافق، ولمتقدم علمه مطابق " . (٤) وهكذا فللصابئ نظرة توفيقية بين استعمال الغيب وبين القضاء والقدر .

اذا فالصابئ بقي على معتقده الصابئ، الا ان حسن تصرفه ازال هذا الحاجز بينه وبين معارفه من المسلمين، فقد كان اسلمه في التعامل مع الناس يقرب القلوب منه

(١) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٥٩ و معجم الادب، ج ٢، ص ٨٧ و روضات الجنات، ج ١، ص ١٦٥ .

(٢) في معجم الادب و روضات الجنات : " فردة " .

(٣) في روضات الجنات : " لرب " .

(٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٤٨ .

ورأينا كيف استطاع ان يحول كتاب المهلبى من حصاد الى اخوان واصدقاء* وطـسـك
عادة لم، قد رضى نفسي عليها وسست ما بيني وبين اكثر الاخوان اليهـا اذ كانت
المسامحة انجح فيهم واوصل بجنابهم* (١) ثم انه كان يقدر الصداقة ويحترم هذه
العلاقات الطيبة التى قد تنشأ بين انسان وآخر، فيذكر انه كان له صديق ابتعد عنه
ايام عطلته (٢) فلما اشرى الصابى وكانت حال صديقه قد ساءت كتب اليه عارضا عليه
المشاركة فيما جاءه من مال قائلا : " ليس يمنعني ما استحدثته ، ايدك الله ، من المقاطعة
التي لا عذر لك فيها من رعاية ما سلف من رعاية الحقوق التي كان منك لاني اطراحها ،
وقد عرفت من اخلاقي طي طول الصحبة ما يسهل سبيل المراجعة وانت على احوال لا استحسن
تركك عليها وخشية قد استحوذت عليك وعطلة قد غابت بك ، وقلنا اتانا الله ، وله الحمد ، في هذا الوقت
خيـرا في الجاهـ والمال حظك منه ان شئت متوفر ، ومرامه عليك متيسر ففاحب ، ايدك الله ، ان تجعل
الجواب على هذه الرقعة المصير الي واثقا بان الذى جرى مطوى لا ينشر ونسي لا يذكر* (٣)
وهذا خير مثل طسى الصفح والمسامحة بين الاصدقاء* .

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٢ أ .

(٢) المصدر نفسه ، الورقة ٩٥ أ .

(٣) المصدر نفسه .

اما ابو اسحاق الاب فظاهر ما يبدو من صفاته الحنان والحب فهو حذب على
ابنائهم جل همه رعايتهم وحراستهم والاهتمام بامورهم والسعي لارضائهم فقد كتب
الى بعض اولاده : " قد اوحشتهم وجعلتهم الله فداك ، ايحاشا شديدا ، ونزلت من الاولى
بك منزلا بعيدا وكان جفاؤك اذا جفوت قولا لا فعلا فقد جمعتهم الان جميعا يخالف
الحقوق ويساوي المعقوق . وانا في ذلك صابر عليك لا عنك ولولا العلة التي تراءت من بعدك
وتضاعفت لبعدك ، لكنك مكان هذه الرقعة ستعيد لك الى البصرة وستمفيا من الجفوة " (١)

" وقال عاتبا على ابنه : (٢)

" ارضى ^(٣) على ابني اذا ما عنتي حذرا (٤) عليه ان يفضب الرحمن من غضبي

ولست ادري بما استحققت من ولدي (٥) اقذا عيني وقد اقررت عين ابني "

(١) لقاح الخواطر الورقة ٩٧ ب .

(٢) اليتيمة ج ٢ ، ص ٢٦٩ و معجم الادباء ج ٢ ، ص ٧٦ و الوافي بالوفيات ج ٦ ، ص ١٦٢ .

(٣) في معجم الادباء والوافي بالوفيات : " عن " .

(٤) في الوافي بالوفيات : " حذبا " .

(٥) في المصدر نفسه : " لم " .

وقال حين رأى ولدا لولده المحسن مترعرا ناشئا : (١)

" ابو علي محسن كبدى وقد نشأ من فتاه لي خلب

كأن هذا وذاك ان نسبنا من سواد يضمنه قليب

لا زلت القى الخطوب دونهما حتى كأنى عليهما حجب

وكان يحاول تدبير امور ابنائه ورأينا من قبل توصيته للشريف الرضى وللصاحب بن عباد بهم

بعد وفاته كما كان احيانا يلتمس اجراء الرزق لاحد هم فيكتب الى بعض الرؤساء . (٢)

" وما انا الا دوحه قد غرستها وسقيتها حتى تراخى بها المدى

فلما اقشعر الجلد منها وصوحت^(٣) اتتك باغصان لها تطلب الندى "

او يكتب الى بعضهم قصيدة فى انفاذ ابنه اليه ليستخدمه : (٤)

" بعثت اليك ابني، والله انه لأحلى من النفس المقيمة فى جنين

وهل انا الانسخة هي اصله وهل هو الا كالمحرر فى الكتب

(١) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٩ وال تذكرة الحمدونية (٧٧١)، الورقة ١٧٦ ب ومعجم الادباء،

ج ٢، ص ٧٦ - ٧٧ والوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١١٢.

(٣) فى معجم الادباء، ج ٢، ص ٧٧ : " العود ".

(٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٦٩.

وشتان بين العود ابيض ونحنى وبين النبات الغض والغصن الرطب (١)

ومما يدل ايضا على رعاية الصابي لابنائيه واحفاده انه جعل من جملة اعتذاره عن الالتحاق
بالصاحب انصرافه الى تأديب ابنائه .

هنالك بعض النواحي السلبية في شخصية ابي اسحاق كالاكثار من الشكوى
والاستعطف والتذلل ، قد تكون دفعت اليها طبيعة عمله كاتبا والتقلبات التي كان
يتعرض لها صاحب هذه الوظيفة مما يجعل حياته عرضة للنكبات باستمرار ، وفي ذلك قال ابو
حيان التوحيدى عند ما سأله الوزير ابن سعد ان لم لا يعمل كاتبا في الديوان :
" انا رجل حب السلامة غالب علي والقناعة بالطفيف محبوبة عندي " . (٢)

خط ابو اسحاق الصابي الكثير من الرسائل في الشكوى من النكبات والسجن
او الفقر وراق ما الوجه في السؤال والطلب . يقول في رسالة استمache الى صاحب :
" فلما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطرف ، وتجحف بعد التحيف . وصادف
ما تجدد علي منها في الوقت اشلاء منهوكة واعظما مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودية ، فارقت
الايتار ، واطعت داعي الاضطرار ، وجعلت اختار الجهات ، واعتمد الجنبات ، لأنحومنها

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

ما لا يعاب سائله اذا سأل ولا يخيب آمله اذا امل ، فكان سيدي ، ادام الله عزه ، اولها
اذا عدت واولها اذا اعتمدت .

" وكتبت كتابي هذا بيد يكان وجهي يتظلم منها ان تخطه اشفاقا على مائه ما يهريقه
لولا الثقة بانه ، ايده الله ، يحقن مياه الوجوه ويحميها ويجمعها ولا يقذيها ، . . . " (١)

ويقول في مثل ذلك : " ولما اناخت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفيره
وعون المغارم اثقل وطأة من ابقارها ، وابلغ تأثيرا في ثلمها واخرارها ، فقد اضطرني الى
تجشم ما كنت اجمه من نداه ، والتعرض لما كنت اذخره من جدواه ، . . . " (٢)

فلم يكن الصابي يأنف من التذلل للكبراء للوصول الى ما يريد ، من ذلك ما كتبه في
الشكوى عامة وما كتبه من السجن في استعطاء فعضد الدولة او غيره . وغالبا ما كان يعبر عن
العلاقة بينه وبين المسؤولين او المنعم بالعلاقة بين العبد والمولى . ففي قصيدة كتبها
الى بعض الرؤساء في انفاذ ابنه اليه ليستخدمه يقول :

" فدونك فاقبله وثق منه بالذي يراد من العبد المناصح للرب " (٣)

(١) رسائل الصابي ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

او قوله في رسالة يشكر الوزير ابا الفرج محمد بن المهباس، عندما اطلقه من سجنه بعد
نكبتة مع عمال المهلبى : " فوالله جهد القسم، اننى اليوم اخذ عبيده واصفاهم طوية
واصدقهم سريرة " (١) .

او قوله فى رسالة الى صاحب : " وانفذت درجة كتابا الى مولانا الامير مؤيد
الدولة سلكت فيه سبيل العبد اللائذ بمولاه والخادم المحتاج الى نداء " (٢)
ومن امثلة تذلل قوله يشكر الوزير ابا نصر سابور بن اردشير على صلة منه :

تشاكل ما قدمت من نعم عندي	" انتهى على بعد المدى منك نعمة
يمن بها المولى الكريم على العبد	كتابك مطويا على كل منة
وعفرت قد ام الرسول به خدى " (٣)	فقبلت اجلا لا له الارض ساجدا

وهذا يشبه ما كتب فى رسالة الى صاحب ردا على صلة منه :

" وقمت عند ذلك قائما، وقبلت الارض ساجدا، وكررت الدعاء والثناء مجتهدا، " (٤)

-
- (١) لقاح الخواطر، الورقة ٩٣ أ.
 - (٢) رسائل الصابى، ص ٤١٠ .
 - (٣) معجم الادباء، ج ٢، ص ٧٢ .
 - (٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٤٥ ولقاح الخواطر، الورقة ١٤، معجم الادباء، ج ٢، ص ٥٠ .

من ناحية اخرى ، وفي اطار علاقة الصابي بالكبراء عامة من امراء او وزراء يلاحظ
تميز الصابي بالليونة البالغة التي قد تتجاوز حد ها لتبلغ ما يمكن تسميته بالتزلف او المعالاة
ان لم يسجل للصابي طيلة حياته موقف سياسي واحد اتخذه ووقف وانه بجرأة . هذا يدل
على صفة المحايدة لديه واثار السلامة والامن ، فهو يخدم الامير حتى اذا زالت ولتسه
خدم من يحل محله واصبح مناصرا له ، وبكلام آخر ، يتخذ الصابي جانب الغالب دائما
وقد بلغ من زعيقته وتذبذبه انه لم يكن يعطي رأيه بصراحة وصدق باحد ما . من ذلك رأيه
بالصاحب الذي نقله التوحيدى ونعید اثباته : " ان صدقت في وصفه ساء قوما ، وان كذبت
في وصفه ساءني ، ولان انفرد بالمساءة احب الي " (١) هذا الموقف لا ينطبق على رأى ابي
اسحاق بالصاحب بالذات ، وانما يشكل قاعدة لتصرف الصابي وحكمه على الاشخاص فهو قد
يجانب الصدق باعطاء رأى او باتخاذ موقف ، كي لا يسيء الى احد ، اما خوفا وحذرا او تزلفا
ومجاملة .

قاعدة اخرى في سلوك الصابي هي تواضعه ، وفي ذلك يقول : " ان الترفع على الناس
غلط في طلب الرفعة عندهم ، والتواضع لهم حيلة في الظفر بها منهم ، لمقابلتهم كلا مسن
الحالين بعثله " (٢) ولا حاجة الى اعطاء شواهد على هذه الصفة التي ميزت كل علاقاته والتي

(١) مثالب الوزيرين ، ص ٢٠٩ .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ٨٩ أ .

هي اساس الاستعطف والتدلل لديه .

لكن هذا الجانب من شخصية الصابي المحايدة والمجاورة ربما كان يخفي جانبا اكثر خطورة وهو شخصية السياسي المتآمر الذي يعمل على الساحة السياسية بسرية وصمت وهنا تبدو عدة تصورات لدور الصابي ، لا يمكن عدّها حقائق لعدم توفر الادلة الكافية عليها ، وانما هنالك مؤشرات توحي بها . هذه التصورات قادرة على قلب الكثير مما ينسب حول شخصية الصابي من افكار ، لانها تشكل التقيض لما جاء حوله في المصادر ولما يسدو من رسائله فحكاية نكبات الصابي المتواصلة ، قد لا تكون بسبب ظلم الحكام والروءساء فقط وانما لتحركات سياسية معينة كان الصابي يقوم بها . ففي بدء حياته كان يخدم المهلبسي وهذه العلاقة هي الوحيدة الواضحة في علاقاته مع الوزراء والملوك وكان نصيبه في نهايتها الاعتقال لوجود اسباب من الخلاف بين المهلبسي ومعز الدولة . لكن علاقاته بمعز الدولة وعضد الدولة تشير الاسئلة الكثيرة . فقد كان يعمل في خدمة عز الدولة ببغداد . وكان في الوقت ذاته يخدم عضد الدولة الذي كان في فارس عن بعد . ولما ساءت العلاقات بين الاثنين ، بعدما فتح عضد الدولة بغداد سنة ٣٦٤ هـ ، لم يتخذ الصابي جانب مخدوميه الاساسي عز الدولة وانما استمر في علاقته بعضد الدولة حتى اذا اراد هذا الانصراف عن بغداد خاف ابو اسحاق من البقاء فيها بعد مضيئه ، ولما لم يكن يستطيع مرافقته الى فارس ذكره عضد الدولة في وثيقة الصلح التي كتبت بينه وبين عز الدولة . مع ذلك استتسر الصابي خوفا من عقاب عز الدولة ثم شفع له لدى عز الدولة ، فكتب له امانا ومغذ لك قبض عليه بعد ظهوره من الاستتار ، فاستتار الصابي الذي فسرناه فيما سبق بعدم ثقته بمعز الدولة

ووزيره ابن بقية (١) ، يمكن ان يفسر ايضا بانه كان ضالعا في مؤامرة مع عضد الدولة الذي كان طامعا في بسط سيطرته على بغداد ، والا لم يعمل عضد الدولة على طلب الامان له قبل ترك بغداد وهو في الاصل ليس كاتبه بل كاتب الخليفة وعز الدولة ، وهذا ما يؤكد اتعاان الصابي بجانب عضد الدولة ربما لما يعرفه من قوته وقدرته واطماعه في السيطرة وسط النفوذ . ولما يعرفه في الوقت ذاته من ضعف عز الدولة وفساد تدبيره .

ثم لما خرج الصابي من السجن عاد الى خدمة عز الدولة حتى اذا ورد عضد الدولة بغداد للمرة الثانية سنة ٣٦٧ وتغلب على عز الدولة وقطعه ، قُبض على الصابي بعد ان امنه ، هل اخطأ الصابي في الحساب هذه المرة فلم يتوقع عودة عضد الدولة الى بغداد فأكثرت من الاختصاع بعز الدولة والوقوف الى جانبه ؟ ام انه كان ضالعا بمؤامرة جديدة ما ادى الى القبض عليه وسجنه فترة طويلة لم تقصر منها رسائله في الاستعطاف ولا شفاعات اصدقائه من المتنفذين . ثم بعد خروج العائلي من السجن ثانية وبعد وفاة عضد الدولة بفترة غير معلومة

(١) راجع ص ٥٢٣ و ٥٢٤ من هذا البحث : وجميع الاحداث المذكورة في المتن قد فصلت في عرض سيرة حياة الصابي .

تماماً يبدأ بعلاقة مع الشريف الرضي صاحب الاطماع في مركز الخلافة ، مقرباً لديه
هذه النزعة مادحا جماعة العلماء شيئا بماثرهم . (١) ولا ندرى ان كانت علاقته
بالصاحب بن عباد ايضاً تحمل ابعاداً سياسية ، فنجد ، يقول في احدى رسائله اليه
معتذراً عن الاقلال من مكابته : (٢)

" كنت منذ سنين كثيرة مرمياً بعطلة وموسوما بعزلة فتخوفت ان يتطرق لبعض
المنحرفين عني ، والباغين عليّ قول ربما تطرق مثله (٣) عليّ من نياه زمانه وهرتبه (٤)
اوطانته ، فأكون قد ابديت لمراده (٥) عن مقاطي ولمجايله عن حز (٦) مفاطلي ،
فلزمت (٧) التقية وكهنت الانبياء وانتظرت الا مكان وتوقعت دورة الزمان "

-
- (١) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٧ - ٣١ والميتة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ .
(٢) الرسالة في التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٩ أ - ٧٩ ب ولقاح الخواطر ، الورقة
٩٤ ب - ٩٥ أ .
(٣) في لقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ أ . " ربما يطرق عليّ من نياه " . . .
(٤) في المصدر نفسه : " جفته " .
(٥) في المصدر نفسه : " انتدبت لمواصله " .
(٦) في المصدر نفسه : لمخاطبه عن حد " .
(٧) في المصدر نفسه : " فالتزمت " .

فما هي الاسباب التي دعت الى التقية ابا ن المحنة والى التخوف من مكاتبة صاحب

او الاتصال به ، وما علاقته الحقيقية بالصاحب ؟

يلاحظ على الصابي بالاضافة الى ذلك ، انه كان خلال كل نكبة او بعد ها يعترف
بانه مذنب ويعتذر ويستعطف ، فهل كان التذلل و ارادة الخلاص تصل بالصابي الى حد
الاعتراف بذنوب لم يقترفها ؟ ام انه كان مذنباً فعلاً ؟

هذه صورة للصابي تتسم بعدم الوضوح ، فلا يمكن اتهمه صراحة بانه رجل مؤامرات
ودسائس لعدم وجود الاثباتات القطعية ، كما لا يمكن الحؤول دون تسرب الشك السي
الان هان حول هذه الشخصية الظاهرة المرونة والبراعة .

آراءه : اذا اردنا دراسة آراء الصابي نقع في صعوبة كبيرة وذلك لان ابا اسحاق كاتب
يكتب كما يجب ، وخاصة في مجال السياسة حيث لانستطيع استنتاج فكرة عن حقيقة آرائه
فهو في الرسائل الديوانية يتحدث عن نظام الحكم وصفات الحاكم كما يجب ان يكون ، بما
يتوافق مع الشرع الاسلامي ، اما في حديثه عن الملك فكلامه قريب من تجربته الشخصية
يمليه عليه ما يريد ان يتحقق له من عضد الدولة .

معظم آراء الصابي الاخرى جاءت نتيجة تجربته في الحياة ، فالنوايب والاحداث
التي مرت به ، تركت لديه خواطر من الحكمة والتأمل يصعب صياغة فلسفة في الحياة متكاملة
منها ، فهو يرى ان الانسان مركب من شيئين : شريف ودني ، النفس والجسم ، وانه كما
يجب ان يتخذ للجسم الدقي اطباء يعالجونه من امراضه ويغذونه بالقوت والدواء ، وجب

ان يفعل للنفس الشريفة مثل ذلك فيتماهدها بالآداب والنواهي والمواظبة . (١)
ثم انه لاحظ تقلب الايام بالانسان وانتقاله من حال الى حال فرأى ان من شروط الدنيا
اقتران الخير بالشر والنفع بالضر ، وهذا امتحان من الله للعباد ليكونوا عند السعرات
على اهبة الانتقال منها فلا يغبطوا ، وعند الضراء على امل الخلاص منها فلا يقنطوا .
(٢) ويتحدث في المعنى ذاته عن الدهر وتقلبه " ان كانت الحسنة منه زائرة لا تقيم
والسيئة زائلة لا تدوم " ، (٣) لذا يجب ان يتبصر الانسان في معاناته مع الايام لاختلاف
ما تتعاقب به مع الثقة " بحلم الله العادل وفضله الشامل " (٤) مدار هذه الافكار كما نرى
عدم الركون الى الدنيا لانها لا تبقى على حال ، ونلاحظ قرب هذه الافكار من تجربته
الشخصية .

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ أ - ٩٨ ب .

(٢) المصدر نفسه ، الورقة ٨٦ ب .

(٣) المصدر نفسه ، الورقة ٩٧ أ .

(٤) المصدر نفسه .

وهكذا نرى ان نشير الى ان بعض الظلم وقع على الصابي في قول القائل
ان اثر الحكمة قليل في رسائله (١) وان القارى لا يجد فيها " ما يلفت النفس اليه
الا بعض الفقرات الوصفية التى تمثلنا لنا رجلا فنانا بحكم القول ، وجيد الوصف ، وهذه
الفقرات قليلة ايضا ، وهى غريقة فى لجج استهبابه وتطويعه " . (٢) ونقول ان صاحب هذا
الرأى قد اغفل تجربة وجدانية عميقة تدو آثارها فى رسائل الصابي وكلماته وأشعاره
المبعثرة فى ثنايا المصادر . . صحيح انه كان فنانا يجيد سياسة القول ، لكنه كان ايضا انسانا
زهيف الحس ، عميق التأثر لكل فنان اصيل وحتى فى رسائله الديوانية التى تتضمن احيانا مسادة
قانونية بحث كالمهود والتقليدات نجده يضي عليها صهفة فنية جميلة تحولها من مسادة
جافة الى حياة ، فن تصور الحاكم المعادل يتحرك امام اعيننا بافضل ما يمكن ان يكون عليه حاكم ،
وسنجد خلال دراستنا لغنه النثرى انه كان غنيا بالحكمة التى استعدها الصابي من محوره .
• بدراسة القوانين الاسلامية ، والثقافة الاسلامية عامة ، حتى استطاع ان ينفذ الى روحية
هذه القوانين ويجردها من ماديتها .

(١) زكي مبارك فى النثر الفنى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

مؤلفات الصابي

لأبي إسحاق الصابي مؤلفات عدة في العلم الرياضي والأدب والتاريخ ، منها ما ذكرته المصادر القديمة ولم يصل إلينا ، ومنها ما هو مخطوط في مكتبات العالم ، والقليل منها هو المطبوع المتداول . فقد ذكر له القفطي كتاب المثلثات وعدة رسائل في أجوبة مخاطبات لأهل العلم بهذا النوع . (١) ويبدو أن إحدى هذه الرسائل موجودة على شكل مخطوط وهي رسالته إلى أبي سهل الكوهي وقد ذكرها بروكلمان . (٢) أما في الأدب فذكرت له المصادر ديوانا شعريا (٣) وكتاب ديوان رسائل في نحو الف ورقة . (٤) وقد تتبع بروكلمان أمر هذه الرسائل وفصلها على الشكل التالي : (٥)

١- رسائل الصابي : (أ) في المعانيات (ب) في الشغاعات (ج) مانفذ إلى العمال والنواحي ، (٦) .

-
- (١) تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ .
 - (٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧) ج ٢ ، ص ١٢٠ .
 - (٣) الفهرست ، ص ١٤٩ و معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٩٤ و هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٧ .
 - (٤) المصادر نفسها و تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ .
 - (٥) تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .
 - (٦) وهو مخطوط . المصدر نفسه .

٢ - منشآت الصاهي . (١)

٣ - المختار من رسائل أبي اسحاق الصاهي وقد نشره الامير شكيب ارسلان الجزء الاول منه (٢)

واما في التاريخ فله كتاب التاجي في تاريخ بني بويه ، (٣) وقد ضاع الا قليلا

منه وسندرس خصائصه الادبية في الفصل الثاني . وقد نسبت بعض المصادر هذا الكتاب الى

سنان بن ثابت . (٤)

وقد ذكرت المصادر عدة مؤلفات نسبتها الى الصاهي في حين انها

لسواه ، وان نسبتها اليه ليست ثابتة . فذكره كتاب اخبار اهله وولد ابيه . (٥) وقد

نسب الكتاب نعمه الى سنان بن ثابت . (٦) ولا علم لدينا حول هذا الكتاب طالما انه لم يعلن

(١) تاريخ الادب العربي ج ٢ ، ص ١٢٠ . وهو مخطوط .

(٢) المصدر نفسه . وهو مخطوط . وقد اعتمد الجزء المنشور منه في هذا البحث .

(٣) ذكر في الفهرست ص ١٤٩ ومعجم الادباء ج ٢ ، ص ٩٤ وهديّة العارفين ج ١ ، ص ٧٠ .

(٤) معجم الادباء ج ١١ ، ص ٢٦٢ ، نسبة الكتاب الى الصاهي صحيحة بدليل اجماع المصادر

وما لتأليفه من علاقة مباشرة بحياته .

(٥) الفهرست ، ص ١٤٩ ومعجم الادباء ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٦) معجم الادباء ج ١١ ، ص ٢٦٣ وتاريخ الحكماء ، ص ١٩٥ وطبقات الاطباء ،

منه شئ* ولم يذكر في كتابات ابي اسحاق لكن يثير انتباهنا هنا قول ياقوت عن الصابي
" وكتب من الحبس الى ابنه المحسن وقد اكثر من هذا في ترجمة ابيه* (١) ، وقوله
فسي عدة مواضع من معجم الادباء* انه ينقل من خط المحسن كما ان المصادر
التي نقلت اسماء* كتب سنن بن ثابت نقلتها من خط المحسن ايضا ، (٢) وقد
مر بنا وجود نوع من القرابة بين ابي اسحاق وسنان ، فهل يكون المحسن هو صاحب
كتاب اخبار اهل المذكور ؟

وطالما ان المصادر قد وقعت في الغرض في نسبة المؤلفات بين

الصائبة ، فقد نسبت الى سنان بن ثابت رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر (٣) ،

فيما نجد لابي اسحاق رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر اشار اليها التوحيدى

في المقابسات (٤) ، واثبتت في التذكرة الحمدونية (٥) ور عليها ابن الاثير في المثل السائر

(١) معجم الادباء* ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) تاريخ الحكماء* ، ص ١٩٥ و طبقات الاطباء* ، ص ٣٠٤ .

(٣) معجم الادباء* ، ج ١١ ، ص ٢٦٣ و تاريخ الحكماء* ، ص ١٩٥ و طبقات الاطباء* ، ص ٣٠٤ .

(٤) ابو حيان التوحيدى ، المقابسات (تحقيق محمد توفيق حسين ، بغداد ، مطبعة الارشاد ،

١٩٧٠) ص ٢٧٢ .

(٥) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٦ - ٧٨ .

بعد ان ذكر ما جاء فيها (١) .

نسب للصاهبي ايضا كتاب اخبار الوزرا (٢) ومعلوم ان الكتاب المذكور

هو تحفة الامراء في تاريخ الوزرا لحفيد هلال بن المحسن ونسبته اليه ثابتة . (٣) كما

نسب الى ابي اسحاق كتاب النفوس النادرة (٤) وهو لغرس النعمة بن هلال الصاهبي (ت ٤٨٠ هـ) .

ونذكر من مؤلفات ابي اسحاق كتاب اخبار النجاة (٥) . وكتاب اختيار شعر المهلب (٦)

ولا علم لدينا عنهما حيث لم يذكر في كتب الفهارس التي ذكرت الصاهبي (٧) .

(١) ضياء الدين ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (مصر، المطبعة البهية، ١٣١٢ هـ)

ع ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٢) هدية العارفين، ج ١، ص ٧ .

(٣) الكتاب مطبوع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت، ١٩٠٤ وقد الحق به الجزء الثامن المتبقي من كتاب التاريخ لهلال بن المحسن وقد جاء في اخبار الوزرا ما يؤكد نسبة الكتاب الى

هلال حين يقول : " وعهدى وانا اوقع في قصص المتظلمين في ايام / صمصام الدولة عن ابي اسحاق جدي في ديوان الانشاء " . (ص ١٥١) ويذكر فيه ايضا منزلا ابتاعه ابو اسحاق .

(ص ٢٨٨) .

(٤) خير الدين الزركلي، الاعلام (بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠) ج ١، ص

٢٧٨ والكتاب مطبوع بتحقيق صالح الاشتري سنة ١٣٨٧ هـ . وقد سبق استعماله فني

هذا البحث .

(٥) هدية العارفين، ج ١، ص ٧ .

(٦) معجم الادباء، ج ٢، ص ٩٤ .

(٧) كتايب الادب العربي لبروكلمان الذي ترجم للصاهبي، ج ٢، ص ١١٩ وكتاب :

Fuat .Sezgin, Geschichte des arabischen

Schrifttums (Leiden . E.J. Brill, 1975) 2: 592

اما الكتاب الذى ضم المراسلات بين الشريف الرضى وابي اسحاق فتنسب
بعض المصادر جمعه الى ابي اسحاق حيث تذكر من مؤلفاته كتاب مراسلات الشريف
الرضي ابي الحسن محمد الموسوي (١) فيما تنسبه مصادر اخرى الى الشريف الرضى فتذكر
بين مؤلفاته كتاب رسائله الى ابي اسحاق الصابي (٢) ومختار شعر ابي اسحاق الصابي
وما دار بينهما من الرسائل . (٣) ولست ندرى ان كان هذان الاسمان يدلان على كهاب
واحد . اما بالنسبة للكتاب الذى وصلنا فى هذا الموضوع بعنوان رسائل الصابي والشريف
الرضي فالمؤكد ان الصابي لم يجمعه لتضمنه ما قاله الشريف فى رسائله .

(١) الفهرست، ص ١٤٩ .

(٢) روضات الجنات، ج ٦، ص ١٩٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥ .

الفصل الثاني

الصافي الكاسب

" وابو اسحاق معانيه فلسفيه ، وطباعة عراقية ، وعادته محمودة ،
لا يشب ولا يرسب ، ولا يكل ولا يكم ، ولا يلتفت وهو متوجه ، ولا
يتوجه وهو ملتفت ، . . . هذا ونظمه مشوره ، ومنثوره منظومه ،
انا هو ذهب ابريز كيفما سبك فهو واحد ، وانا يختلف
بما يصاغ منه ويشكل عليه ، " .

ابو حيان التوحيدى

الامتناع ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨

رسائل الصابي

انواعها

رأينا انه ضمن مؤلفات ابي اسحاق مجموعة كبيرة من الرسائل ، لا زال بعضها مخطوطا
في مكتبات العالم ، مما حدا بنا الى ان نحصر دراستنا في ما نشر من هذه الرسائل خاصة
في كتاب المختار من رسائل الصابي ، وما استطعنا استخراجا من ثنايا المصادر القديمة ،
المطبوعة منها او المخطوطة .

يمكن تقسيم رسائل الصابي الى نوعين رئيسيين : الرسائل الديوانية والرسائل الشخصية .
١ - الرسائل الديوانية : ونعني بها كل ما كتبه ابو اسحاق عن الخليفة العباسي او عن
احد الملوك البويهيين الذين كانوا يتسلمون زمام الامور ، او عن احد الوزراء ، ويشمل ذلك :
كتب الفتح :

تتضمن اخبار الخليفة او احد الملوك او غيرهم نبأ الفتح الذي قد يكون بالتغلب
على احد الشوار المتمردين ، او باسترجاع منطقة كانت في ايدي الاعداء ، وغالبا ما تتضمن
هذه الرسائل وصفا للمعارك ودعا لموقف المنتصر بالادلة والحجج . من امثلة هذا النوع رسالة
فتح بغداد والانتصار على سبكتكين المتعمد سنة ٣٦٤ وقد كتبت عن عز الدولة بختيار الى ركن
الدولة (١) . ورسالة اسر الدمستق التي كتبت سنة ٣٦٢ عن المطيع لله الى ركن الدولة (٢) .

(١) رسائل الصابي ، ص ١٧ - ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٧٥ .

كتب مفتوحة الى الرعية :

يصدر هذا النوع عن الخليفة او الملك لنهي الرعية عن امروحثهم على آخر او لطلب النصرة منهم . من ذلك رسالة عن الخليفة الطائع لله الى رعية خرجت عن الطاعة (١) . وعنه رسالة الى اهل البصرة (٢) . وغير ذلك .

كتب المهود والتقليدات :

وكانت تصدر عن الخليفة كالعهد الى احد الحكام او القضاة او تقليد اعمال النقابة او الحج او الصلاة او تقليد حماية منطقة معينة . وتتضمن هذه الكتب عادة الصفات التي يجب ان تتوفر في صاحب التقليد او العهد ، والاعمال المتعلقة بهذا المنصب ، والتوجيهات التي تحدد له تصرفه وواجباته . ويدخل ضمن هذه المراسيم السلطانية كتب الخلع والتشريف والتلقيب والتكرمة كالرسالة الى عضد الدولة بالتشريف والخلع وزيادة التلقيب بتاج الملة (٣) والرسالة عنه ايضا بتكرمة بختيار بن معز الدولة (٤) .

كتب الاقطاعات وما يتعلق بالخراج :

تتعلق بشؤون الاقطاعات كاقطاع ضيعة الى احد الاشخاص وذكر شروط ذلك ومن امثلتها عن المطيع لله الى فلان (٥) . واما ما يتعلق بشؤون الخراج فمنها رسالة

(١) رسائل العاهلي ، ص ٢٨٢ - ٢٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .

(٥) ابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ٦١ ب والقلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ١٢٢ .

عن المطيع لله في نقل سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الخراجية (١) .

عقود الصلح والهدنة وعهود الامان :

فأما عقد الصلح فمنه ما يكتب من جانب واحد كالصلح الذي كتبه ابو اسحاق عن الشريف ابي

احمد الموسوى وابنه الرضي الى سابور بن اردشير وفيه الايمان المؤكدة على نفسيهما بالاخلاص له

وصيانة ابنته التي هي زوجة الرضي ، وجعل في نسختين (٢) . ومنها ما يكتب عن الطرفين كالصلح الذي

جرى بين مصمام الدولة واخيه شرف الدولة سنة ٣٧٦ هـ ويذكر فيه شروط الاتفاق وما يلتزمه

كل الى الآخر ، ثم حلف كل منهما على ذلك (٣) .

وأما رسائل الهدنة فتتضمن شروط الهدنة بين الطرفين والحلف على تنفيذها وتوقيع الشهود

على الكتاب . منها نسخة الهدنة التي كتبت عن مصمام الدولة بأمر الطائع لله لملك الروم (٤) .

وأما عهد الامان فهو شبيه بالهدنة وقد يكون موجه الى فرد او جماعة طلبت الامان فيعطى

لها نتيجة التزامها بالطاعة والاستقامة . من ذلك نسخة امان لجماعة من العرب (٥) .

شؤون مختلفة : العلاقات بالدول والجماعات والولاة .

من ذلك نسخة تذكرة الى القرامطة عن عز الدولة يؤكد فيها الصلات الطيبة بهم ويعرض

بعدوه الناصر سبكتكين التركي (٦) . او ما يكتب عن الخليفة الى الولاة ككتاب الطائع لله الى عهد الدولة

(١) رسائل الصابي ، ص ٣٠٥ والقلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٦٥ .

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ٩٧ - ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢ - ٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠ - ٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٣ ، ص ٣٣٧ .

(٦) رسائل الصابي ، ص ٣٦٠ .

بالدعوة الى الصلح بينه وبين عز الدولة سنة ٣٦٦ هـ (١) ، او ما يكتب عن الملوك الى القواد

لاستمالتهم كما كتب عن عز الدولة الى سيكتكين (٢) ، ثم الى الفتكين (٣) .

هذه اهم الموضوعات التي تعالجها الرسائل الديوانية التي تعتبر المجال الذي برع فيه

الصابي وعليه كانت شهرته الواسعة . ثم اننا نجد نمطا آخر من الرسائل يمكن الحاقه تجوزا بالرسائل

الديوانية ، وهو رسائل متنوعة كتبها ابو اسحاق عن الملوك او الوزراء في موضوعات مختلفة منها

الجدية ومنها الهزلية : اما في الموضوعات الجدية فوجد له رسالة كتبها عن عز الدولة لما نقل

ابنته المزوجة بعدة الدولة ابي تغلب الحمداني اليه (٤) . ومنها في الشفاعة كما كتب عن مصصام

الدولة الى صاحب بن عباد (٥) ، ومنها في الصيد كوصف رحلة صيد عن الوزير محمد بن العباس بن

فسانجس الى عز الدولة بختيار (٦) ، او التهنية او غيرها من الموضوعات .

واما الموضوعات الهزلية : فمنها عهد التطفيل الذي كتبه ابو اسحاق عن عز الدولة

بختيار (٧) . ومنها كتاب تعزية في ثور كتبه عن ابن بقية الى القاضي ابي بكر بن قريعة يعزيه عن

(١) رسائل الصابي ص ٣٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٤ .

(٤) اليتيمة ج ١ ص ٢٥٥ وابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ٦٠ أ ، وفي الراغب الاصفهاني ،

محاضرات الادب ص ٢١١ ج ٣ من الرسالة ج ٢ ص ٢١١ .

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٦ ص ٥٦٠ .

(٦) ابن حمدون ، التذكرة (٧٦١) ، الورقة ١٩٢ .

(٧) التنوخي ، منشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٥٥ والخطيب البغدادي ، التطفيل وحكايات الطفيليين واخبارهم

(تعليق كاظم المظفر ، النجف ، المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٦ / ١٩٦٦) ص ١١٢ و صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٦٠ .

شور جلس للعزاء عليه تراقعنا (١) .

٢ - الرسائل الشخصية : وهي كل ما كتبه ابواسحاق عن نفسه . والذي وصلنا من هذا النوع قليل جدا ، معظمه مقاطع من رسائل نقلتها المصادر ، عالج ابواسحاق فيها عدة موضوعات كالتهنئة والشكر ، والشكوى ، والعتاب ، والوصف والمدح والاستماعة والتعزية والادب ، وغير ذلك من الموضوعات . وكما اعتبر الصابي مجيدا في السلطانيات كل الاجادة فقد اعتبر مقصرا في الاخوانيات وكتب التمازي (٢) . وطالما ان النماذج التي لدينا قليلة فلا نستطيع الفصل في هذا الموضوع ، بل سنعرض لذكر السمات العامة لرسائل الصابي المستفادة من رسائله جميعا .

السمات العامة للرسالة لدى الصابي :

لا تخرج رسائل الصابي من حيث بعض سماتها عن اطار عصرها ولا عما يحدده نوعها ، اذ تختلف الرسائل الديوانية في بعض خصائصها عن الرسائل الشخصية مثلا ، وهذا امر طبيعي ، لكن لرسالة الصابي ما يميزها ضمن السمات العامة للرسالة في عصره ، اذ ان لكل كاتب طريقة وان السمة الواحدة وان كانت عامة لكتاب العصر لابد ان تبرز في ادب كل كاتب بشكل متميز ، بالاضافة الى ذلك ، نجد ان لرسالة الصابي سمات اختلفت بها وحدها . فما كان الصابي فيه مائلا لخصائص الرسالة في عصره ، مع تفرد ضمن ذلك في بعض النواحي ، طول الرسالة ، واستعمال الامثال والشعر فيها ، والاكتثار من السجع والازدواج ، واستعمال التحميدات والادعية والاقتباس من القرآن الكريم ، . . . اما الخصائص الذاتية الميزة للرسالة لديه فتبرز في بناء الرسالة وتصوير الشخصيات وغير ذلك .

(١) زهر الاداب ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

(٢) ضياء الدين ابن الاثير ، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (تحقيق احمد الحوفي وبدوى طبانة ،

القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الاولى ١٣٧٩ / ١٩٥٩) ج ١ ، ص ٣٣٢ .

١ - طول الرسائل :

تتميز الرسالة لدى الصابي عامة بطولها وخاصة رسائل الفتوح والعهود ، وهذا عائد الى تشعب الموضوعات التي تعالجها احيانا ، وانتحائه فيها منحى تفصيليا استقصائيا ، بالإضافة الى رتبة الرسالة الديوانية وما استدعيه من التحميد والدعاء والايضاح والشرح وغير ذلك . كما في رسالة كتبها عن عز الدولة عند دخوله الموصل وانهزام ابي تغلب الحمداني عنها سنة ٣٦٣ هـ (١) فاننا نلاحظ احتواء مقدمتها على تحميدة ودعاء . اما التحميدة فيمكن ان نقسم الى اربع تحميدات ، في الاولى يحمد الله ويذكر صفاته في العظمة والقدم والعدل والكرم ، ومساعدة الاولياء والانتقام من الاعداء . والتحميدة الثانية على ان الله اصطفى محمدا للنبوته فنقل الناس من الضلال الى الهدى والتوحيد ، والتحميدة الثالثة على انه انتخب امير المؤمنين من اصل الشريف ، اما الرابعة فهي على ان اهل البويهيين : ركن الدولة وعضد الدولة وعز الدولة على الحظوة عنده .

وعلى مثل هذه الاطالة جرى ابو اسحاق في كثير من رسائل الفتح كرسالة فتح بغداد (٢) ورسالة اسر الدمستق (٣) ، لكن الاطالة لدى الصابي غالبا ما كانت تخدم اهدافا في رسالته وهذا ما سنعرض له في تحليل نماذج من نشره . وانما نذكر من امثلة هذه الاهداف في المشل المذكور سابقا (اى رسالة فتح الموصل) (٤) .

اولا : خلق ثنائية متقابلة في الرسالة بواسطة اطالة المقدمة كما رأينا : فمن ناحية لدينا البويهيون التابعون للخليفة المنتهي الى محمد رسول الله . وهذا يعطى شرعية للحكم ويجعله مثالا لله وخليفته على الارض ، يقابله من ناحية اخرى جماعة من المرتدين

(١) انظر الرسالة رقم (١) في ملحق الشواهد .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١٧ - ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٧٥ .

(٤) انظر الرسالة رقم (١) في الملحق .

العاصين المنكرين لشرعية الحكم ، الخارجين عن الطاعة لحاكم بغداد ومن ثم للرسول محمد عليه السلام ومن ثم لله سبحانه . هذا السياق المنطقي في رسائله : الله ، النبي ، امير المؤمنين ، البويهيون ، يظهر النصر كنتيجة تؤكد على ان طاعة الامير الصالح هي من طاعة الخليفة الصالح الذي يؤيد ما اداءه النبي عن الله « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » (١) ثانيا : الاقضية في شرح اسباب حملة عز الدولة على الموصل وذكر اعمال ابي تغلب وسيطته ، يخدم امرين : تغطية حقيقة موقف عز الدولة حيث يبدو وبريط من كل رغبة شخصية دفعت به الى الموصل كاللهو والصيد وجمع الاموال ، ثم ان الصابي لا يكتفي بتبرئة .. حاجة عز الدولة حتى يجعل ذهابه ضروريا حيث يظهر بمظهر الحاكم الشرعي الذي ينفذ احكام الشريعة .

الامر الثاني هو اضعاف موقف ابي تغلب ، فذكر سيئاته ثم الاستطراء في ذكر ما جرى بينه وبين والده واخوته يخدم في ادائه فيبدو في الرسالة بصورة المناقض تماما لما يجب ان يكون كما جاء في القرآن الكريم . فبدل ان يكون القائد المسلم المرابط في الثغر ينحط الى مرتبة عامل من عمال صاحب الروم او بطريق من بطارقه يهديه الخمر والصلبان ، لذا تجب مقاتلته شرعا .

ثالثا : يخدم التطويل في الاناحة لعناصر فنية بالبروز في الرسالة كرسوم الشخصيات والتطوير التصاعدي في الاحداث .

ونظن ان الاطالة من مستلزمات اسلوب الصابي الذي يسير على وتيرة واحدة ويتميز بالهدوء النسبي ،

او كما قال التوحيدى : " لا يثب ولا يرسب ، ولا يكل ولا يكهم " (٢)

٢ - الترابط في تركيبة الرسالة : البنية الخارجية والبنية الداخلية .

على ان طول رسائل ابي اسحاق لم يفقدها . وحدتها والترابط القائم بين اجزائها ، والسدى

(١) سورة النساء (٤) : ٥٩ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ص ٦٧ .

يجعل كل قطعة من الرسالة تخدم هدفا لدى الكاتب ، وسيتبين لنا ذلك في تحليلنا لطبيعة تركيب الرسالة أي البنية الخارجية والبنية الداخلية لها .

فاما البنية الخارجية فهي متشابهة في معظم الرسائل حيث تتألف الرسالة عندئذ من ثلاثة اقسام : المقدمة ، والموضوع أو القضية ، والخاتمة . وغالبا ما تبدأ المقدمة بأما بعد ، وتتضمن حكمة تختصر موضوع الرسالة أو القضية التي ستعرض فيها كقوله في رسالة تعزية لمحمد بن العباس (١) :

" الدنيا ، اطل الله بقاء الرئيس ، اقدار ترد في اوقاتها ، وقضايا تجري الى غاياتها . ولا يرد منها شيء عن مداه ، ولا يصد عن مطلبه ومنحاه " وقد تفتقر الحكمة بالتحميد والدعاء في الرسائل الديوانية ، وقد يستعملان دونها كما رأينا في مقدمة كتاب فتح الموصل . والتحميد غالبا ما يتضمن ذكر صفات الله وحكمته والاشادة بالاسلام ونبويه محمد عليه الصلاة والسلام .

ونجد شكلا آخر للمقدمة هو البدء بـ " كبت " أو " كتابي " ثم يذكر تاريخ الرسالة او مكان المرسل . لكن مع اختلافات اشكال المقدمة نجد ها تحتوي التحميد والدعاء بشكل شبه دائم يتبعه التمهيد لعرض الموضوع الذي غالبا ما يبدأ بالقول : وقد عرف مولانا او وقد كان كذا . . . حتى اذا انتهى من عرض القضية فاضى الى الخاتمة التي قد تكون حمدا او دعاء وقد تكون طلبا لطيفا او امرا بالقيام بعمل ما ، وقد تتضمن تاريخ كتابة الرسالة .

هذا هو الشكل الذالب على رسائل ابي اسحاق وان كنا نجد له بعض الاستثناءات ، كأن نجد له رسالة تجاوز فيها المقدمة الى الموضوع مباشرة كقوله في رسالة استماعة الى صاحب (٢) : " اننا اعتذر الى سيدى ، اطل الله بقاءه ، من تأخر كتبني عن حضرته "

اما اذا كانت الرسالة جوابية فقد تبدأ بالمقدمة المعهودة وهنا يقسم الموضوع الى جزئين : يتضمن الاول تلخيصا لمضمون الرسالة المتسلمة يبدأ بقوله : ووصل كتاب مولانا . . . وينتهي بالقول " وفهمته " ليبدأ بالرد عليها وهو الجزء الثاني من الرسالة .

(١) الرسالة في الحصرى ، زهر الآداب ، ج ٤ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٤٠٤ - ٤١١ .

فالبنيّة الخارجيّة للرسالة الصابنيّة بسيطة وإن اختلفت في بعض أشكالها • أما البنيّة

الداخلية فإنها لا تخلو من بعض التعقيد وغالبا ما تبنى على الثنائيّة • ولا يستبعد أن يكون لهذا

البناء علاقة بحياة الصابي الشخصية ودين الصابئة الذي يؤمن به •

فمن ناحية حياة الصابي ووضعه في بيئته • فهو صابي • يعيش بين المسلمين ويتسلم مركزا

في دولتهم فهو ظاهرا يتصرف كأحد هم : في عمله كاتبا • يفهم القوانين والأنظمة الاسلاميّة ويتخذ جانب الحاكم

المسلم الذي يعمل له • ثم في علاقاته مع المسلمين يحسن معاملته لهم ومشاركهم صيام رمضان وبحفظ

القرآن وغير ذلك • فالظاهر بسيط • أنه يبدو كأحد المسلمين • لكن الحقيقة التي اصر عليها ابواسحاق

وسجلتها المصادر أنه بقي على معتقده • بل كان من المتشددين فيه • وهنا يبدو التعقيد في شخصيّة

الصابي حيث أنه يعتقد ديانة يقر باعتناقها إياها لكنه لا يبدو الكثير من فروضها أو مفاهيسها • ويتحدث

بلسان ديانة أخرى لو آمن بها حق إيمان لكان اعتنقها خاصة مع ما قد تحمل له من تسهيلات

في العيش واعتلاء المناصب •

أما من ناحية ديانة الصابئة فإن هذه الديانة تحمل نوعا من الثنائيّة من وجود ظاهرها

وباطن • فالظاهر بسيط : توحيد الله وإيمان ما بالنجوم والكواكب والباطن معقد تختلط فيه النظريات

الفلسفيّة بالطقوس الوثنيّة • بالأسرار التي لا يعرفها إلا القلة منهم • مع شعور بالتميز عن بقية الناس

فلا يطلع على دين الصابئة أحد • وبالتالي لا يسمح لأحد بالدخول فيه •

هكذا نجد أن الصابي عاشر الثنائيّة في شخصيته على مستوى علاقته بالاسلام والمسلمين • ومستوى

معتقده الديني - قبل أن تظهر في تركيبة رسائله • فنلاحظ مثلا في رسالة أسر الدمستق (١) • أنه

أدخل سياقاً خارجياً على النص ليفيد منه في خلق صورة موازية للوضع الذي يريد إبرازه في الرسالة •

فهو حين ركز في مقدمته على صفات الله الذي ينصر أوليائه ويذل أعداءه • والذي اختار الاسلام ديناً لهذه

الامة وأظهره على الدين كله ونصره • واصطفى محمداً وفضله • وبعث رسولا فدّخ برسائله واستنقذ الامة

(١) انظر الرسالة رقم (٢) في الملحق •

من الضلال ووحدها ، يكون قد ادخل سياقاً خارجياً ربطه بالخصائص الرسالية بشكل مواز .
فإذا وجود الخليفة هو استمرار لرسالة محمد ، والعمل تحت راية الخليفة عمل تحت راية الاسلام
ومن اجل عزته . ثم جعل ركن الدولة اساس الشجرة البويهية وعز الدولة استمراراً له ، وجعل العلاقة
بين شخصية الخليفة وشخصية عز الدولة هي ان الاولى حافز للثانية والثانية دعامة للاولى . الاولى
تمثل القوة الروحية والثانية القوة العلمية فكأنهما معا يمثلان محمداً الذي جمع بين القوتين . ثم
نرى الوضع الذي تتحرك فيه الشخصيات المتوازنة نفسه : فحال الامة قبل الاسلام من الكفر والضلال كحال
الروم الذين يعيشون في الارض فساداً . ثم انه لم يكن يرسم هذه التشابهات حتى اعاد الى الازهان
بداية الصراع مع الروم حين وضع المعركة التي يصفها في الرسالة في الاطار الذي جرت فيه وقعة مؤتة
التي جرت بين المسلمين والروم وهزم فيها المسلمون ، لكن لينهي هذه المعركة بنتيجة معكوسة : انتصار
اولياء الله وانتهزام اعدائهم . وسنورد المقطع المتشابه في وصف بداية المعركة بين السيرة والرسالة . ففي
السيرة يتحدث الكاتب حول المسلمين : " ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من ارض الشام ، فبلغ الناس ان هرقل قد
نزل مأب من ارض البلقاء ، في مئة الف من الروم ، وانضم اليهم من لخم وجذام والقيين وسهراء ويلي مئة
الف منهم ، فلما بلغ ذلك المسلمين اقبلوا على معان ليلتين يفكرون في امرهم " (١) . وفي الرسالة
يقول الصابي : " ووردوا ظاهراً آمد يوم الثلاثاء . . . فعرفوا صحة خبر الد مستق لعنه الله وحصوله على
اقواء الدروب في خمسين الف رجل منهم عشرون من المدججة وذوى المراتب المقدمة وتلوم اصحابنا
بها يريحون والكفرة على مسافة يوم منهم مقيمون مرة تقدم بهم الأجسال ، ومرة تحجم بهم الاوجال ، " (٢) .
اذا ، سياق الرسالة قائم على الموازنة بين حالتين وشخصيتين لابرار الحالة التي يريد شرحها
في الرسالة واعطائها معنى روحياً عميقاً يتجاوز الحروب العادية بين الدول ليكون حرباً للحق على الباطل
والهدى على الضلال ، مما يبلننها مستوى الرسالية ، هذا ما يعطي قيمة للتحميدات في المقدمة والتي تبدو

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية (تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابيارى ، وبعد الحفاظ علي مسرعه مطبعة

مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٥ / ١٩٥٥) ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٧٢ .

لأول وهلة طويلة وخارجة عن موضوع الرسالة • وقد ارتبطت هذه الثنائية في الرسالة المذكورة بنوع من التطوير التصاعدي للأحداث بلغ بها إلى مرحلة حاسمة وهي المعركة التي يريد تصويرها والتي تشكل حلاً للقضية المطروحة •

شكل آخر من الثنائية نجده في رسالة فتح الموصل وهي الثنائية القائمة على المقابلة والتضاد • لا الموازنة • حيث لا يجري التركيز على شرعية الحكم وارتباطه بالله ورسوله بقدر ما هو على إبراز الناحية المقابلة لذلك وهي أعداء الحكم أي أبو تغلب ومن معه من الكفار • وقد بلغت هذه المقابلة حد القلب حيث تتطور شخصية أبي تغلب سلبياً حتى تبلغ مرحلة لا تطور بعدها إلا بفعل خارجي • وهي عقدة القضية فكانت المعركة التي ووجه بها هذا العاصي الحل لها •

أبو تغلب قائد مسلم عهد إليه بحماية الثغور ومجاهدة الروم فلاذلف " طاغية الروم " وقاد إليه الخيل العتاق " مما يساعده على المسلمين وحمل إليه الخمر وصلبان الذهب • هذا التقرب إلى صاحب الروم حول أبا تغلب إلى أن يشبه عاملاً بين عمالها وبطريقاً من بطارقته وهنا تبلغ الشخصية غاية في السلبية بحيث تصبح في جملة أعداء الله • فملاطفة الروم • كما يرى الصابي • تخالف قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (١) • ونقله الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم نقض قوله تعالى : ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (٢) • أما أعداء الخمر والصلبان فيخالف قول الله عز وجل : ﴿ انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (٣) • هنا لم يبق إلا أن يصدر الحكم

(١) رسائل الصابي • ص ١٣٣ • سورة التوبة (١) : ١٢٣ •

(٢) المصدر نفسه • سورة الانفال (٨) : ٦٠ •

(٣) المصدر نفسه • سورة المائدة (٥) : ٩٠ •

على هذه الشخصية فتكون المعركة .

وقد اتبع الصابي هذا الأسلوب في غير رسالة منها مثلا رسالة الظفر بروزبها ن سنة

٣٤٥ هـ (١) ، حيث يعتمد الى السرد التطويري للاحداث ، وينحو منحى تصاعديا في ابراز ملامح الشخصية

معتمدا التناقضات . ومن يقرأ الرسالة يجد انها قائمة برمتها على التناقض بين معان عدة : كالنعم

والنقم ، والشاكر والكافر ، والمطيع والعاصي ، بين شخصية روزبها ن المناق الجاحد وشخصية معز الدولة

المحسن الحليم ، بين ظاهر روزبها ن وباطنه ، بين جيش روزبها ن وجيش معز الدولة . وهكذا تتفاعل

هذه التناقضات حتى تكون المعركة التي جرت بين معز الدولة وروزبها ن قمة هذا الصراع بين التناقضات ،

يأتي بعدها الحل وهو انتصار الاولياء وهزيمة الاعداء ، وهو الحل الدائم في رسائل الفتوح لدى الصابي .

اذا ابو اسحاق يعتمد في البنية الداخلية للرسائل على الثنائية المتوازنة او المتقابلة

كما يعتمد على السرد التطويري للاحداث وللشخصيات ، فيسير باحداثه وشخصياته في طريق التعقيد لبلوغ

نقطة معينة تشكل عقدة القضية وغالبا ما يكون الحل بفعل خارجي كالمعركة مثلا .

٣ - تصوير الشخصيات :

من اهم الشخصيات التي رسمها الصابي في رسائله شخصية المناق ذي الثنائية المتقابلة :

ظاهر وباطن . هذه الشخصية كما صورها ابو اسحاق في شخصية روزبها ن المناق موافقة لما جاء في القرآن

الكريم من وصف للمناققين .

شخصية روزبها ن هي ابرز ما يبدو في رسالة الظفر بروزبها ن وقد سخرت لاجل ابرازها بعض

الاحداث والشخصيات الاخرى . فنحن نتعرف بهذه الشخصية منذ بداية امره حين كان صغيرا فرفع

معز الدولة وكرمه حتى " تقطعت بمنافسته أنفاس النظراء " (١) . لكنه عصى واتبع هواه ونقض
فسقطت عنه النعمة . فتنحرف اليه وهو في القمة حائزا على الثقة والقوة وحوله الرجال والاولياء . ويكيد
له الحساد لكن سيده لا يقبل عليه كيذا ويفسح له مجال العودة عن نفوره ، وهنا تبرز لديه صفوة
الإنال في العصيان فيستمر على عناده وفيه ، ويعلم ما كان خافيا ، فيبدو في اوج قوته في العصيان
والسلبية وتبلغ الشخصية غاية علوها ليسقط . بعد المعركة في صورة الاسير الذليل الخاضع .

بمقارنة ملامح هذه الشخصية مع صفات المنافقين في القرآن نجد تشابها كبيرا : روزبهان المنافق

يخفي ما لا يظهر : فقد " اظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة وكدحه ، وسرابا لامعا من وقائمه
ونصحه ، وهو يدب الضراء ويسر حسوا في ارتقاء ، ويوكي على الغش عيابه ويحنو على النكث ضلوعه
وحجابه ، ولا يبدى لنا بادية وفاق ، الا عن خافية نفاق " . . . (٢) يقابل هذا في القرآن الكلام عن
صفة الخداع لدى المنافقين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون * (٣)
— الصفة الثانية هي التظاهر بالطاعة واسرار الكيد والمؤامرات : ففي الرسالة يتصل روزبهان بأخيه لاطلاق
سجينين في القلعة كانا من المتمردين ، ثم يتصل من ذلك ويذم فعلة اخيه ويدعي الموالاة والطاعة ، وقد
وصف فعل المنافقين في القرآن بالقول * واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزون * (٤) .

— من صفات روزبهان الكفر بالنعمة والاساءة الى من احسن ، فقد احسن اليه معز الدولة ورفع من قدره
ومكانته " وانتهينا في الانافسة بقدره والاشادة بذكوره ، والتفخيم لامره . . . الى الخاية التي لا
تسمح بها نفس باذل ، ولا تسمو اليها همة آمل ، فلما عز بعد الذلة ، وكثر بعد القلة . . . نزلت به بطنته وادركته

(١) رسائل الصابي ، ص ٥٥ .

(٢) المضد بنفسه ، ص ٤٩ .

(٣) سورة البقرة (٢) : ٩ .

(٤) سورة البقرة (٢) : ١٤ .

شقوته، ونزغ له شيطانه، ٠٠٠ فنصب اشراكه وجاثله، واعمل مكايده ومخاتله ٠٠٠ (١)

وفي القرآن ﴿ وما تقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ (٢) .

— ومن صفاته ايضا ان اسراره الكيد يجعله يشعر بأنه متهم، فنجد، يذكر بحرمانه مما جعل

معز الدولة يحلف له ايماناً كثيرة يؤمنه ويهدى، من نفوره " وادعى من تنكر ناله، وتغيرنا

عن العناية به، واصفائنا الى افساد المفسدين عليه، واطحاش الموحشين منه (٣) ٠٠٠ وفي

القرآن يقول سبحانه يصف المنافقين من آية ﴿ ٠٠٠ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ (٤) .

— ثم ان آفة المنافق صفة مركوزة في طبيعته وهي تؤدي الى نهاية مهلكة: " ٠٠٠ ابي

له ضعف العقل والنحيظة، ولوم الطبع والغريزة، الا اصرارا على طبعه وسفه، واستمرارا في

طبعه وعسفه، ٠٠٠ (٥) ثم يقول واصفا اياه " دالفا دلف الجاهل بريسه

الذاهل عن رشده، المركوس في غيه، الموق الى حتفه، ٠٠٠ اورده قحة الاديم

(١) رسائل الصابي، ص ٥٥٠

(٢) سورة التوبة (١) : ٧٤

(٣) رسائل الصابي، ص ٥٥٣

(٤) سورة المنافقون (٦٣) : ٥٤

(٥) رسائل الصابي، ص ٥٥٥

ورقة الدين موارد هلكة لاصدر عنها ،واقترحت به قحم خطة لا انفراج لها ،والله في ذلك كله ناصرنا
وخاذله ،ومظفرنا وقاتله ،ومعلينا وسقطه . . . (١) وفي القرآن * في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ،ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون * (٢) .

ثم نجد ابا اسحاق يفيض في سرد الاحداث ليبرز ابعاد هذه الشخصية وساعاتها مع انها
شخصية المناق العاصي في حين تختفي شخصية معز الدولة البر والخير . هذا التصادم في ابراز
جوانب الشخصية بالاضافة الى تركيز العاصي في مواضع كثيرة من الرسالة على ان الله ينزع النعمة
من كافريها واستشهاد بالآية * وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * (٣) . يجعلنا تتصور
ان هدف العاصي انما يفسره ويدل عليه هذه الفكرة التي اذا طبقت على وقائع الرسالة تعني ان روزبها ن
الذي جامع النعمة وكفر بها كان عقابه من الله ان يخسرها وان يعرض عنها البؤس والشقاء . وهكذا
يكون هو الذي قتل نفسه بأن جنى عليها لكفره بالنعمة . وما دور شخصية معز الدولة الادور الوسيط
او الاداة التي اتاحت لهذه الشخصية تطورها ثم قتلها . ان هو الذي انعم الله بواسطته على
روزبها ن وبواسطته اذله الله واسقطه .

شخصية ثانية اجاد ابو اسحاق في رسمها هي شخصية الكافر الذي عصى الله وخالف
امامه وقتل والده وقطع رحمه . هذه هي شخصية ابي تغلب الحداني في رسالة فتح الموصل

(١) رسائل العاصي ، ص ٦٠ .

(٢) سورة البقرة (٢) : ١٠ .

(٣) سورة النحل (١٦) : ١١٢ .

وهنا لا يترك أبو اسحاق شخصيته تلقى مصيرها بنفسها وتصل الى غايتها المحتومة . انما ينبغي
لوجود قوة خارجية تعيد هذه الشخصية الى صوابها وذلك بعد ان تحل كم وتحشد كافة
الادلة التي تدل عليها ثم يصدر الحكم عليها تماما كهيئة المحكمة .

تشمل شخصية ابي تغلب المرتبة الاولى في معاني الرسالة في حين تساهم
شخصية عز الدولة في محاولاته لتقويمه ومعاملته له ، في ابراز سمات هذه الشخصية
فتشكل المحرك لها المساعد على ظهورها خاصة في الجزء الاول من الرسالة حيث يبدو
تجاوز الشخصيتين وتفاعلهما ، وذلك بشكل تطويري تنتهي فيه كل شخصية في جانب ،
فعمز الدولة يحاول تأليف المعادير لابي تغلب ويحاول اصلاحه ثم يلومه ويوسط وزيره
لرده الى الجادة ولما يستمر ابو تغلب في غيه يستعمل عز الدولة الحزم معه فينهز الى
الموصل . اما ابو تغلب فقد اظهر اولا القبول والتبصر حتى اذا تقلد اعمال ابيه
منع المال وخان العهد ، ثم ازداد طمعا وشرها واصراراً على الخطأ ثم كاشف بالخلاف
والشقاق . ابو تغلب الذي برز مكاشفا يسقط سريعا وينهزم امام جيش بختيار ويظهر
عمله في افراق سفن عز الدولة عمل جبان هارب . هنا ينتهي كل ما يمكن للصابي ان يقوله
عن ابي تغلب مما جرى له مع عز الدولة . لكنه لما كان يريد ادانة الرجل عمد الى البحث عن
اشياء اخرى فيه ليوظفها ضده فوجد ان اختيار والده له وتقديمه على اخوته لم يكن
لكفايته ولا اعتمادا على رأى والده وحزمه ، انما اتباعا لهوى امه . فلما هيئت له
فرصة القدرة والقوة تحول الى نفاق كاسر فجزي والده جزاء ام عامر لمجيرها ضاربا بكل
القيم الانسانية والوصايا الالهية عرض الحائط . وقد ارفق الصابي ذكر هذه
الحادثة بما اوصى به القرآن الكريم من طريقة معاملة الوالدين فبدت النقيض الفاضح
لبشاعة عمل ابي تغلب . لكن هذا ، كما يقول الصابي ، لم يرض ابا تغلب فغدر باخويه .

وهذا تصعيد وتطوير لصفة العقوق والقسوة التي يتميز بها ، انها عظيمة من العظام ، لكن الاعظم منها اغفال ابي تغلب حفظ الثغور وجهاد الروم ، بل على العكس ، لقد هادنهم وارتكب المحرمات من اهدائهم الخيل والخمر والصلبان . وهذا ما يضع ابا تغلب في خانة عمال صاحب الروم بل وبطارقته اى انه قد تخلى كليا عن دينه عندما استحل ما حرم الله .

ويرى الصابي ان ما اتهم به الرجل عظيم جدا وخطير فيعمد الى التدليل عليه استنادا الى كتاب الله ، حيث يفضل التهم واحدة واحدة ، ويظهر من القرآن ما يتناقض معها ثم يعود لذكر فعلته مع عز الدولة من التضييق على رجاله وتخريجه لسفنتهم . فيبدو هذا الفعل صغيرا بجانب ما اتهم به حتى الان . ثم يعد هذه الادلة الدامغة يصدر الحكم على ابي تغلب . الحكم بالقتل او الرجوع الى الحق . فيبدو الموضوع باسره وكأنه مرافعة قضائية يدلي بها محام قد يرشرح القضية مبينا ادلة الادانة استنادا الى آيات قرآنية وكأنها مواد قانونية ، وبعد الالتفات على الخصم من جميع الجهات يصدر الحكم عليه .

عدة عوامل استعملها ابواسحاق في الرسالة ادت الى نجاحه في تصوير ما اراد تصويره من هذه الشخصية منها اعتماد المنحى التصعيدى وذلك في الارتفاع باعمال ابي تغلب من العظيم الى الاعظم ، واستعمال عبارات توهى هذا المعنى كقوله : " ولم يرض فضل الله (اى ابو تغلب) بما اتاه حتى " . . . او قوله : " واعظم من هذا خطبا واعمر مملكا ولحبا " . . . ومن هذه العوامل استناده الى القرآن الكريم حيث ان آياته قد دعمت معانيه لكونها النقيض لاعمال ابي تغلب خاصة وانه كان يتبعها باساليب بلاغية كالاستفهام الانكاري واستعمال القسم كقوله : " فباى وجه يلقي الله قاتل والد حبيب قد امر الا ينهره ؟ وبأى لسان ينطق يوم يسأل عما استجاره فيه وفعله " . . . تالله لو ان مكانه

عدوا لهما قد قارضهما الذحول (هنا يتحدث حول ابي تغلب واخيه المشارك في فعلته)

وقارعهما عن النفوس، لقبح بهما ان يلوما ذلك اللوم عند الظفر به، ٠٠٠ (١) ٠ او قوله :

" فهل يجتمع في احد المساوي، ما اجتمع في هذا الناد العائد، والشاذ الشارد ؟ وهل

يطمع من مثله في حق يقضيه او فرض يؤديه، او عهد يرماء، او ذمام يحفظه، وهو لله عاص، وللأمانة

مخالف، ولوالده قاتل، ولرحمه قاطع، كلا والله بل هو الحقيق بأن تثنى اليه الأعنة، وتشروع

نحوه الاسنة، وتنصب له الارصاد، وتشحذ له السيوف الحداد، ٠٠٠ (٢) ٠

ثم ان معرفة الصابي بالاحكام الشرعية قد هيأت له اصدار الحكم الشرعي على المجرم

وهو القتل او الاقامة الى الحق فيكون حكمه شبيها بحكم الراجع عن الردة، المحمول على ظاهر

الشريعة (٣) ٠ ونجد ان نجاح ابي اسحاق في تصوير شخصية ابي تغلب بصور المرتد المارق جعله

(١) رسائل الصابي، ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٣) قتال اهل الردة : " هو ان يرتد قوم حكم باسلامهم سواء ولدوا على فطرة الاسلام او اسلموا عن كفر فكلا الفريقين في حكم الردة سواء فاذا ارتدوا عن الاسلام الى اى دين انتقلوا اليه ما يجوز ان يقر اهل عليه كاليهودية والنصرانية، او لا يجوز ان يقر اهل عليه كالزندقة والوثنية لسم يجوز ان يقر من ارتد اليه لان الاقرار بالحق يوجب التزام احكامه ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه فاذا كانوا ممن وجب قتلهم بما ارتدوا عنه من دين الحق الى غيره من الاديان لم يخل حالهم من احد امرين : اما ان يكونوا في دار الاسلام شذاذا وافرادا لم يتحيزوا بدار يتميزون بها عن المسلمين فلا حاجة بنا الى قتالهم لدخولهم تحت القدرة ويكشف عن سبب ردتهم فان ذكروا شبهة في الدين اوضحت لهم بالحجج والادلة حتى يتبين لهم الحق واخذوا بالتوبة ما دخلوا فيه من الباطل فان تابوا قبلت توبتهم من كل ردة وعادوا الى حكم الاسلام كما كانوا، والحال الثانية ان ينحازوا الى دار ينفردون بها عن المسلمين حتى يصيروا فيها مستعين فيجب قتالهم على الردة بعد مناظرتهم على الاسلام وايضا دلائله ويجرى على قتالهم بعد الانذار والاعذار حكم قتال اهل الحرب في قتالهم غرة وبياتا ومصافتهم في الحرب جهارا وقتالهم مقبلين ومدبرين ومن اسر منهم جاز قتله صبورا ان لم يتب ولا يجوز ان يسترق ٠٠٠ (المأورد، ص ٥١ - ٥٣) وانظر للمزيد من التفصيل المصدر نفسه (ص ٥٤ - ٥٥) والاحكام السلطانية، لأبي يعلى (ص ٣٥ وما بعدها) ٠

ينجح في الوصول الى هدفه من تغطية السبب الرئيسي في مضي عز الدولة الى الموصول وهو طمعه في اموالها وغلالتها وقصده للنصيد واللهو في طريقه (١) . فاستطاع ان يظهر عز الدولة بمظهر الحاكم العادل الذي دفع الى الحرب لأجل تطبيق احكام الشريعة واعادة الحق الى نصابه .

٤ - الاسلوب القصصي :

غالبا ما استعمل ابو اسحاق هذا الاسلوب في رسائله الديوانية عامة ، وفي ما يتعلق بالفتوح والاخبار عنها والظروف التي ادت اليها كقمع احد العاصين او الكفار خاصة . اذ انسه يستعمل في هذه الحالة الترتيب التاريخي للاحداث فتسير على نسق مع اسلوبه الهادي المتزن ، الذي تثير فيه الحيوية براعته في الوصف وبعض التقلبات في الاسلوب ، كالا انتقال من الخبر الى الانشاء ، او استعمال الاسلوب الخطابي ، والتعبيرات القوية القصيرة المدى ، فلنقرأ سرده لحادثة قتل توزون للمتقي لله في رسالة كتبها الى الطائع لله يحذره فيها من البقاء مع الانراك لما سبق لهؤ لا ان فعلوه بالخلفاء قبله : (٢) .

" وهذا المتقي لله رضوان الله عليه بالامس قد اخذت له على توزون بيعة مستأنفة مؤكدة

عند عوده من الشام الى العراق ، واشهد على نفسه الله جل اسمه وانبياءه وملائكته ثم القضاة والشهود ، والشيخ والوجوه ، بالوفاء له بما ثبت فيها ، فما وقعت عليه عينه ، حتى غدر به ، ونقض ميثاقه ، وفعل في امره ما هو معروف مشهور من حيث لم يمهله فواقا ، ولا ابلعه ريقا ، ولا طلب عليه علة ، ولا ركب فيما احله به حجة ولا شبهة ، فأتى الله ايها الامير ، وقاك الله في نفسك النفيسة ، ودلتك الهاشمية ، واخرج من قبضة من لا يؤمن عليك ، بل هو معتقد ما قدم ذكره فيك " (٣) .

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ٣٤٨ - ٣٥٤ ، وانظر الحادثة في مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٦٩ وما بعدها ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٨ وما بعدها .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

ونجد نماذج من هذا الأسلوب القصصي ، يعتمد فيه العبارات القصيرة القوية الوقع في وصفه للمعارك بشكل خاص ، وسنرى أمثلة ذلك في كلامنا حول الوصف الملحمي (١) .

٥ - براعة في الوصف : النفس الملحمي

ما يميز أسلوب أبي اسحاق أيضا براعة في الوصف تتجلى في الدقة المصحوبة بحيوية في السرد ، فلنقرأ كيف يصف أبو اسحاق مثلاً عاقبة الجاهل ، الكافر بالنعمة ، وندمه حين لا ينفع الندم :
" فلا يلبث ان يصبح مترد يابرداً ، بنحيه ، مقتنعا (متقنعا) قناع خزيه ، مأخوذاً من مأمنه وحرزه ، مستنزلاً عن نخوته وعزه ، مأثلاً عرشه بعد السمو ، مخفوضاً عماده بعد العلو ، مهتوكاً حجابيه وذراه ، مستباحاً حريمه وحماه ، مستمراً ما كان استحلاً ، مستويماً ما كان استمراً ، كالبيا ليديه وفمه ، مضيئاً الى عواقب حسرتيه وندمه ، عاثراً لا يستقيل ، سقيماً لا ييل ، كسيراً لا ينجبر ، مضيقاً لا ينتصر ، ... (٢) .
ويعتمد الصابي أحياناً التصعيد في الوصف الذي يقوم على السرد التاريخي والتقطيع المسجوع كما في وصفه لأحد الفتوح : " حتى استنزلهم عن معقل بعد معقل ، واستباحهم في مويل بعد مويل ، وقتل حمايتهم ، وافنى كمانهم ، وأباد خضرهم ، وغراهم . وبغى معالمهم وآثارهم ، وألجأهم الى الأذعان وطلب الأمان ، وتسليم الرهائن ، والأفراج عن الذخائر ، والاستقامة على سواء الدين ، والدخول فسي عصمة المسلمين " (٣) .

وللصابي رسالة مهمة في وصف متصيد جمع فيها بين وصف الصيد ووصف الطبيعة ، (٤) . وقد يعتمد أسلوباً هزلياً ساخراً في وصفه ، إذ أننا نجد له رسالة كتبها الى بعض أصدقائه وكان أهدي

-
- (١) اقرأ ما هذا آخر على ذلك المقطع رقم (٤) في الملحق .
(٢) رسائل الصابي ، ص ٤٥ وانظر ما هذا آخر على ذلك المقطع رقم (٥) في الملحق .
(٣) رسائل الصابي ، ص ٨٤ - ٨٥ .
(٤) انظر نموذجاً منها في الملحق المقطع رقم (٧) .

اليه جملا لم يكن بالصفة التي كان ينتظرها ابو اسحاق فكتب له الرد واضعا الرسالة في اطار
من الجديدة حين بدأها بوصف رسالة صديقه بالبلاغة والاصابة وجمال الخط والاسلوب التي
ان يبلغ وصف الجمل الهزيل السقيم فيجد انه لا يصلح لشيء (١) .

وللصابي فقرات في وصف المعارك اجاد فيها كل الاجادة الا ان قصرها وقطعه لسياقها
بذكر امور اخرى كتاريخ الحركة ، قلا من زخم النفس الملحي الذي يسيطر عليها . من ذلك
المعركة التي وصفها في رسالة فتح بغداد ، وسنعرض لها في تحليل الرسالة ، والمعركة التي اسر فيها
الدمستق وقد قدم لها بذكر معركتين صغيرتين سبقتها (٢) . وتتميز بروح ملحمة من ابرز خصائصها :
اولا : يظهر الصابي ان المسلمين يحاربون من اجل نصره الاسلام ورفع الحق على الباطل ، اي انهم
يظهرون تحت راية عقيدة او مبدءا . فيما الكفار هدفهم السلب والظلم والغزو . وكان الانتصار لاصحاب
العقيدة الصحيحة . فالعنصر الاخلاقي في الملحمة نجد ، هنا دينيا وتلاحظ انه كان بين الاسرى
جماعة من اصحاب المراكز الدينية .

ثانيا : تدخل قوة عظيمة في المعركة نصرت الاولياء وهزمت الاعداء ، وهي الله . والنصرة الالهية للاولياء
نجدها في معظم الحروب التي يصفها الصابي .

ثالثا : المشاهد التي تصور المعركة مشاهد ملحمة : اعداد الجيوش ، استعمار المعركة ، ذكر الاسلحة
المستعملة ، ذكر النار التي تنتظر الكافرين والروم التي ارسلت الى بغداد .

(١) انظر الرسالة رقم (٨) في الملحق .
(٢) انظر رسالة اسر الدمستق (رقم ٢) في الملحق .

اما المقاطع التي تخفف من زخم المعركة فمبدأ ذكر النعمة في النصر، وانقاذ الكتب من

الخلافة وعزل الدولة الى ابي تغلب وغير ذلك، على ان الروح الملحمية وان كانت تسيطر على

وصف الصابي للمعارك الا اننا نجد ان الروح الاسلامية تطفئ عليها وتطبعها بطابعها، يتبين لنا

ذلك اذا قارنا معركة الظفر بروزبها (١) مع معركة بدر الاسلامية كما وردت في السيرة النبوية

لا من هشام وسنجد وجوه شبه كثيرة بين المعركتين وكأن الصابي استوحى فكرة معركته ومشاهد ها

من معركة بدر، ابرز وجوه الشبه بين المعركتين :

اولا : ان وقعة بدر جرت يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان (٢) ، والمعركة على روزبها ن

جرت الاثنين انسلاخ شهر رمضان، وفي ذكر الصابي لهذا التاريخ واغفاله ذكر تواريخ اخرى في الرسالة

مثل تاريخ انطلاق معز الدولة وتركيز منه على اهمية هذا الشهر وبركته على المسلمين، ولأن معركة

بدر التي جرت فيه كان النصر فيها حليف المسلمين كما في هذه المعركة التي اعتبر فيها

ان جماعة معز الدولة تمثل المسلمين الحقيقيين فيما جماعة روزبها ن تمثل المناققين اعداء المسلمين

الخارجين عن طاعتهم، وليست هذه المرة الوحيدة التي يقرر فيها الصابي ايمان قوم بالاسلام وهم

جماعة الامير الموطد لحكم الخلافة، وكفر قوم آخرين، وهم اعداء الامير الخارجيين على الحكم، واذا

هجيننا من كون الصابي يقرر هذا وهو غير مسلم نجد الجواب في انه دائما كان يتخذ جانب

الامير الذي يعمل له ويتكلم بلسانه وفي انه نتيجة لسيطرة الفكر الاسلامي على كتاباته، كان يعتمد

في رسائله دائما الى اعضاء صفوة الشرعية على حكم البويهيين وذلك في انهم يدعون

الخلافة الذي هو خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسي الحكم واقامة

(١) انظر الرسالة رقم (٣) من الملحق وانظر ايضا رسائل الصابي ص ٥٩ - ٦٢.

(٢) ابن هشام السيرة ج ١ ص ٦٢٦.

احكام الدين ورسول الله هو الذي بعثه الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور وهذا يربط بين وجود الخليفة وبين الرسالة الالهية فاذا في وجوده استمرار لها في الحياة والخروج على الامير الداعم لبقاء هذه الرسالة ومثلها ، الخليفة وخروج عن احكام الدين وبالتالي كفر .

ثانيا : اعتبار جماعة معز الدولة بمثابة الجماعة المسلمة وجماعة روزبهان المناقفة الخارجية

على الدين مشابه لوضع المسلمين في حربهم للمدركين ويدخل ضمن هذا المفهوم اشياء تفصيلية متشابهة :

أ - اعتبار اصحاب معز الدولة في جهاد للمناقفين ، يقابله في بدر وعد الرسول عليه السلام لمن

يستشهد من المسلمين في المعركة بالجنة حين قال : " والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم

رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا ادخله الله الجنة " (١) .

ب - اعتبار النصر من عند الله في قول الصابي " انزل الله نصره على اوليائه ، ولشفع لهم وعد ، بوفائه " (٢) .

يقابله وعد الله للرسول بمناصرتهم ، فالرسول بعد ان عدل صفوف اصحابه اخذ يناشد ربه

ما وعد من النصر (٣) ويقابله ايضا تدخل الملائكة في المعركة الى جانب الرسول (٤) . وفي المعركتين

نلاحظ اسناد افعال القتل والاسر الى الله ، ففي رسالة الصابي : " فانهزم الخائن هزيمة قووض الله

بهـ ~~ما فـروشه~~ ، وفـ ~~ض جهوشيه~~ ، و ~~خلل وساوسه~~ وابطل هواجسه " (٥) .

(١) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٦٢٧ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٦١ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٦٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٣٣ - ٦٣٤ .

(٥) رسائل الصابي ، ص ٦١ .

وفي السيرة : " فقتل الله تعالى من قتل ممن صناديد قريش، واسر من اسر من اشرافهم " (١) .

ثالثا : تشابه في التركيب المردى لاحداث المعركتين خاصة في سرعة اعلان هزيمة الاعداء . ففي

الرسالة يذكر الصابي لمحة عن المعركة والكسر والقتل ثم لا يلبث ان يعلن نصر الاولياء

وهزيمة الاعداء (٢) . اما في السيرة فتذكر لمحات من القتال الفردي (المبارزة) ثم تصرف افراد معينين

في المعركة ثم امر الرسول اصحابه " فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة " (٣) . يتبع ذلك استطراد او

تفصيل في ذكر مشاهد الاسر والقتل بعد الهزيمة في الحالتين .

رابعا : تشابه في بعض المشاهد من المعركتين : من ذلك لحاق جماعة معز الدولة بـروزبهان والاحاطة

به كاحاطة المسلمين واولهم بلال بامية بن خلف . ففي الرسالة : " واحاطوا به وملكوه وتباكوا

عليه تباك المتنافسين في الاثر ، المتشاحين على الظفر " (٤) . وفي السيرة : " فاحاطوا بتبا

حتى جعلونا في مثل المسكة " (٥) . ومن ذلك ايضا مشهد الخوسيني في الرسالة صريحا

مجندا لا قضي على اثر جراحة (٦) ، شبيه بمشهد ابي جهل الذي وجد على آخر رمق ثم قضي (٧) .

ونجد بين رسائل ابي اسحاق وصفا للمرأة رأينا ان تشير اليه لانه الوصف النثري الوحيد في

المرأة . فيما لدينا من رسائله — ثم لما يبدو فيه من صناعة في الاعتناء بالسجع والجناس لم يستطع

الصابي اخفاءها . يقول :

(١) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، ص ٦٢٨ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٦٠ — ٦١ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، ص ٦٢٨ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ٦٢ .

(٥) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، ص ٦٣٢ .

(٦) رسائل الصابي ، ص ٦٢ .

(٧) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، ص ٦٣٥ .

مشوقة ، القد ، أسيلة الخيد ، ساجية اللحظة ، شاجية اللفظ ، صادفة الدعج ، ظاهرة الينج ،
حوراء الطرف قنوا ، الانف ، مائلة الردف ، جائلة ، العطف ، راحة الشكل ، بارعة الشكل ، مليحة
النحر ، صحيحة الصدر ، دقيقة الخصر ، مشرقة الثغر ، جمدة الشعر ، مريضة النظر ، كثيرة الخفر ،
شديدة الكحل ، بينة الخجل ، نقية اللون ، خصانة البطن ، (١) .

٦ - طول العبارات والسجع والازدواج والتوازن الموسيقي .

من خصائص نثر الصابي التي تبدو في رسائله والتي تشكل هي أو بعضها سببا من اسباب
طول هذه الرسائل ، استعماله العبارات الطويلة ، مما يعد كلامه عن التوثب والحنّة عامة ويسمى بالهدوء
والانسياب الا انه لم يعد العبارات القصيرة المسجوعة كما ذكرنا في حديثنا عن الاسلوب القصصي
والوصف ، وهنا يمكن ملاحظة خاصة مهمة في اسلوب ابي اسحاق وهي امكان تأثره باسلوب القرآن الكريم
من ناحية طول العبارات وقصرها ، حيث انه يستعمل العبارات الطويلة لشرح الامور التي تحتاج الى شرح
وايضاح ، وتقرير وافهام ، فيما يستعمل العبارات القصيرة ليعبر عن احداث شديدة الوقع كالعمارك .
ففي القرآن نجد ان الآيات المدنية التي نزلت لتضع اصول الشريعة وتقررها في الانها ان تتساز
بطولها وهدوئها ، اما الآيات المكية التي كانت تصدع بالعقيدة التوحيدية وتهدم الكفر وتهدد
اربابه فقد امتازت بالقصر والشدة .

ويقرن الصابي استعماله للعبارات الطويلة باستعماله للسجع والازدواج مما يخلق توازنا
موسيقيا متناغما يقصر العبارات الطويلة ، ويغنيها بالحيوية والحركة ، لقوله : " لا اعدم الله
مواليننا السادة الامراء الاخذ بنواصي اعدائهم طوعا ممن اطاع وخضع ، وكرها ممن خالف وخلع ، وسلما ممن

(١) ابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١١٠٥ - ١٠٥ ب ، والرسالة كاملة في المصدر نفسه ، الورقة ١١٠٦ - ١١٠٥ .

سالم وتابع، وحرباً من حرب ونازع^(١)، وقد يصل شغف الصابي بالازدواج أحياناً حداً يجعله يقرن بين جملتين تتوازن اجزاءهما توازناً متسقاً كقوله من رسالة : " ٠٠٠ فما يلون بجانبنا لا نذ، ولا يعوذ بمقوتنا عاخذ، إلا كانت عليه يد من الله كأنفة واقية وعين كاللثة راعية، وكسانت السلامة لم مضمونة، والعاقبة عليه مأمنة، ولا ينجم بمنازعتنا ناجم، ولا يعزم على مباينتنا عازم، إلا قطع الله دابره، وجب غاريه، وكدر شمس، وازهق نفسه، وطمس نوره، واظلم ديجوره، وكانت دعائمه مخفوضة، ومراثيه منقوضة، والهلكة عليه مكتوبة، واللعة به معصية، ٠٠٠ " (٢) .

٧ — حمل المعنى على نظيره ونقيضه :

استعمال السجع والازدواج، وإن بدا عفويا غير متكلف عند الصابي، إلا أنه قد جره فسي أحياناً كثيرة إلى تكرار المعاني نفسها بالفاظ جديدة . وقد أخذ عليه ضياء الدين ابن الأثير هذه الخاصة^(٣)، إعطى عدة أمثلة على ذلك من كلامه . منها من رسالة فتح بغداد قوله : " الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بألحاظها، ولا تحده اللسان بالفاظها، ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تهزمه الدهور بمرورها " (٤) . وقوله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : " لم ير للكفر أشراً إلا طمسه ومحاه، ولا رسماً إلا أزاله وغفاه " (٥) . وقال ابن الأثير أنه لا فرق بين مرور العصور

(١) لقاح الخواطر، الورقة ١٩٤ . وانظر شواهد أخرى المقطعين رقم (١ و ١٠) في الملحق .

(٢) رسائل الصابي، ص ٤٦ وانظر شاهداً آخر على ذلك المقطع رقم ١١ في الملحق .

(٣) المثل السائر، ج ١، ص ٢٨٢ .

(٤) المقطع في رسائل الصابي، ص ١٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢ .

وكرر الدهور، كما أنه لا فرق بين محو الأثر وبقاء الرسم (١) • والقاعدة التي اعتمدها ابن الأثير

في نقده هي اعتقاده بضرورة " أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى

الذي اشتملت عليه اختها، فإن كان المعنى فيهما سواءً فذلك هو التطويل بعينه " (٢) • لكن

ابن الأثير لا يلبث أن يشير إلى أن هذا العيب ليس مقصوداً على الصابي بل يجري على المقلين من

الكتاب أمثال ابن العميد وابن عباد حيث أن أكثر المسجوع من كلامهم وكلام الصابي على هذا الشكل (٣) •

ويعظم ابن الأثير شواهد أخرى من كلام الصابي كقوله : " يسافر رأيه وهو دان لم ينزح " ويسير تدبيره

وهو ثانولم يبرح " (٤) • وكلا هذين سواءً (٥) • وأمثال هذا كثير في كلام أبي اسحاق لكن هذه الخاصة

في النثر والشعر قد لا تكون عيباً كما ذكر ابن الأثير بل أنه لا بد للكاتب أحياناً في المزاوجة

بين الفصلين من استعمال شعبية من الأطناب ولا يعتبر ذلك عيباً (٦) • ثم إن إعادة المعنى بكلمات

(١) ابن الأثير، المثل السائر ج ١ ص ٢٨٢ ونقل القلقشندي قوله . في صبح الأعشى ج ٢ ص ٣١٦ •

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٢٨ •

(٣) المصدر نفسه •

(٤) رسائل الصابي ص ٦٩ •

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٢٨٤ وانظر شواهد أخرى من كلام الصابي في المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤ •

(٦) جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (مصر ، مطبعة محمد علي صبيح ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ) ص ١٨٥ : " ولا بد للكاتب في أكثر أنواع مكاتباته من شعبية من الأطناب يستعملها إذا أراد المزاوجة بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه ، وذلك مثل أن يكتب : عظمت نعمنا عليه ، وتظاهر احساننا لديه ، فيكون الفصل الأخير داخلًا في معناه في الفصل الأول وهو مستحسن لا يعيبه أحد • ولما أحيط بمروان ، قال خادمه بأسل : من أغفل القليل حتى يكبر والصغير حتى يكبر ، والخفي حتى يظهر ، أصابه مثل هذا • وهذا كلام في غاية الحسن وإن كان معنى الفصلين الأخيرين داخلًا في الفصل الأول " • ويقول (ص ١٨٦) : " وما هو أجل من هذا كله قول الله عز وجل : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر البغي ﴾ فالإحسان داخل في العدل ، وإيتاء ذى القربى داخل في الإحسان ، والفحشاء داخل في المنكر ، والبغي داخل في الفحش " •

جديدة يستوجب سعة لغوية فائقة لدى الكاتب • وكون الصابي يكثر من استعمال هذا الأسلوب دليل على قدرته اللغوية وتملكه لمنابع الكلام وحسن تصرفه فيه ، إضافة الى ما قد يفيد هذا الأسلوب من تقرير للمعاني في ذهن السامع أو القارئ ، خاصة ان الصوت الموسيقي الذي يحدثه وقعها يزيل الى حد ما ، ما يمكن ان يحدث من املال أو ضجر للقارئ •

يستفاد مما تقدم ان الصابي يملك ناصية الكلام ويتصرف به كيف شاء ، وقد رأينا كيف يزاوج بين الجمل ويوازن ويعيد استعمال المعاني . بالفاظ جديدة ، مما يعني سعة باعه بمعرفة المترادفات ، وسنرى الآن وجهها آخر للتوسع اللغوي لديه بيدو في استعماله المتضادات وذلك بعدة طرق منها ابراز المعنى بقرنه مع نقيضه لتبيان اليون بين الحالين من ذلك قوله :

" والله في ذلك كله ناصرنا وخاذله ومظفرنا وقاتله ومعلين ومسقطه ، ومد ي لنا ومورطه " (١) •

وقد يستعمل النقيض منفيا لتأكيد المعنى • كقوله : " عاثرا لا يستقيل ، سقيما لا ييل ، كسيرا لا ينجير ، مضيفا لا ينتصر " (٢) •

ومن طرق استعمال النقيض لدى الصابي ابراز المعنى برفعه عن المتناقضات ، من ذلك قوله في دعا : " ويجعل رايته منصورة على اعدائه ، صغروا ام كبروا ، وكلمته العليا عليهم ، قلو ام كثروا ، ويسكنه من نواصيهم ، سالوا ام خاربوا ، ويقودهم الى التسليم له ، رضوا ام كرهوا ، ... " (٣) • وقوله : " والله يحرسه دأئيبا مقتريا ، ونازحا منتريا ، وحالا قاطنا ، ومرحلا ظاغنا " (٤) •

-
- (١) رسائل الصابي ، ص ٦٠ ، وانظر شاهدا آخر المقطع ١٢ في الملحق •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ ، وانظر شاهدين آخرين على اقتران النقاظ لدى الصابي المقطعين ٣ (١) و ١٤ من الملحق
(٣) رسائل الصابي ، ص ٨٥ — ٨٦ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ — ١٠٦ •

٨ - دقة في اختيار اللفاظ : القوة والرقّة والأعزّاب :

لا يمنعنا السياق الواحد الذي يسير فيه كلام الصابي، والعبارات الهادئة المستزنة التي تميز أسلوبه، من أن نلاحظ بعض التلون الأسلوبى تبعاً للموضوع المطروح، وذلك عائد إلى دقته في اختيار الفاظه وتعابيرها، وما سببها للموضوع، فتختلف أحياناً بين القوة في مواضع القوة، وبين الرقّة واللين في مواضع اللين.

أكثر ما نجد الفاظ الصابي القوية الوقع، ضمن عبارات قصيرة التقطيع في وصفه للممارك، من أمثلة ذلك قوله : " بل هو الحقيق بأن تثنى إليه الأعنة، وتشرع نحوه الاسنة، وتنصب لــــه الارصاد، وتشحد له السيوف الحداد، ليقطع الله بهاد أبه، ويجب غاربه، ويمرعه مصرع الاثيم المليم، المستحق للعذاب الاليم " (١) .

ومن كلام الصابي الرقيق العذب قوله : " لانك ما زلت مستودع سرنا وجهرتنا، ومشتكى حزننا وثننا، والكبير الاثير عندنا، والخصيص المكين لدينا، ومن نستضى في ظلم الخطوب برأيه، ونستجن من سهام النوائب باخلاصه وولائه، ونخرج اليه بخفية الصدر، وحوجاء النفس " (٢) .

على أن الفاظ الصابي لم تكن في معظم الحالات تخلو من الغريب، من أمثلة ذلك قوله : " واظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة وكد حسه، وسرابا لامعا من وفائه ونصحه، وهو يدب الضراء ويمر حسوا في ارتقاء، ويوكي عدا الغش عيابه، ويخنو على النكت ضلوعه وحجابيه، ولا يبدى لنفسه بادية رفاق، ولا عن خافية نفاق " (٣) .

(١) رسائل الصابي، ص ١٣٤، وانظر شواهد اخرى المقاطع ١٥ و ١٦ و ١٧ في الملحق .

(٢) رسائل الصابي، ص ٣٨٥، انظر شاهدة آخر المقطع ١٨ من الملحق .

(٣) رسائل الصابي، ص ٤٩، وانظر شواهد اخرى المقطعين ١٩ و ٢٠ من الملحق .

٩ - المجاز :

يكثر الصابي من استعمال المجاز ما يحيط أدبه بظلال من الاخيلة والصورة —
امتثلها قوله : " وكان الغامط لأنعامنا ، الجاحد لآحساننا ، المتروكي من ذروة طاعتنا ، الهالوي
نمي هوة معصيتنا ، الخال رقة ذمتنا ، النازع جنة مشايعتنا " (١) ، وقوله : (٢) " ٠٠٠ بأن تعود
تلك البقية عنكم الينا ، (٣) عود الانياب الى اقواها ، والظفار الى برائنها ، والنصول الى اجفانها ،
والسهام الى كائناتها " .

١٠ - سيطرة المفاهيم الاسلامية : التحديدات والتضمين والاقتباس من القرآن والحديث .

ابو اسحاق الصابي هو الكاتب الرسمي للدولة العباسية ذات الطابع الديني في الحكم ، وهذا ما
يجعل معرفته بالقرآن والحديث والاحكام الشرعية ضرورية لممارسة عمله كما يجب . ولكن باسحاق لم
يكتف بالمعرفة السطحية بهذه الامور هلى ما يبدو ، بل نراه قد حفظ القرآن ، واستوعب الثقافة الاسلامية
بحيث صارت الآيات القرآنية والمعاني الاسلامية ، تصدر عنه تلقائيا حتى في رسائله الشخصية مع انه
لا يدين بالاسلام . كما يلاحظ من خلال رسائله انه جعل الاسلام قاعدة تقاس بها الامور كافة : السياسية
والادارية والشخصية . فان وصف حاكما جاء وصفه مطابقا لما يقره الاسلام ، وان ذكر عاصيا ندد به على
اساس انه مخالف للاسلام ، وان اراد الاعلاء من شأن قائد جعله حاميا للاسلام ذابا عنه ، معليا للكلمة
الحق على الباطل ، وان وصف حربا خاضتها الدولة جعلها جهادا في سبيل الله ، ٠٠٠ وهكذا فالروح

(١) رسائل الصابي ، ص ٤٨ - ٤٩ ، وانظر شواهد اخرى المقطعين ٢١ و ٢٢ من الملحق .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٤٠١ ، واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٣) في اليتيمة : " عادوا الى الحضرة " .

الاسلامية هي السيطرة على رسائله التي نجد فيها معاني الثواب والعقاب، وان العقل هو المؤهل لحمل التكليف، وان الشيطان يزين الشر للانسان، وبالاضافة الى ذكر صفات الله من الخلق والعلم والمشيئة والعطاء والقدره... والى ذكر الانبياء والملائكة. اما في رسائل العهود والتقليدات فنجد تنظيما لأمور الدولة كما تقره النظم والاحكام الاسلامية.

هذا هو المعنى العام لسيطرة المفاهيم الاسلامية، وهي خاصة امتازت بها رسائل ابني اسحاق على رسائل غيره من الكتاب الذين درجوا على ادخال الآيات القرآنية في رسائلهم. ثم اننا نجد اشكالا خاصة لهذه السيطرة تبدو في التحميدات الطويلة التي ترد في مقدمة بعض الرسائل، ثم تضمين الرسائل آيات من القرآن الكريم بشكل كثيف احيانا، او احاديث نبوية.

أ- التحميدات: درج ابواسحاق على ادخال التحميدات الطويلة في الكثير من رسائله الديوانية. هذه التحميدات تتضمن احيانا معاني موافقة لمضمون الرسالة، كمقدمة كتاب انشاء عن الطائع لله سنة ٣٦٤ الى ولاية الاطراف بعد زوال الوحشة بينه وبين الامراء، يسقط فيه اللائمة عنهم ويضعها على الما ليك العصاة (١)، وقد وصفه ابن الاثير بالاحسان في هذا الموضع كون التحميدة مناسبة لموضوع الكتاب (٢).

أما بعد، فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته، وواصل الحبل بعد بتاته، وجابى الوهن اذا انتلم، وكاشف الخطب اذا اظلم، القاضي للمسلمين بما يضم نشرهم، ويشد ازهرهم، ويحفظ الالفه عليهم، وان شأيت ذلك في الاحيان شوائب من الحداث، نؤلن يتجاوز بهم الحد الذي

(١) رسائل الصابي، ص ٢٣٢.

(٢) ابن الاثير، المثل السائر، ص ٢٦٣ (المطبعة البهية).

يوقظ غافلهم ، وينبيه ذا هلمهم ، ثم انهم عائدون الى افضل ما اولاهم وعودهم ، ووثق لهم ،
 وهداهم ، من اعتما ن سرهم ، واعذاب سرهم ، واعزاز جانبهم ، واذا لال مجانبهم ، واظهار دينهم على
 الدين كله ولو كره المشركون * (١) .

ويمكن ان يدرج في المجال نفسه تحميدة كتاب اسرا المستق سنة ٣٦٢ (٢) هـ وان تميزت ببعض
 التطويل كما ان هناك غير شاهد على التحميدة المناسبة لموضوع الكتاب (٣) .

لكن ما اخذ على الصابي هو ايراد بعض التحميدات التي اعتبرت بعيدة عن موضوع الرسالة ولا تمت
 اليه بصلة . وابلغ شاهد على ذلك هو التحميدة التي افتتح بها كتاب فتح بغداد (٤) والتي سنعرض لها
 لدى تحليل هذا الكتاب . والذي يحدث في هذه التحميدات ان الصابي حين يبدأ بذكر الله سبحانه
 ينصرف عن ذكر قدرته واعماله وربطها بما يجري على الارض ما يريد الحديث عنه ، فيغرق في ذكر صفاته
 واعماله عامة ومن ذلك ايضا التحميدة التي قدم بها لرسالة فتح الموصل (٥) .

على ان هذه التحميدات يمكن ان تشكل نوعا من الاستطراد يعود بعده ابو اسحاق
 ليربطها بموضوع كتابه ، وقد لاحظنا سابقا انها قد تمثل سياقاً خارجياً يورد الصابي لأجل غاية
 فنية يرومها ، كما في رسالة اسرا للمستق او فتح الموصل وغيرها . ثم ان الصابي يحاول ان يضفي على
 السلطة الحاكمة الطابع الروحي ، وغالباً ما كان يتوصل الى ذلك عن طريق الذكر التدريجي لصفات

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

(٣) انظر رسالة عن المطيع لله الى بعض ولاة الاطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح في القلقشندي ، ص ٤٠٩ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ١٢ .

(٥) رسائل الصابي ، ص ١٢٠ — ١٢١ والقلقشندي ، ص ٤٦ عن ٤٨٣ وقد اثبتت في الملحق الرسالة رقم (١) .

الله واعماله ثم لصفات نبيه محمد واعماله ومدح الاسلام ثم لذكر الخليفة الذي يشكل وجوده امتدادا لوجود الرسول اذ يرتبط فيه بالنسب ثم للسلطة البويهية التي تثبت هذا الحكم وتدعمه . وكاف ميرسد ان يقول ان الخليفة مثل الله على الارض فهو خليفة لرسوله والبويهيون اولياؤه فيما يضرع اعداءهم في الخانة المقابلة فهم معادون لله وبالتالي كفار فجارء وقد اشرنا الى هذه المعادلة لدى الصابي من قبل .

هذا هو الدور الذي تؤديه التحديدات الصابية والتي تعتبر بحد ذاتها على درجة من الجمال الفني حيث يدرج المضمون الفلسفي والديني في عبارات جميلة وواضحة وربما هذا دليل على تفقه الصابي بالعلم الالهي ويمكن ان تعتبر تحيدة فتح بغداد من اهم تحيداته اذا اخذت بمعزل عن موضوع الكتاب .

ب - التضمين من القرآن الكريم : وكان هذا معروفا في رسائل عصره الا ان ابا اسحاق استعمله بشكل كيف واتخذ لديه عدة اوجه منها الاستشهاد بالآية القرآنية مع الاشارة الى ذلك وهذا عام وشواهد كثيرة في كلامه وخاصة في العهد والتقليدات كقوله في احد العهود (١) : " قال الله جل ثناؤه وتقدس ذكره : * ف خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * (٢) وقال عز وجل : * كنتم خیر امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر * (٣) " و قد تم قوما فقال : * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه * (٤) و * الله يقول الحق وهو يهدي السبيل * " (٥) .

(١) رسائل الصابي ص ١٩٧ .

(٢) سورة مريم (١٩) : ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران (٣) : ١١٠ .

(٤) سورة المائدة (٥) : ٧٩ .

(٥) سورة الاحزاب (٣٣) : ٤ .

ويلاحظ انه قد اورد الآية الاخيرة دون اشارة الى انها آية •

وجه آخر للتضمن القرآنى هو حين يذكر الكاتب آية قرآنية في معرض الكلام دون اشارة الى كونها آية • وامثلة ذلك كثيرة عند الصابى ايضا • واحيانا نجد يتصرف فى الآيات كأن يجمع بين آيتين مع الحذف منها كقوله فى احدى تحميداته يذكر الله : " بالغ امره بلا مؤازره ومضى حكمه بلا مظاهر * ذلكم الله ركم فادعوه مخلصين له الدين * (١) • هذه الآية جمعها الصابى من الآيتين ٦٤ و ٦٥ من سورة غافر : * ذلكم الله ركم فتبارك الله رب العالمين * * هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين * • ومن ذلك قوله فى ذكر الكافر بالنعمة : " فلا يلبث ان ينزع سرايلها صاغرا ، ويتعزى منها حاسرا ، ويجعل الله كيد ه فى تضليل ه (٢) ويورده شر المورد الويل ه * ان الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائثين * (٣) • وهنا ايضا يجمع بين جزئين من آيتين مختلفتين : الآية ٨١ من سورة يونس * فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحرا ان الله سيطر له ان الله لا يصلح عمل المفسدين * والآية ٥٢ من سورة يوسف * ذلك ليعلم انى لم اخنسه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائثين * •

الوجه الثالث للاستفادة من القرآن ، والذي يدل على تشبع الصابى من المعانى القرآنية ، يظهر فى استعمال التعابير القرآنية فى معرض الكلام كقوله (٤) : " ولا ينكصون عن يوم معركة ، ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة " • والتعبير من قوله تعالى * انفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم

(١) رسائل الصابى ، ص ٦٥ - ٦٦ •

(٢) التعبير مستوحى من الآية القرآنية * لم يجعل كيدهم فى تضليل * : سورة الفيل (١٠٥) : ٢ •

(٣) رسائل الصابى ، ص ١٢١ - ١٢٢ •

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ •

الى التهلكة» (١) ومن ذلك ايضا قوله في تحميدة: "وجنبنا مجاهل الغواية الساقطة من عصاه

الى جحيم النار وحصير الكفار" (٢) وفي القرآن* وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا* (٣) وقوله:

"وجعل كلمتنا عليه العليا، ويدنا فوقه الطولى" (٤) والله تعالى يقول* وجعل كلمة الذين

كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا* (٥) ومن ذلك قوله: "اجراها على ايدى الاشقياء الذين

تبت ايديهم" (٦) وفي القرآن: *تبت يدا ابي لهب وتب* (٧) ويقول الصابي في رسالة شخصية

يرى نفسه فيها من بعض الاكاذيب: "فلا تقبل على نبال الفاسق ولا تفارق في بصيرة الواثق" (٨)

وفي القرآن: *يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم

نادمين» (٩) وامثال هذا كثير جدا فهو يستفيد من البلاغة القرآنية، وما قد يحيط بهذه التعابير من معان

ومنا لها من وقع في السمع والذهن، وما لها من خلفيات متعلقة بمناسبة النزول، فالذى يقرأ: "لا تقبل على

نبأ الفاسق" تعود الى ذهنه تلقائيا صورة الفتنة التي كان يمكن ان تحدث بين المسلمين، والاذى الذى كان

يمكن ان تتعرض له احدى فئاتهم ظلما لو لم يستدرك الرسول الامر بان يمتحن من يتبين له النبأ الصحيح (١٠)

(١) سورة البقرة (٢): ١٩٥.

(٢) رسائل الصابي، ص ٢٢٩.

(٣) سورة الاسراء (١٧): ٨١.

(٤) رسائل الصابي، ص ٤٨.

(٥) سورة التوبة (٩): ٤٠.

(٦) رسائل الصابي، ص ٢٣٣.

(٧) سورة اللهب (١١١): ٢.

(٨) لقاء الخواطر، الورقة ١٩٤.

(٩) سورة الحجرات (٤٩): ٦.

(١٠) انظر الحادثة في شيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٤١.

فيثبتين له مقدار خطورة الاقبال على نبأ الفاسق للارتباط بين هذا التعبير وتلك الحادثة، ويكون هذا التعبير من الكلام الالهي . وفي قوله " على ايدي الاشقياء الذين ثبتت ايديهم " يتبادر الى الذهن صورة ابي لهب عم الرسول وعدوه والدعاء الذي اطلقه الله عليه بالثياب والبيوار (١) . فكيف بنا ان نقرأ جمعه لعدة تعبيرات قرآنية تدل على العذاب الذي يلحق الباغين والكافرين حين يقول في تحميد : " وعصمنا من مراكب اهل البغي المنزلة لاقدامهم ، الجالبة لحماهم ، المذلة لآبائهم ، الصارعة لجنوبهم ، الصائرة بهم الى العذاب الاليم ، والحال الذميم ، وسكنى الجحيم ، وشرب الحميم " (٢) .

ج - الحديث النبوي : واستعماله قليل وطريقته في ذلك كما في استعمال الآيات ، اما بالاشارة الى ذلك او اقتباسا دون اشارة من الطريقة الاولى قوله : " ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : " خالة المؤمن حرق النار " (٣) . او قوله : " وبالاشهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم " (٤) .

اما الاقتباس دون اشارة الى ذلك كقولـه : فان المستحب في الحدود ان تقام بالبينات ، وتدرأ

(١) انظر في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٩٩٩ - ٤٠٠٠ .

(٢) رسائل الصابي ص ٤٥ - ٤٦ . وانظر في هذه المعاني من القرآن سورة النازعات (٧٩) : ٣٧ و ٣٨ . سورة محمد (٤٧) : ١٥ وسورة النبأ (٧٨) : ٢٤ - ٢٥ وسورة يونس (١٠) : ٤٠ .

(٣) في من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن علي القمي (تحقيق حسن الموسوي الخراساني ، النصف ، مطبعة النجف ، الطبعة الرابعة ١٣٧٨ هـ) ج ٣ ص ١٨٦ . يورد الحديث كما يلي : " اياكم والقتلة فانها خالة المؤمن وهي حريق من حريق جهنم " .

(٤) رسائل الصابي ص ١٠٣ ، وقد ورد الحديث في المصدرين التاليين : ابو داود سليمان بن الاسود ، المجستاني في سنن ابي داود (تعليق عزت عبيد الدعاس ، حمير ، نشر محمد علي السيد ، الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م) ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٥ و ابو جعفر محمد بن يعقوب الكايني ، الاصول من الكافي (تعليق علي اكبر الذقاري ، طهران ، مكتبة الصدوق ، ١٣٨١) ج ١ ص ٤٠٣ .

بالشبهات (١) وفي الحديث النبوي: "ادروا الحدود بالشبهات" (٢) وكذلك قوله عن القرآن: "وهو احد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا" (٣) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "انني تارك فيكم امرين ان اخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل واهل بيتي عترتي" (٤).

١١ - الامثال والشعر ضمن الرسائل :

على ان ثقافة الصابي ء كما تبدو في الرسائل ء لم تكن مقصورة على العلوم الاسلامية كالقرآن والحديث والفقه والتاريخ ء وانما نجد ان القاعدة الثقافية التي كان يركز عليها اوسع من ذلك يعود في بعض جوانبها الى ما قبل الاسلام ربما ء وتبدو في استعماله لبعض الامثال القديمة والشعر مع الاطاحة بثقافة العصر وآداب ء ء وربما امكنا القول ان وعي الصابي لثقافة العصر رده الى هذه الاصول القديمة حيث كان استعمال الشعر والامثال في اثناء الرسائل شائعاً بل كان مدعاة للادلال بسعة الرواية كما كان عند ابن العميد مثلاً (٥).

(١) رسائل الصابي ء ص ١٥٤.

(٢) مسند الامام ابي حنيفة (تحقيق صفوة السقا ء حلب ء مكتبة ربيع ء الطبعة الاولى ١٣٨٢/١٩٦٢)

ص ١٤٩ وقد جاء في سنن الحافظ ابن ماجه (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ء مصر دار احياء

الكتب العربية ء ١٣٧٣/١٩٥٣) ج ٢ ص ٨٥٠ الحديث كما يلي: "ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً" وقد ضعف.

(٣) رسائل الصابي ء ص ١٧٣.

(٤) الكليني ء الاصول من الكافي ء ج ١ ص ٢٩٤ وقد ورد الحديث مع بعض الاختلاف في صحيح مسلم

لمسلم بن الحجاج (مصر ء مطبعة محمد علي صبيح ء ١٣٣٤ هـ) ج ٧ ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٥) خليل مردم ء ابن العميد (دمشق ء مكتبة عرفة ء مطبعة الاعتدال ء ١٣٥٠/١٩٣١) ص ٤٥.

الشواهد على استعماله للامثال كثيرة منها قوله في رسالة يذكر فيها نهاية بختيار وانسه

جنسى علو. نفسه : " فلم يلبث ان دارت عليه الدائرة ، وصلي بالنائرة ، التي يداها اوكتاها ، وفوه نفخ

لها ، " (١) . واصل هذا المثل : " يداك اوكتا وفوك نفخ " (٢) ويقال لمن يجني علسى

نفسه الموت . ومن ذلك ايضا قوله عن عز الدولة الى الفتكين التركي يمين مكانته عنده : " ونخرج اليه

بخفية الصدر ، وحوجاء النفس ، والمعجر والبجر التي يحتشم فيها الاخ الشقيق ، والوالد الشقيق " (٣) .

واصل المثل : " اخبرته بمعجى ومعجى " يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقة به (٤) .

وسنرى كيف يجمع الصابي احيانا بين غير مثل ويقرنهما بمعان متشابهة ليخرج لنا صورة

غنية وافية بما يريد ، ، وذلك في تصويره لشخصية المنافق : " واظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة

وكدحه ، وسرابا لامعا من وفائه ونصحده ، وهو يدب الضراء (٥) ويسر حموا في ارتغاء (٦) ،

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٢٥ .

(٢) المفضل الضبي ، امثال العرب (تعليق احسان عباس ، بيروت ، دار الرائد العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٨١ / ١٤٠١) ص ١١٧ و ابو الفضل احمد بن محمد الميداني ، مجمع الامثال (تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد ، مصر ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥) ج ٢ ، ص ٤١٤ . وحكاية هذا المثل

" ان رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر ، فاراد ان يعبر على زق نفخ فيه فلم يحسن احكامه ، حتى اذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق ، فلما غشيه الموت استغاث برجل ، فقال له : يداك اوكتا وفوك نفخ " . مجمع الامثال

ج ٢ ، ص ٤١٤ .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٤) الميداني ، مجمع الامثال ، ج ١ ، ص ٢٣٧ . معنى المثل : " اصل المعجر العروق المتعقدة ، والبحر : ان

تكون تلك العروق في البطن " . المصدر نفسه .

(٥) اصل المثل : " يدب له الضراء ويمشي له الخمر . والضراء : الشجر الملتف في الوادي ، والخمر : ما وراك من

جرف او جبل رمل . يضرب للرجل يختل صاحبه " . (الميداني ، مجمع الامثال ، ج ٢ ، ص ٤١٧) .

(٦) اصل المثل : " يسر حسوا في ارتغاء ويرمي بامثال القطا فؤاده . الارتغاء : شرب الرغوة . قال ابو زيد

والاصمعي : اصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر انه يريد الرغوة خاصة ، ولا يريد غيرها ، فيشرها ، وهو

في ذلك ينال من اللبن . يضرب لمن يريك انه يعينك ، وانما يجز النفع الى نفسه " . (الميداني ، مجمع الامثال ،

ج ٢ ، ص ٤١٧) .

ويوكي على الشعر عيابه (١١) ويخنو على النكت ضلوعه وحجابيه * (٢) .

هكذا استفاد أبو اسحاق من استعمال الامثال التي هي جمل او عبارات تختصر حادثة تروى
وبذلك تعبر عن المعنى بأفضل مما تفعله الجملة العادية ، اذ ان الامثال اكتساز للحادثة
والمعنى بمختصر من اللفظ الذي غالبا ما يكسون غريبا لقدم هذه الامثال .

اما بالنسبة لتضمين الرسالة من الشعر فقد كان ذلك على وجهين : الاول منهما تضمين
الرسالة ابياتاً شعرية كاملة للصايي او لسواه من الشعراء . كقوله في رسالة كتبها عن
نفسه الى عضد الدولة : " واما ما ارتبأ وامضاء مولانا اطال الله بقاءه ، وتميم
علاءه . من اتمام السير الى تلك الديار للزيادة في الاستظهار ، فقد كان اغناء عن كل شيء
بأثره ، البيت الذي هو احق به من قيل فيه :

" قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع اليهم " (٣)
وقوله في رسالة يذكر الفتنة بين الاتراك والديلم : " وا كان الفريقان كلاهما . الا كما قال
البحتري : (٤) " وفسان هيجاء تجيش رعد ورها باحقادها حتى تضيق ذروعها (٥)

(١) العمية وعاء من ادم يكون فيها المتح ، والجمع عيابه ، والعرب تكني عن الصدور والقلوب التي تحتوى على
الضامات بالعياب (اللسان : مادة : عيب) .

(٢) رسائل الصايي ، ص ٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ والبيت للمتنبى من قصيدة في سيف الدولة الحمداني . ديوان ابي الطيب المتنبى ،
بشرح ابي البقاء العكبري ، (ضبط وتصحيح ، مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحافظ شلبي ، مصر ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٥ / ١٩٣٦) ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

(٤) رسائل الصايي ، ص ٤٠٠ وديوان البحتري (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٠ هـ)
ص ٣ .

(٥) في الديوان : دروعها .

تقتل من وتر اعز نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها
إذا احترت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القري ففاضت دموعها *

وتكرر ظاهرة استعمال الشعر ضمن الرسائل الشخصية لدى الصابي ، فنراه يضمن إحدى رسائله إلى
عضد الدولة سبعة أبيات شعرية (١) يمدحه فيها ويهنئته بالنصر ، وأمثلة ذلك كثيرة (٢) .
أما الوجه الآخر لاستعمال الشعر فهو في ما يمكن أن يسمى بحل المنظوم حيث أن الكاتب
يستعمل بعض البيت الشعري في معرض النشر ، من ذلك قوله يصف النعم في كتاب : " فان أحق
النعم بأن يلقي ضيفها العصا ، وتستقر به النوى ، " (٣)

وهذا الكلام حل للبيت الشعري :

" فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالأياب المسافر " (٤)
أوقوله يصف الحرب : " وترميهم بكلماتها وأبطالها ، وتمرّكهم عرك الرحي بثقالها " (٥) . وهو من قول
زهير بن أبي سلمى :

" فتمرّكهم عرك الرحي بثقالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتثم " (٦)

(١) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ١١٠ - ١١٣ والابيات ص ١١٢ .
(٢) انظر نماذج من ذلك باليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ وج ٣ ، ص ١١٦ - ١١٧ والحصري زهر الآداب ، ج ٤ ،
ص ٣٧ و لقاح الخواطر ، الورقة ٨٩ ب والعباسي معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٤٣ .

(٤) البيت لمعمر بن حمار البارقى . الاغانى ، ج ١٠ ، ص ٤٧ (طبعة بولاق) .

(٥) رسائل الصابي ، ص ٦١ .

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى (تحقيق كرم البستاني ، بيروت) دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٩ / ١٩٦٠ ، ص ٨٢ .

وقد اورد الثعالبي في اليتيمة (١) امثلة من اقتباس الصابي من شعر ابي الطيب المتنبسي

والبحر تـرى •

١٢ - المقاطع الحكمية :

تتضمن بعض رسائل ابي اسحاق مقاطع حكمية تتخذ احيانا شكل المثل السائر باستقلاليتها

وقصرها وايجازها ، وقد رأينا امثلة ذلك في الحديث حول آرائه وقد لا تكون هذه المقاطع قصيرة وانما

تتميز بالغنى في المضمون الحكمي • من ذلك قوله : " فان احق من قمع سلطان الشهوة ، واولسى

من اضرع خذ الحمية ، من ملك ازمة الامور ، واقتدر على سياسة الجمهور " (٢) •

وقوله : (٣) " ولولا فضل الرعاية على الرعاية في بعد مطرح النظرة (٤) واستشفاف غيب العاقبة ، لاستوت

الاقدام ، وتقاربت الافهام ، واستغنى المأموم عن الامام " • وقوله : " ربما استظهر العريض (٥) البطل

بفعل بيانه على الفاجر (٦) المحق لحي لسانه " (٨) •

(١) اليتيمة ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ •

(٢) رسائل الصابي ص ١٤٦ - ١٤٧ •

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٦ ولفاح الخواطر الورقة ١٨٦ •

(٤) في لفاح الخواطر : " النظر " •

(٥) في المصدر نفسه : " استنسا " •

(٦) عرض الرجل : صار ذا عارضة ، والعارضة : قوة الكلام وتنقيحه والرأى الجيد • اللسان مادة : عرض •

(٧) لعلمها : " العاجز " •

(٨) لفاح الخواطر الورقة ٨٦ ب •

وقوله : ليس بالظاهر عند الله من افاض الماء على اطرافه ، وجعل النجاسة حشو شفافه (١)

لكنه الجامع بين الامرين ، الفائز بكتنا الحننيين * (٢) .

وقوله : " رب حاضر لم تحضر نيته ، وغائب لم تغيب مشاركتيه " (٣) .

١٣ - القيمة التاريخية :

في رسائل الصابي (الديوانية خاصة) ذكر لمجموعة كبيرة من الاحداث التاريخية ابتداء من عهد معز الدولة وحتى عهد مصامها مرورا بعهود عز الدولة وعندها . فلا يسد اذا ان يكون لهذه الرسائل قيمة تاريخية كبيرة كونها تغطي فترة زمنية طويلة . ثم لانها صادرة عن مراجع عليا في الدولة ، لكن هذا السبب بالذات يجعلنا نتساءل الى اي مدى يمكن ان تكون هذه الرسائل صادقة في اثباتها الحقائق . فلدى استقراءنا لمجموعة من رسائل الصابي تبين لنا عدة امور :

(١) الشفاف : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب وسوداؤه . اللسان : مادة : شفاف .

(٢) لقاح الخواطر : الورقة ٨٦ ب .

(٣) الشمالي ، لطائف اللطف (تحقيق عمر الاسعد ، بيروت ، دار المسيرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠ /

١٩٨٠) ولقاح الخواطر ، الورقة ٨٦ ب .

اولا : كون الصابي يكتب عن السلطة يحتم عليه الا يكتب ما يسيء اليها وبالتالي فقد يعمل على تمويه الحقائق او اغفالها او التلاعب بها وفق ما يتناسب مع مهمته التي هي اعلاء شأن الدولة ونسبة المحامد لها . ففي رسالة فتح الموصل مثلا التي تحدث عن دخول عز الدولة الى الموصل وانهزام ابي تغلب الحمداني عنها ، عمد الصابي الى اخفاء حقيقة الاسباب التي دفعت بعز الدولة الى غزو الموصل سنة ٣٦٣ وهي الطمع بأموالها واللهو والتصيد في طريقه يشجعه على ذلك وزيره ابن بقيقة الذي كان يحصل الحقد لأبي تغلب (١) ولجأ بالمقابل الى ذكر اسباب اخرى منها منع ابي تغلب الاموال ونقضه العهد ومهادنته الروم ومن المرجح ان تكون هذه الاخبار غير صحيحة بدليل تصدى ابي تغلب في السنة التي سبقتها لقتال الروم واسره لقائدهم الدمستق (٢) . ثم يعمل ابو اسحاق زيادة في التمويه ودعا لموقف بختيار على ذكر مساوي ابي تغلب من قتله والده ومحاربتة لاختوته . لكن قتل ابي تغلب لوالده غير مؤكد . اذ ان مسكويه يذكر ان ابا تغلب واخاه ابا البركات اعتقلا والدهما وانه مات في سجنه سنة ٣٥٨ هـ (٣) . كما يقول الصابي في هذه الرسالة انه لما دخل عز الدولة الموصل سكنت نفوس اهلها وانسوا به ، (٤) فيما يقول مسكويه ان ابا تغلب كان الاظهر في المعركة لكثرة عدده ولتعصب اهل الموصل له ، وانه لما انحدر عز الدولة عن الموصل تبعه اهلها باللعن والدعاء عليه واخذوا يتبعون اصحابه ويستوثقون عليهم (٥) . هذا نوع من

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) انظر لحادثة في رسائل الصابي ، ص ٦٤ - ٧٥ وتجارب الامم ، ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٣ وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ٥٩ - ٦٠ وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

(٣) تجارب الامم ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ١٢٧ .

(٥) تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

تمويه الحقائق في رسائل ابي اسحاق والسدزي اتبعه ليستر حقيقة فعل بختيار المشين .

ونجد شاهدا آخر على تمويه الحقائق او اغفالها في رسالة اسر المستنق . وحكاية

هذه الحادثة ان عظيم الروم غزا في عدد ضخم من جيشه المسلمين فأوقع بهم (١) ، فورد المسلمون

من هذه المناطق الى بغداد مستغربين واحاطوا بدار الخليفة واستنقروا المسلمين في المساجد

والاسواق (٢) . فخرجت جماعة من وجوه بغداد الى بختيار الذي كان في الكوفة منصرفا

الى اللهو ، مستنكرة اهماله امر المسلمين فوعدهم بالنزول (٣) . فبعث بختيار يطالب المطيع

لله بالاموال ليخرجها في طريق الغزو فأجابه المطيع ان تدبير الاموال والرجال ليس له ليكون الغزو واجبا

عليه ، وان ليس بين يديه اى شي . ما تنظر به الائمة ولهم منه الاسم الذي يخطب به فان شاءوا ان

يعتزل اعتزل . فتددت بينهما المراسلات ووصل الامر ببختيار الى تهديد فاضطر المطيع الى التزام اربعة

الف درهم باع به اثنيابه وبعض انقاض داره (٤) . كما ارسل بختيار الى ابي تغلب صاحب الموصل يعلمه

عزمه على الغزو ويلزمه اعداد العلوقة والزاد فسارع الى ما سأل (٥) . ثم تذكر كتب التاريخ ان

المعركة جرت بين المستنق وهبة الله ^{بن} أناصر الدولة اخي ابي تغلب (٦) .

(١) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٣ وابن الجوزي المنتظم ج ٧ ص ٥٩ - ٦٠ وابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٦١٨ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٤ والمنتظم ج ٧ ص ٦٠ والكامل ج ٨ ص ٦١٨ وانظر في الامتاع (ج ٣ ص ١٥٣ - ١٥٩) شرحا وافيا لتفصيل ما دار بين الجماعة وبختيار .

(٤) تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ والكامل ج ٨ ص ٦١٩ .

(٥) تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٤ والكامل ج ٨ ص ٦١٩ .

(٦) تجارب الامم ج ٢ ص ٣١٢ والكامل ج ٨ ص ٦٢٧ .

لنقارن الآن هذه الحقائق برواية الصابي للحادثة، فبعد ان ذكر غزو الروم للمسلمين اغفل ذكر ورود المسلمين من تلك النواحي مستنفرين واحاطتهم بدار الخليفة، لأن في ذلك اساءة الى الخليفة والى عز الدولة بختيار فيذكر بالمقابل ورود كتب ابي تغلب مستنجدا مما دفع بالخليفة الى استخدام عز الدولة والجيش التي برسمه فامتثل بختيار امير المؤمنين وانجد ابا تغلب بالرجال الاشداء والابطال الاقوياء. اذا ابو اسحاق يحتال على التاريخ هنا لعدة اسباب : اولها انه يريد ان يغطي الشرح القائم بين الامراء (عز الدولة) وبين الخلافة وذلك لان طاعة البويهيين للخليفة اساس في ثبات دولتهم وكما ذكر على لسان المطيع : "وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تمسكون به رعاياكم" (١) . فعندما يتعرض الصابي لذكر هذه العلاقة يغفل الواقع ويذكر المثال : فتصرف بختيار الفعلي ليس التصرف الذي كان يجب ان يحدث بل انه التصرف الصحيح الذي يحفظ للدولة مهابتها وللخليفة سلطته هو ما جاء في رسالة الصابي من ان المطيع استقدم بختيار وبختيار امتثل لأمره . ورأينا ان الصابي قد اغفل ذكر خبر جماعة علماء بغداد ووجوهها الذين خرجوا للقضاء عز الدولة في الكوفة وحثه على الدفاع عن المسلمين لما في ذلك ايضا من اساءة الى عز الدولة (٢) . وعلى العكس نجد ان الصابي قد استغل هذا الانتصار وسيلة دعائية

(١) مسكويه، تجارب الامم : ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢) هذا الخبر اغفله الصابي ايضا في كتابه التاجي . فقد جاء في الامتاع (ج ٣، ص ١٥٩) ان الوزير ابن سعدان قال للتوحيدى انه قرأ ما كتبه الصابي في التاجي فما وجد هذا الخبر فاجاب التوحيدى : "لعله لم يقع اليه، او لعله لم ير التطويل به، او لعله لم يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه". فاما عدم وقوع الخبر اليه مع وجوده في بغداد واتصاله بالسلطة فيمكن . واما عدم التطويل به فغير وارد ايضا ان كان يمكن ذكره عرضا فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ما ينطبق على هذه الرسالة بشكل اخص لان التاجي كتب بعد وفاة عز الدولة فيما كتبت هذه الرسالة حوله .

للسلطة البويهية ولعز الدولة خاصة بعد الفتن التي جرت في بغداد وبعد تغل الروم في ديار المسلمين فقد نسب الى عز الدولة حسن الخدمة للخلافة وبذل الجهد في سبيل ضبط الثغور والامور ومجاهدة الكفار واصلاح البلاد .

ثم ان سياسة القول حتمت على الصابي ان يمدح الخليفة بالقول ان الفتوح في ايامه متصلة والغنائم متوالية على المسلمين والرعية آمنة ساكنة بعد له . وهنا نجد ان الفسحة بين الواقع والمثال الذي حوته الرسالة تثير السخرية ، اذ ان هذا الكلام يقال فيمن لا حول له ولا طول . وكان الصابي قد تنبه الى هذا الامر فعزا ذلك الى سياسته وبركته ورعايته : " فالدعوى " بسياسته ساكنة والرعية برعايته آمنة والفتوح في ايامه متصلة متقاطرة ، الغنائم على المسلمين ببركته داره متواترة " (١) . ثم ان هذا الكلام يقال في وقت حدث فيه اكبر الفتن في بغداد والتي ادت الى حريق الكرخ والس القتل والنهب واستباحة الحرمات وظهور جماعة العياريين الذين عاشوا في الارض فسادا (٢) .

كما نرى انه بالرغم من ان هذا الانتصار كان فعليا من صنع الحمدانيين ، لا ابراز فعلي لشخصيتهما في الرسالة الامن حيث كونهما الاداة المنفذة لتدابير عز الدولة . فالصابي يريد ان يبرز ان الدور الفعلي في تحقيق الانتصار هو لعز الدولة ولما كان عدم اشتراك عز الدولة فعليا في المعركة

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٢ .

(٢) انظر مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٦ والامناع ، ج ٣ ، ص ١٥٠ - ١٦١ وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٦٠ وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

يقابل من نجاح الصابي في هذا المجال ، فتمدد عهد الى التركيز على دور عز الدولة كقائد او مسؤول يدبر الامور بثاقب حزمه ، فحتى لو حشرت بعينك عنه فانما تجرى بتدبيره : " يناصر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو مساو لم ينزح ، يتناول المعالي بثاقب حزمه ويفتزع الهضاب ببعيد همه " (١) . وهكذا نجد ان للصابي من خلال رسالته هدفا يريد تحقيقه ، وقالها ما يكون اعلاء شأن الدولة والعباسيين فنجد ، يتلاعب بالاحداث ويطوئها كي تصبح مناسبة للوصول الى هدفه ، وهو ، كما رأينا في المثل السابق ، يحكم تركيبة الحدث حتى يصحب على القارئ ان يجد خرقا في الرسالة ينفذ منه الى مناقضة ما جاء فيها او مخالفته ، ولهذا السبب كانت الحقائق في رسائل الصابي تتغير وفقا لاحوال السياسة فنجد ، مثالا في رسالة تكملة بختيار سنة ٤٦٦ (٢) قد اعلى من شأن عز الدولة ووزيره ابن بقية فرفح عز الدولة الى مرتبة لا يدانيه فيها مدان فقال فيه : " فجدد امير المؤمنين هذه الساعى السوابق ، والمعالي السوامق التي يلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص ان يعرف حق ما كرم له منها ويتزحزح عن سرير المعاشلة لسه فيها " (٣) وعن ابن بقية قال : " وان عسرف لنصير الدولة الناصح ابي طاهر حتى تقدمه في

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ .

الكفاية والخناء ، وإبرازه في الاستقلال والوفاء ، وقيامه بكل مهم طرقت ، ودفاعه لكل ألم أرمق ، وسد من هذه الحضرة التي هي قبلة الاسلام وواسطته ، وسنامته وغاريته ، مكانا لم يسدد ، مثله ، ولم يصلأ ، غيره . (١) .

ثم نراه بعد ان غلب عضد الدولة على الامور سنة ٣٦٧ يصف بختيار وابن بقيقة بالفساد وسوء التدبير : " فما زال بختيار يسي الاختيار ، ويتنكب الصواب ، ويتجنب الصلاح ، ويمسزق الاموال ، ويعرض الدولة للزوال ، ويهجر الاولياء ، اشد الاهراج ، ويحملهم على اعوج المنهاج ، ويخرب الاوطان ، ويشتت الاقران ، ويقتل الكفاة ويستكفي الغواة ، الى ان بلغ من فاسد سيرته ، وضال طريقته ، الى ان استكتب محمد بن بقيقة المحيط بكل خلة دنية ، وهو صغير حقير ، ناتق مغرور ، وليس له نصيب من صناعة ، ولا كفاية ، ولا حظ من فهم ودراية ، ف جذب بضبعه من اخس مطارح الاتباع ، واخفض منال الرعاع ، الى معالي الامور التي ليس كفؤا لها ، ولا حقيقا بشي منها ، فما تم لعمر الله لبختيار ان يرفعه ، لكن تم عليه ان يتضع معه ، فكانت آثاره كآثار صاحبه ، في اخاب البلاد ، وظلم العباد ، واجتاث الفروع ، واقتلاع الاصول ، وانشاء الملاحم بين الديلم والأتراك من عساكر امير المؤمنين ، واستثارة العيارين والاولغاد ، (٢) .

ولا يكتفي الصابي احيانا بقلب الحقائق حتى يقلب القوانين الشرعية والنظم المعروفة والمتبعة ارضا ، لمن يكتب له ، فيقول عن البويهيين في احدى الرسائل : " الذين لا تصح الامامة لمن اتخذوه حربا ، وصاروا دونه حزبا ، لكنها انما تخلص من الاسباب المعللة لها ، والموارض القادحة فيها ،

(١) مسائل الصابي ، ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ وانظر ايضا : ص ٢٨٢ .

بدخولهم في البيعة، وانقياد من ورائهم من الكافة* (١) . والذي تشير اليه كتب الاحكام السلطانية، وما هو معروف، ان الخليفة هو الذي يولي الامراء بواسطة عقد او تقليد، (٢) وليس الامير هو من يولي الخليفة . اما تولية الخليفة او الامام، وانعقاد الامامة فهناك شروط معتبرة في الامام كما في اهل الاختيار لا بد من تحققها كي تصح الامامة (٣) . ثم انه لا يخرج الامام من الامامة الا شيطان : جرح في عدالته او نقص في بدنه (٤) .

لكن هذا لا يعني خلو رسائل الصابي من ذكر الاحداث الصحيحة لان التلاعب انما حصل في الاسباب المهيثة او الظروف المحيطة بها، في حين ان ابا اسحاق يذكر احيانا اخبارا تنطبق تماما مع ما يذكره المؤرخون، كما ينفرد احيانا اخرى بذكر احداث لا نجد لها ذكرا فسي كتب التاريخ، او يفصل احداثا اشير اليها في كتب التاريخ اشارة عابرة . ففي رسالة عن الطامع الى ولاية الاطراف بعد فتنة الاتراك وعودهم الى داره سنة ٣٦٤ هـ (٥) يذكر ابو اسحاق ان المطيع اراد المضي الى عز الدولة وعضدها فتبعه المتمردون الاتراك . وردوه وحبسوه فلما علموا انكاره لفعلهم " نالوه بالهزيمة، واستحلوا فيه العظيمة " (٦) . فيما يذكر مسكويه الحدث نفسه من رد المطيع وحبسه في الدار ولكن " وكل به فيها توكيلا جميلا " (٧) . كما يذكر الصابي في الرسالة نفسها ان الاتراك

(١) رسائل الصابي، ص ٢٣٩ .

(٢) الماوردى، ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٤ — ٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦ .

(٥) رسائل الصابي، ص ٢٣٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٦ .

(٧) مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٣٢٧ .

اكرهوا المطيع على خلع نفسه لانه " لا يستقل بالنهضة ان طالبوه بها ، ولا بالهزيمة ان عرضوه لها " واضطروا الطائع للانتصاب موضعه (١) . فيما يذكر مسكويه ان المطيع كان يعاني من علة الفالسج ويحاول ستر ذلك ثم ثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فانكشف حاله لسبكتكين فدعي الى تسليم الامر لابنه الطائع " (٢) . وهكذا فالخير صحيح ، لكن الصابي يخضع ظروفه او اسبابه لما يناسب السياسة التي يريد ارضاها .

ونجد ان الصابي يتفرد بذكر بعض الاحداث كما في رسالة اسراء الدمستق ، بالتفصيل الذي عرضت فيه الحادثة جعله يتطرق لذكر احداث لم تذكر في كتب التاريخ كحادثة غزو المسلمين بعض النواحي وتغلبهم على اهلها وتملكهم الكثير من الاموال والسيبي وذلك قبل المعركة مع الدمستق . كما انفرد بذكر رد المسلمين للروم عن بعض الحصون التي حاولوا تملكها ، كما انفرد بذكر ابن البلنطس الاسير الثاني بعد الدمستق وهو طريده في الرطاسة ، وذكره ان جماعة الاسرى ضمت عددا من كبار الروم واصحاب المراكز فيهم .

ونجد شواهد اخرى على ذلك في رسالة الظفر بروزهبا ن حيث انفرد الصابي بذكر احداث كثيرة منها ان روزهبا ن قد كتب لاخيه اسفار بالاهاواز ليخرج معتقلين كانا في القلعة ، ثم يذكر ما جرى لهؤلاء بعد المعركة من استئمانهم لمعز الدولة . كما تفرد بذكر تفاصيل ما حدث فسي

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ . ونظن هذا عدوا شرعيا لقول الماوردي (الاحكام السلطانية ، ص ١٨) : " ما يمنع من عقد الامامة ومن استدامتها وهو ما يمنع من العمل كذهاب اليمين او من النهوض كذهاب الرجلين فلا تصح معه الامامة في عقد ولا استدامة لعجزه عما يلزمه من حقوق الامامة من عمل او نهضة " .

الاهواز ما سبق المواجهة، وبعض التدابير المتخذة منها تعيين السهمليبي لابي العباس
ليلي بن موسى زعيما على الرجال وانه اقفر الاهواز من كل خير وقد هال رجال والاموال الي البصرة
وكيف انحاز الخوميني عامل البويهيين على الاهواز الي روزبهان وان روزبهان استوزره وفوض اليه
وما الي ذلك من تفصيلات سبقت المعركة .

ومهما يكن من امر، تبقى رسائل الصابي وثائق تاريخية مهمة، فحتى لو وجدنا بعض
التلاعب في التفصيلات التاريخية الا ان الرسائل اثباتات لدينا على الحقائق التاريخية
الكبيرة او العامة لذلك العصر . فرسالة الظفر ~~بروزبهان~~ ^{بروزبهان} مثلا وان بنيت على وضع اللائحة
على روزبهان وتبيان نفاقه وتزلفه ومكاشفته العداء، تؤيد لنا عدة حقائق منها :

- ١ - وجود الثورات الدائمة داخل الدولة البويهية : روزبهان واهوه اسفار، وعمران بن شاهين . .
- ٢ - اهمية المال في استمالة الجنود والرجال واهمية المراكز في استمالة الكبار منهم . اى ان ايا من
الثورات كما يبدو لم يكن مبنيا على اهداف او مبادئ* يراد تحقيقها انما مجرد صراع على السلطة
وطمع فيها يقوم به الكبار ويتبعهم فيه الرجال لكسب المال .
- ٣ - سياسة معز الدولة في تقديم الاتراك على الديلم .

كما ان الرسالة من الطابع لله الى ولاية الاطراف (١) والرسالة منه ايضا عند غلبة عضد الدولة
على الامور (٢) وغيرهما تشكل ادلة قاطعة على تلاعب الحكام والقواد بالخلفاء محاولة كل طرف

(١) رسائل الصابي، ص ٢٣٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٥ .

ان يكسب الخليفة الى جانبه طوعا او كرها ليكتسب به الشرعية لوجوده وحكمه . اما رسالة
عز الدولة الى سبكتكين العاصي سنة ٣٦٤ (١) فهي حجة واضحة على اضطراب الامور في عهد عز
الدولة بختيار وتحكم القادة الاتراك بالامور حتى اصبح كالدمية بين ايديهم ، يتلاعبون به
ويوزرونه كيف شاؤوا . ومثل ذلك رسالته الى الفتكين (٢) الذي تولى قيادة الاتراك المعصاة
بعد وفاة سبكتكين . هذه ايضا رسالة مهمة تذكر جوانب لم تذكر في كتب التاريخ حول رسالة العصيان
كما تكشف حالة عز الدولة القلقة والضعيفة والتي دفعت به بالاضافة الى طلب مساعدة
ركن الدولة وعضدها وعدة الدولة ابي تغلب وعمران بن شاهين وغيرهم ، الى ارسال الكتب الى المعصاة
مستجيلا لهم . فكتب الى الفتكين كتابا ارسله مع الشريف الحسين بن موسى فلما تاخر جواب الفتكين
شفعه بكتاب ثان هو المقصود هنا يذكر فيه مقام الفتكين واهميته ويخبره بان له سيحله محفل
سبكتكين وسيكون متفردا بمنزلة كبيرة الى غير ذلك من العود ، ثم يسأله ان كان لديه شرط
آخر عما ذكر فليرسل من يتكلم عنه بذلك فلن يجد عنده خلافا في كل ما يعود بالصلاح والاستقامة
والسلامة .

من هنا يتبين لنا ان قيمة رسائل ابي اسحاق الصابي التاريخية كبيرة ، ان في دلالتها
على الاحداث والشخصيات او على النظم والرسوم الشائعة من التلقب والتكنية والخلع والتي تبدو في
كتب المعهود والخلع والتلقب .

(١) رسائل الصابي ، ص ٣٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٤ .

نماذج من نشر أبي اسحاق الصابي :

اخترنا لتحليل نماذج من نشر الصابي رسالتين : رسالة فتح بغداد وعهد التطفيل ، وذلك ان رسالة فتح بغداد تجمع الكثير من خصائص الرسالة " الصابية " ان من حيث المعاني او من حيث الأسلوب فتؤلف نموذجاً عالياً للرسالة عنده . اما رسالة عهد التطفيل فهي فريدة بين رسائل أبي اسحاق في موضوعها (١) واسلوبها وشخصياتها ولغتها ، اي انها تمثل جانباً آخر من فن الصابي النثري جديراً بالاهتمام خاصة انه ابدى فيه براعة الاديب الاجتماعي الساخر وقد عهدناه كاتب الديوان الرسمي الجدي .

" نسخة كتاب انشاء ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي
عند فتح بغداد وانتهزام الماليك عنها في جمادى الاولى
سنة اربع وستين وثلاثمائة بشرح الحال ووصف الخـــــــلاف
الى الامير ركن الدولة " (٢)

" اما بعد فان لله قضايا نافذة ، واقداراً ماضية ، وفيهن النعم ، السوابغ ، والنقم الدوام ،
فاما النعم فيؤتيها عباده اجمعين بادية ، ثم يجتذبها الشاكرين منهم عائدة ، واما النقم
فلا تنفع سلفاً وابتداءً ، لكن قصاصاً وجزاءً ، بعد اسهال وانظار ، وتحذير وانذار ، فاذا حلت بالقوم الظالمين

(١) للصابي رسالة هزلية ثانية كتبها عن الوزير ابن بنية القاضي أبي بكر بن قريعة يعزى
عن ثور جلس للمراءاة عليه تراقعاً وتحامقاً : الحصرى ، زهر الآداب ، ج ٤ ، ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١٧ - ٤٢ وانظر الحادثة في مسكوية ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ - ٣٤١ وابن
الجوزى ، المنتظم ، ج ٢ ، ص ٦٨ وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٦٣٤ وما بعدها .

فقد طوى في انائها صنع لآخرين معتبرين ، فلا يخلو اهل الطاعة من الثبات والاستبصار ، واهل المعصية من الارتداد ، ولا يزد جاره ، ومن هناك شهدت العقول الراجحة ، ودلت المناهج الواضحة ، على ان اولى ما فخر به الناطق فمه ، وافتتح به كلمه ، حمد الله الذى هو الجالب لرحمته ورضاه ، والذائد لسخطه وسطاء ، والذريعة الموصلة الى الخيرات ، والذخيرة النافعة في الملهمات ، والميراث المانع من لجأ اليه ، والمعقل العاصم من عول عليه ، والحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد العلي المجيد ، الذى لا يوصف الا بسلب الصفات ، ولا ينعت الا برفع النعوت ، الازلي بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ ابد محدود ، الدائم لا الى اجل معلوم محدود ، الفاعل لا عن مادة استمدها ، الصانع لا بآلة استعملها ، الذى لا تدركه الاعين بالحاظها ، ولا تحده الالسن بالفاظها ، ولا تخلقه العصور بمرورها ، ولا تهزله الدهور بمرورها ، ولا تضارعه الاجسام باقطارها ، ولا تجانسه الدهور باعراضها ، ولا تجارسه اقدام النظراء ، والاشكال ، ولا تزاحمه مساكب القرواء ، والامثال ، بل هو الصمد الذى لا كفو له ، والفن الذى لا توأم معه ، والحي الذى لا تخترمه المنون ، والقيوم الذى لا تشغله الشؤون ، والقدير الذى لا تؤوده المعضلات ، والخبير الذى لا تعيبه المشكلات ، خلق فاحسن واسم فائق ، ونطق ففصل ، وحكم فعدل .

وبرا البرايا صنوفا وضروريا وقسمها فرقا وشعوبا واختص منها الناس بالاسباب والانهمام وفضلهم على الجمادات والانعام ، واعد لمحسنهم جنة وثوابا ولمسيئهم نارا وعقابا ، وبعث اليهم رسلا منهم يهدونهم الى الصراط المستقيم والفوز العظيم ، ويعدلون بهم عن المسلك الذميم والمورد الوجيم ، فكان آخرهم في الدنيا عصرا ، واولهم يوم الدين ذكرا ، وارجحهم عند الله ميزانا ، وواضحهم حجة وبرهانا ، وابعدهم في الفضل غاية ، وابهرهم معجزة ، وآية ، محمد صلى الله عليه وسلم تسليما ، الذى اتخذ الله صفيا وحبيبا وارسله الى عباد ، بشيرا ونذيرا على حين ذهاب منهم مع الشيطان وصدوف عن الرحمن ،

وتقطع للارحام وسفك للدماء الحرام، واقتراف للججرائم واستحلال للمائم، انوفهم في المعاصي حمية ونفوسهم في غير ذات الله ابية، يدعون معه الشركاء، ويضيفون اليه الاكفاء، ويعبدون من دونه ما لا يسمع ولا يبصر ولا يخفي عنهم شيئاً، فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقذف في اسماعهم فضائل الايمان، ويقرأ على قلوبهم قوارع القرآن، ويدعوهم الى عبادة الله باللطف لما كان وحيداً، وبالعرف لما وجد انصاراً وجنوداً، لا يرى للكفر اثر الا طبعه ومجاهده، ولا رسماً الا ازاله وعفاه، ولا حجة موهمة الا كشفها ودحضها، ولا دعامة مرفوعة الا حطها ووضعها، حتى ضرب الحق بجبرانه، وصدع ببيانته، وسطع بمصباحه، ونصع باضاحه، واستنبت اللد هذه الامة من حضيض النار، وعلاها الى ذروة الصلحاء والابرار، واتصل جبلها بعد البتات، والتأم شملها بعد الشتات، واجتمعت بعد الفرقة، وتواعت بعد الفتنة، وفي ذلك يقول له ربه تباركت اسماءه، وجلت كبرياؤه: * ولو انقست ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم * (١). فصلى الله عليه وعلى آله الاخيار الطيبين، والابرار الطاهرين، صلاة زاكية نامية، راححة غادية، ومنجزة عدته، رافعة درجته، قاضية حقه، مؤدية فرضه، والحمد لله تالية بعد ماضيه، ولا حقة بعد سابقة، على ان احل مولانا الامير السيد ركن الدولة وسيدنا الملك الجليل عضد الدولة اطلال الله بقاءهما بالحمل الذي قصرت عنه الهمم العالية، ووقفت دونه الاقدام الساعية، وانضت على فضيلته العيون الرامقة، واقرت بمزيتة الافواه الناطقة، وجعل اشياءهما العالين المنصورين، واعداً هما السافلين المدحورين، غما

تتمتع عنق من لائق بهما الى شرف مرتبة يحتليها ، وغارب موقبة يمتا إليها ، الانال ذلك ، في
ظلمها ، وبلدته بطولهما ، واحرز بهما بمتابعتها ، وحاز بهما بمتابعتها ، ولا تمتد اخرى من عاند عنهما الى
ما اثره يترشح لادعائها ، ومفخرة يتوشع برادائها ، الا عاد تقديره محكوما ، وتديره منكوسا ، ورثانته
خائبا ، وحسابه كاذبا ، فهما ادام الله عزهما السيدان اللذان من تذل لهما عز ، ومن تعزز عليهما
ذل ، ومن دخل في ذمتهم سلم ونجسا ، ومن خرج عنهما علك وهوى ، موهبة من الله لهما ولنا فيهما ، وهو
بكرمهم يربها ، ويحفظها ، ويكلاها ، ويدعظها ، والحمد لله تعززا بثلاثة تبلغ الحق وتغضيه وتمتري المزيد وتقتضيه ،
على نعمه المطيفة بي ، وعوارفه الخاعة لي ، وآلائه الضافية علي ، واياديه الراحنة لدي ، ان
انشاني من دوحة مولانا الامير السيد ركن الدولة اطال الله بقاءه النجيبه ، ويراني من
اعوادها الصليبة ، ووقف بي على سيرها الحميدة وسلك بي طرائقها الرشيدة ، وفي حاية البهضة وحيطة
الحوزة وذب العداة وتمنع الطغاة ، وكبح الجاح ، وبعث الجانح ، وتوهم الزامح ، وتسد يد
الرائع والتادب بالآداب اللامعة بأولى الالباب التي من اشهرها عن مولانا ادام الله عزه وعنا ، واخلفها
به وبنا على اثره رب الايادي اذا اوليناها والعوارف اذا اسد بناها تصديا لان يقرها الله عندنا
باقرارنا اياها عند من تجرى له على ايدينا ، فمن ارتبطها بالشكر واستدامها بالنعير وصاحبها
بالمعروف والحسن ، وجاورها بالعفاف والتقوى ، ووطأت له اكنافها ، وادرت عليه اخلاقها ، واستكثته
في ذراها ، وصانته في حماها ، ومن نفرها بالانكار والجحد ، واوحشها بالكفران والغمطه ،
سلبه الله جمال سريالها ، وعرا من برد ظلالها ، وافضى به الى ندم لا ينفعه منه ان يقرع منه ولو
هتمها ، ولا ينفيه ان يعض ابهامه ولو كتمها ، وبالله نستعيد من مصارع البئيسي ،
ومواقع الخزي ، وايها نساء ان يتولانا بهيئته

ويتوخانا بكفايته ، ويوفقنا في مجاري الفاظنا ، وهو اجسرافكارنا ، لكل ما اقربنا
اليه ، واحفظنا لديه ، وواجب لنا عفوه ، وحجب عنا سطوه ، بمنه وقدرته ، وجوده
ورأفته .

وقد عرف مولانا الامير السيد ركن الدولة اطل الله بقاءه حال اللعين سيكتين فيما
كان مولاه الامير السعيد معز الدولة نصر الله وجهه ، ازاله اليه من النعم الجسم واهله له من
الرتب العظام وانه ادام الله تأييده ، وسيدنا الملك الجليل عضد الدولة ادام الله عزه ، وانني
بعد هما امرنا ذلك له وزدناه عليه واشركناه في دولة كان هو الرابع في اكلاتها ونحن المعنيون
بكلاتها ، وقد مناه على نظرائه وآثرناه على قرنائهم ، فأوطانا عقبه طوائف من الرجال وذلكنا
له اباؤهم وعطفنا عليه ازوارهم والتواؤمهم ، حتى صار واحد هذه العساكر في اتساع الحال وجوم الاموال
وعلو الشان وسمو السلطان ، وانه لم يزل رابضا لوثة يشبهها ومرصدا لخره يهتبلها ومتحليا بموالاته ومواقفه ،
قد لبسها على مداواة ومناقضة ، ومتجلبيا جلباب شاكر طائع ، قد افاضه على جثمان كافر خالع ،
ومفسدا لنيات غلماننا ، وساعيا لا يحاشهم منا ، ومضريا لهم على الاشتطاط في المطالبات المجحفة ، والتماس
المحاولات المسرفة وارتكاب الهفوات المنكرات ، واحداث الاحداث المحظورات ، ومقررا في نفوسهم اننا لهم
كارهون ، وعلى الايقاع بهم عازمون ، الى ان كمن ذلك في ضمايرهم ، وقدح في بصائرهم ، ونفوسهم بعد
السكون ، واخافهم بعد الركون ، فصاروا علينا الباء ، وصع حزا ، يستخدمهم باموالنا ، ويعدهم للعيث في
ديارنا وفنائنا ، ويراعى بهم فرصة النكاية في الدولة التي اليها ينتسب ويعتزى ، والقدرح فسي
النعمة التي منها يرتضع ويغتذي ، واستحق جميعهم ما كانوا يحذرون ، واستوجبوا ما كانوا يستشعرون ،
ونحن على هذه الهنات منه صابرون ، ولما يشيره من غيظ ومتعاض كاظمون ، لئلا لمد هبننا فسي

طاعة المحافظة ، وعصيان الحفيظة ، الا عند الضرورة الداعية ، والمعذرة الواضحة ، حيث
يكون الحلم شبيها بالضميم وحرى بالوهن ، فلما اذن شخصنا الى الاهواز لاستدرا ما تأخر من اموالها ،
واستقراء ما اختل من اعمالها ، والنظر في اشياء من مصالحها وتوفر عماراتها اقررنا ، فسي الخفرة ،
ورفها ، عن ضحاه السفرة ، واتمناه على ما غبنا عنه من خدمة السرير وتدبير الامور ونحن لا نطلبه
بلغ حيث بلغ في استيطاء المركب المردى ، واستمراء المطعم الموي ، ولا تجاوز حدود الدالة المحتملة ،
والصغائر المغترة ، ولم ندع ان استظهرنا بتجديد عهد بيننا وبينه احكامنا وعقد وكدنا ، فما هو الا ان
خلا ذرعه وامتد باعه ، حتى نزلت به نوازي البطنة وهدرت على يده شقائق الفتنة ، واستنفر من
العلماء من كان حاضرا معه ، واستجروا كاتب من كان غائبا عنه ، واستجاش بطوائف من العوام بسطهم
واهرجهم واباحهم وامرجهم ففاظت على يده وايد يهيم نفوس المسلمين ، وانتهمت محارم المستورين ، وسفكت
الدماء ، ونظم البلاء ، واتتنا الاخبار بقبيح ما ارتكب ، وعظيم ما احتجب ، وانه اكب على نهب المنازل
والمحال ، وتناول الامتعة والاموال ، فاشتمل على الخزائن واستنار من ودائعنا كل كامن ، واقلقني
هذا وامضني ، وازعجني وارمضني ، وكسبت الى الامير السيد ركن الدولة والامير الجليل عضد الدولة ،
اطال الله بقاءهما ، الكتب التي سبقت بالانها له ، والاستصراخ فيه والاستنجاد فسي
استدراكه وتلاقيه اذ كان الامر الذي ندبره منسوبا اليهما وكنا فيه تالين لهما ، وكانت الفروق مرتفعة
بيننا اهل البيت في النعم اذا تمت والملمات اذا المست .

فعمول الامير السيد ركن الدولة ، اطال الله بقاءه ، وفي دفع ما ناب وحدث ، وكشف ما اظلم وكرك
على الامير الجليل عضد الدولة ابي شجاع ، اطال الله بقاءه ، لما عرف من كرم ضرائفه وبين نقائمه
وكمال ادواته وتام آلاته ، وسداد آرائه ونجاح انحائه ، وانه الطود الرفيع والكهف المنيع ، والسيد الدافع
للعظيمة والقرم الذائد للمهزيمة ، ومن لم تردد له قط رايه ولا فاتته من مطالبه غاية ، ولا قاريسه
مبار ولا قارنه مجار ، وتنزاح الظلم بغمرته وتنفرج الكرب بتجدته ، وتنصاع الحوادث عن كل محلة يحلها وجنبه

يحميها ويكفلها ، فوردت كتبه ، ايداه الله ، بأنه مبادر لا يتوقف ومسارع لا يتلبث في جيوشه المعيمية
الموفورة وعساكره العزيزة المنصورة ، وسرت من الاهواز الى واسط وشثنا كتبنا الى اهل طاعة مولانا
الامير السيد ركن الدولة ، اطال الله بقاءه ومولاته والمتحقيقين به وبأيامه فاثالوا ، مذبذبين نحوى
وتوافوا معددين اليه ، وعرف اللعين سبكتكين ذلك ، فانحدر عن بغداد فيمن جمع من قضاة وقضاة والف
من حشده وعديده قد استألموا بأسلحتنا وركبوا خيلنا وتظاهرت عليهم كسانا وآلاتنا وخفتت على رؤوسهم
بنودنا وراياتنا ، وليس منه ولا منهم الا من نملك رقبته وولاه ، وكل مال وصل اليه وخير تظاهروا عليه ،
وظن الخائن ان تم له شيء من مأمول اباطيله ومرجوا اذاليه قبل ورود الامير الجليل عضد الدولة ،
اطال الله بقاءه ، ان كان عالما الا قبل له بقاءه ولا تثبت قدمه بازائه ، فلما صار يدبر العاقل عقلته
فيها جرائره ونقضت فيها مرائر وقصر الحين من خطوه وجثم الحنف على صدره ، وحجزت الغنية بينه وبين
الامنية ، واعترض صادق المقدور فيه دون كاذب التقدير منه ، واعتل اربعة ايام علة انت على نفسه
ووسدته في رسمه ، واصارته الى سيء اعماله والعقوبة المعدة لا مثاله ، وكان ذلك من الآثار
الدالة على حسن صنيع الله لمولانا الامير السيد ركن الدولة ولنا وقضائه بثبات دولتنا وتطاول ايامنا ،
وانه عز وجل لا ينصر عدوا يبغي علينا بالموء ولا يمهله ، ولا يسلم وليا يحفظنا بالغيب ولا يخذله ، اتعانا للنعم
التي البسناها ، والمنح التي سوغناها وتنبيهنا لنا على شكرها والاستدامة لها ، وتحذيرنا للناس
من تطرقها والطمع فيها ان كانوا جميعا لا يقدرون على ان يرجعوا ما اعطى ووهب ، ولا ان يقرؤا ما
انتزع وسلب ، ولم نشك في ان من بعده من تلك الطوائف يتأمل ويعتبر ويتعظ ، ويزدجره وانهم
يغيثون الى التغيي بظلمنا ويعودون الى اماكنهم من جملتنا فما راعنا الا انتصاب الفتكين الشرايين
مولى معز الدولة بموضعه ومنابه في شب النار عنه عن وصية وصاء بها ودلالة بالخروج فيها ، ورأى الغلمان انهم
قد قدموا اليها ذنوبا ربما اخذناهم بها وجزيناها عنها ، فاحجموا عن الطاعة التي تؤمن وتنجي
واستمروا على المعصية التي تودي على يقين من سوء مغبتها ، وبعت الجماعة اليها

فكانت الحرب بيننا وبينها في ظاهر الغربي من واسط ثمانية واربعين يوما لا يمضي يوم
منها الا عن نكاية تقضى عيونهم وغصة تشجي حلوقهم وقتل ما حق لهم ونكال نازل بهم ، الى ان تناهت
فشلمهم واستحكم وهلمهم واتاهم خير مولانا الملك الجليل عضد الدولة ، ادام الله عزه ، بتجاوز الاهواز
مغذا اليهم ومنصبا عليهم ولما رأوا ان منتهم ضعفت غني علموا ان لا قوام لهم به ، ايد ، الله ، وبى وايقنوا
ان البلاء سريح اليهم وان الدائرة تكون عليهم ، فانهزموا عن واسط ناكسين على الاقدام راجعين الى
مدينة السلام ، مقدرين للتحصن بمشاربها وانهارها والاعتصام بأوباشها واوغادها ، واقر الله عيني
بمورد سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، ايد ، الله ، الذى حل مني محل النيث عند اللزبة والغوث
عند الكربة ، فلما جمع الله شملنا ووصل حبلنا اتفق رأيه ورأى المتبع له على ان سار ، ايد ، الله ، من
واسط في الجانب الشرقي ، وسرت في الغربي قاصدين بغداد على تدان في السابرة وتحاذ فسبى
الساقية ، واتانا عند انتهائنا الى المدائن خبر اولئك الكافرين للنعم المستنزلين للنقم المارقين
عن عصمة الدين وذمته المستخفين بحقه وحرمة ، في بروزهم الى الشهر المعروف بديالسي ، وتقدمهم جسورا
عليه ما ظننتهم يجسرون على عبورها ولا يقدمون على تجاوزها ، وانهم جعلوا سوادهم من وراءه وعملوا على
المسير جريده للقاء سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، اطال الله بقاءه ، نجزا للحين المكتوب عليهم
والخذلان المجلوب اليهم ، فتوجه ، ايد ، الله ، نحوهم غداة يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى
معبى الجيش رابط الجأش ، اصيل الرأى ، والحزم ، ملتئم التدبير والعزم ورتب اخي ابا الفتح غلبي بين
محمد ، ادام الله عزه ، ومن برسمه من الجيش في ميمنته التي يقارنها اليمن والنجاح ، وعبد ، وسيد ، عمدة
الدولة ابا اسحق بن معز الدولة ، ادام الله عزه ، وخادمه الناصح ابا طاهر ايد ، الله ، ومن برسمهما
من الرجال في ميسرته التي يحاسبها اليسر والفلاح وصار هو ، اطال الله بقاءه ، وقواد ، وخاصته
وحاشيته ورجاله قلبا قابلا لما قابله عاكسا لما واجهه ، ولقيه اعداء الله ، وقد اطرحوه الوفاء

واقبلوا الحياء واتخذوا القحة شعارا ، وكاشفوا بها جهارا ، واعتمدوا معارضته ، ادام الله —

تمكينه ، في فضاء من الارض ظنوا ان سيد ركون فيه المأمول ، وينالون بالجولان في ارجائه السؤل ، ولم

يعلموا انه مع اتساع خرقه ، وانفساح طرقه ، ضيق عن عساكره المنصورة ، غاص بجيوشه الموفورة ،

فنشبت الحرب بين الميسرة وبينهم منذ الضحى الى العصر ، واكبوا باجمعهم عليها ، وصعدوا بجد هم

اليها ، لانها دلفت نحوهم مفارقه نظام مصافها ، مطيعة دواعي احقادها ، وافضى ذلك ان انجد ها

سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، اطل الله بقاءه ، بطائفة من رجاله شدت منها وزادت فسي

استظهارها وخيبت طمع الظالمين فيها ، ثم انه ، ادام الله عزه ، جلى النمة ، وكشف الكربة ، وحقق

الحملة ، ونصر الدولة ، وزحف اليهم زحفا ملائوسهم رجفا ، واحشاهم رعبا ، فأجفلوا اجفال النعام ،

واقشعوا اقشاع الضمام ، فأوغل الاولياء المتصورون في طلبهم يستلحسون ويقتلون ويفرون ويقدون حتى

الجاؤهم الى عبور تلك الجسرر وصادفوا عليها بقية وافرة منهم وخلفا كثيرا من سفلة العوام المضافين

لهم ، فقتلوا وغرقوا وملك عليهم ما وراء ديايى ، واحرق ونهب جميع سوادهم وسفنتهم وآلاتهم ،

وحجز الليل عن استقصاء الطالب ، والاتباع لمن هرب ، فنزل سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، اطل

الله بقاءه ، الموضع الذى كانوا نزولا فيه ، وطوى القوم بغداد دليا ، ولم يلبثوا فيها الا فواقا آخذين

على سمت الموصل على اختلاف من اهوائهم ، وانتكث من لوائهم ، قد ادرعوا بالحار والشنار ، واشتملوا

على المذلة والصغار ، وانجز الله فيهم وعد ، ونصر عليهم جند ، واداقهم وبال المخيبة فيما اجترموا ،

وسوء العاقبة فيما اكتسبوا ، ودخل سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، ادام الله عزه ، بغداد وتجاوزناها ،

وعسكرنا من الجسانبيين في اعلاها ، وعطفنا على سفها الرعية بأحاليها ، وعمناهم بعفونا ، وصفحناسا

عن الدعار شفيح للابرار ، واشفاق من دخول البرى مع السقيم ، واختلاط البر بالاثيم لانهم لما وجدناهم

قد خالفوا موعظة الله اذ يقول : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (١) لم نخالف نحن اديه في قوله : ﴿ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ (٢) .

وكتب كتابي هذا ، ادام الله تأييد مولانا الامير السيد ، عن تمام الفتح ، وكمال المنح ، وسكون الدماء ، وشمول النعماء ، وشفاء الصدر ، وادراك التوتر ، واخذ الثار المنيم ، والظفر بشيطان الفتنة الرجيم ، وتلك عاقبة من ظلم وكفر ، وطغى واستكبر ونفى وتجبى ، والله يقول فيهم وفي امثالهم : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (٣) . فالحمد لله العزيز القهار المتعالي الجبار ، القاضي للحق بالادلة ، وللباطل بالاذالة ، المتكفل باظهار اوليائه ، وكتب اعدائه ، الذي جعل مولانا الامير السيد ركن الدولة ، اطال الله بقاءه ، محفوظا فيا حضره وغاب عنه ، محوطا فيا شهد ، وبعد منه ، محتوما له بنصرة الراية وعلو الكلمة ، وعز الجانب ، وذل الجانب ، فهنا ، الله بهذا الصنع العظيم قدره ، الجليل خطره ، العامة بركته ، الشاملة عائدته ، ولا اخلاء من اجراء مثله للمسلمين على يده ، وايدى اولاده ، ايدى الله ببقائه ، وعبيده ، وانصاره ، وجنوده ، وضاعف له المواهب مضاعفة يوفى مستقبلها على الماضي ، ويقصر سابقها عن التالي ، بعنه وطوله وقوته وحوله ، ولو تعاظمت ، اطال الله بقاء مولانا ، شكر انعام سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، ادام الله علوه ، والاعتداد بمننه ، لتعاظمت معجزا وطلبت معوزا ، لانه ذلل الصعب بعد ايامه ، وهون الخطب بعد اعيائه ، ونظم

(١) سورة الانفال (٨) : ٢٥ .

(٢) سورة الانعام (٦) : ١٦٤ .

(٣) سورة النحل (١٦) : ١١٢ .

الامر بعد اختلاله، وشد الازر بعد انحلاله، وبذل النفس النفيسة التي لو امكن عوض من غيرها
لتعذر فكيف منها مع شرفها، وكيف لا يفعل ذلك من خصه الله بكرم ضرائفه، و يمن نقائمه، وسداد
آرائه، ويمن انحائه، وانفراده عن المساجلين، وامتناعه على المطاولين، فما تحل قدمه
في موضع الا كان على النوائب محرما، ومن المحاذير محصنا، وللفضل الباهر معدنا، وللخير الطاهر موطنا،
فأحسن الله جزاءه عن ملك صانعه ووقاه، وحريم حاطه وحماه، واخ لهيف انجده، وحر صريح استعبده،
ومد علينا اجمعين خصوصا، وعلى عباد المؤمنين عموما، ظل مولانا الامير السيد ركن الدولة الذي
لانزال بخير ما كان رواقه مدودا، وسرادقه مضروبا، ووهب لنا المزيد في بقاءه وعلائه، واعاذنا من سوء
يلم بساحته وفنائته، انه على ذلك قدير، وبه جدير، واقول في شكر اخي ابي الفتح علي بن محمد، ادام
الله عزه، انه لو حسن ان النية، وامتنع من الافاضة فيه مع بلائه الجميل، وفعله الجليل، واجتهاده الشديد،
وتدبيره السديد، لألغيت له لانه انما ذنب عن دولة هي له، وقضى في نصرتها واجبا لمولانا الامير السيد
ركن الدولة، اطل الله بقاءه عليه، ولكني لا استجيز ترك الصدق عن تجرده، وغناؤه ونصحه، وفائده، وبلوغه
اقصى مبالغ المحامى، وانتهائه الى ابعد غايات المرامي، واخذه من هذا الفتح بارفر السهم، واستحقاقه
من الاحقاد عليه اجزل القسم، فان رأى مولانا الامير السيد ركن الدولة اطل الله بقاءه، ان يعرف
ذلك له ويعتقده فيه وينعم بالامر بمكانتي ببوقع صنع الله في النعمة التي به بدأت، وعليه سبغت
والناثبة التي عنده انحرفت، وببده انصرفت، ويعتمدني في شكر سيدنا الملك الجليل عضد الدولة،
ادام الله تأييده، بمعونة تتم تقصيري عن حده، وتلافي وقوفي دون فرضه فعل ان شاء الله .

رسالة فتح بغداد، كما يبدو فيها، كتبت عن عز الدولة بختيار الى ركن الدولة
يصف له الانتصار على الاتراك، وكان بختيار الذي ضعف عن ملك الامور والسيطرة على الوضع، قد

استجده في الحرب، كما استنجد بخيره لاستعادة ملكه الذي كاد يفقده بسبب حياقاته—
وسياسته الخاطئة • فانجده ركن الدولة بأن طلب من عضد الدولة السير اليه على رأس جيش،
كما ارسل وزيره ابا الفتح ابن العميد على رأس جيش آخر • فكتبته هذه الرسالة الى ركن الدولة
تعلمه بما استنجد من امر الانتصار والفتح •

يستنتج من سياق الرسالة ومن معرفة الاحداث التاريخية المرافقة، ان الصابي

عمل على ابراز اربعة امور رئيسية جعلها اهدافا للرسالة :

١ — الهدف الاول : اظهار بختيار بصورة الحاكم المهتم بأمور المملكة واظهار بطلان خروج سبكتكين
عليه • وقد عمل الصابي على ابراز هذا الهدف بعدة وسائل :

أ — البد • بذكر انعام بختيار وابيه معز الدولة وعنه ركن الدولة وعضدها كذلك، على سبكتكين وتفضيله
على نظرائه • " حتى صار واحد هذه العساكر في اتساع الحال وجموم الاموال وعلو الشأن وسمو
السلطان " • ثم يقارن ذلك بحال سبكتكين الذي كان ينتظر فرصة ليثور ويستولي على الامور، ثم
يحملة مسؤولية ثورة الغلمان هذه فهو الذي افسد نواياهم على الدولة •

ب — تصوير بختيار بصورة الحكيم ' الصابر الذي يحاول حل الامور بالسلم ولا يلجأ للقوة الا عند
الضرورة الداعية " حيث يكون الحلم شبيها بالوهن " •

ج — ستر السبب الحقيقي الذي ادى ببختيار الى الاهواز وتعليل ترك سبكتكين في الحضرة بأنه
ترفيه له • ثم تصوير سبكتكين بصورة المستغل للامور بخياب سيد •

د — وصف الجيش الذي اعتمد سبكتكين بأنه من الغلمان وطوائف العوام، وانه قتل المسلمين وانتهك
المحارم وسفك الدماء، ونهب المنازل والمحلات، فهم كفار وابطاش واوغاد وسبكتكين لعين خائن •

هـ - التركيز على ان سبكتكين يحارب بسلاح بختيار وانعامه وامواله .

٢ - الهدف الثاني للرسالة : تبين اهمية النجدة التي ارسلها ركن الدولة :

أ - طلب النجدة من ركن الدولة وعضدها سببه ان بختيار يعتبر ان الامر منسوب لهما وانه تال لهما فيه .

ب - الاضافة بذكر اوصاف عضد الدولة ووصف عساكره : فهو صاحب الرأي السديد والقوة والثبات ،

يرافقه الانتصار حيثما حل بعساكره " العميمة الموفورة " و " العزيزة المنصورة " .

ج - ظن الاعداء بأنهم سينتصرون قبل ورود الامير عضد الدولة ، فلما علموا بقدومه علموا ان الهزيمة

ستكون من نصيبهم .

د - وصول عضد الدولة كان مهما جدا لبختيار حيث حل مني محل الغيث عند اللزومة والغوث عند

الكرية ،

هـ - وصف اقدام عضد الدولة وجيوشه في المعركة ، يقابله اندجار الاعداء وانهزامهم .

و - الاضافة في شكر عضد الدولة وذكر مناقبه وصفاته والدعاء له وكذلك الدعاء لركن الدولة وشكر

وزيره ابي الفتح ابن العميد .

٣ - الهدف الثالث : تبين ان الحق الى جانب بختيار وعضد الدولة في المعركة بربط الانتصار

بأقدار الله ، فبعد وصف من بختيار وعضد الدولة على سبكتكين ووصف عضد الدولة بأفضل الصفات ،

وسبكتكين بأرذلها يبين الصابي ان الانتصار انما تم بقدره الله الذي ينصر الحق :

أ - يتحدث عن موت سبكتكين فيقول : " وكان ذلك من الآثار الدالة على حسن صنيع الله لمولانا

الامير السيد ركن الدولة ولنا وقضائه بثبات د ولتنا وتطاؤل ايامنا ، وانه عز وجل لا ينصر عدوا يينغينا

بالسوء ولا يمهله ولا يسلم ولنا يحفظنا بالغيب ولا يخذله ،

ب - ويتحدث عن انهزام الاثراك فيقول : " وتلك عاقبة من ظلم وكفر ، وطغى واستكبر ، ونفس وتجبى ، والله يقول فيهم وفي امثالهم ، لا وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " (النحل ١١٢) .

ج - حمد الله على الفتح : " فالحمد لله العزيز القهار المتعالي الجبار ، القاضي للحق بالانالة ، وللباطل بالانالة ، المتكفل باظهار اوليائه ، وكبت اعدائه ، " كما انه يحمد الله على ان احل الامراء ركن الدولة وعضداً بالمحل الذي تقصر عنه اليهم " وجعل اشياهما العالين المنصورين ، واعداءهما السافلين المدحوريين ، "

٤ - الهدف الرابع : ذكر اهمية الفتح والتحول الذي جرى بعده في بغداد :

أ - ذكر استنفار سبكتكين للخلمان واستجاشتهم وكيف بسطهم واهرجهم وامرجهم ، فانتهكت على ايديهم المحارم وفاضت نفوس المسلمين وسفكت الدماء ونهبت المنازل والمحال .

ب - دخول عضد الدولة الى بغداد كان مخالفاً فصيحاً عن الرعية كي لا يدخل البرى مع المجرم ، فكانت الرعية ساكنة والنعمة شاملة .

وهكذا استطاع الصابي الوصول الى اهدافه من الرسالة متجاوزاً الدقة في سرد الحوادث . وسنحاول مقارنة احداث الرسالة بما جاء في تجارب الامم لمسكويه الذي كان حينذاك مع جيش ابي الفتح ابن العميد (١) يسجل الاحداث عن كتب ، لنلاحظ كيف يطوع الصابي الوقائع التاريخية ليرضي سياسة امرائه .

١ — ذكر الصابي ان شخص يختار الى الاهواز كان " لاستدرا ما تأخر من اموالها واستقرا ما
اختلف من اعمالها " . فيما يقول مسكويه ان الضائقة المالية التي اصابته بختيار وتعذر استخراج
الاموال من اى وجه ، جعل بختيار ووزيره ابن بقيه يخرجان الى الاهواز ليستقصيا علس واليهما
ويصرفاه عن البلد ويظالياه بالمال وينكباه (١) .

٢ — ذكر ابو اسحاق ان بختيار اقر سبكتكين بالحضرة ترفيها له عن متاع السفر ، مؤتمنا اياه على ما غاب
عنه من خدمة السرير وتدبير الامور ، فيما جاء في تجارب الامم ان بختيار ووزيره كانا ينويان ان
يفرقا الاتراك عن سبكتكين ويحتالا عليه من البعد للاستراحة منه وتحصيل امواله واقطاعه (٢) .
٣ — يفهم من رسالة الصابي ان سبكتكين كان المهادى بالعداوة والثورة ومن مسكويه ان بختيار كان
الاول في التدبير على سبكتكين .

٤ — يقول الصابي في الرسالة : ان " الحرب بيننا وبينها (جماعة الاتراك) في ظاهر النهرى من
واسط ثمانية واربعين يوما لا يمضي يوم منها الا عن نكاية تقذى عيونهم وغصة تشجي حلوهم وقتل
ما حق لهم ونكال نازل بهم الى ان تناهى فشلهم واستحكم وهلم واتاهم خبر مولانا الملك الجليل
عضد الدولة . وفي تجارب الامم ان الحرب اتصلت نحو خمسين يوما بواسط وكان الاستظهار فيهم
للاتراك " واشرف الديلم على الانكسار والمهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار
الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بختيار الحصار واحد في به وصار في مثل كفه الحابل واحاط به

(١) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .

الاتراك من كل وجه (١) . فأرسل الى ابي تغلب يطلب نجدة والى عضد الدولة يعلمه ان مملكته قد خرجت من يده وكتب اليه في بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الى امير المؤمنين علي :

فان كنت مأكولا فكُن خير آكل والا فأدركني ولما امزق (٢) .

اما الاحداث التي لا تتناقض مع اهداف الكاتب فقد ذكرها ابو اسحاق وهي التي تشكل الفائدة التاريخية من الرسالة ومن هذه الاحداث : شخوص يختار الى الاهواز وقيام الفتنة وفاة سبكتكين وانتصاب الفتكين مكانه ، تعويل ركن الدولة على عضد الدولة في الدفاع ، استمرار الحرب بين الاتراك والذيلم بواسط ثمانية واربعين يوما ، مسير بختيار وعضد الدولة وتدريبهم في المعركة وتاريخ المعركة ، تنظيم جيوش عضد الدولة

هذه اهم موضوعات الرسالة والاحداث التاريخية فيها ، اما اذا تناولنا الرسالة من حيث التركيب فنجد انها مؤلفة من ثلاث وحدات : المقدمة والعرض والموضوع والخاتمة . المقدمة طريفة تتضمن ثلاث تحميدات :

١ - التحميدة الاولى : يتحدث فيها عن صفات الله تعالى فيستطرد في موضوعه ويطيل القول ، ودنا اية اشارة الى موضوع الرسالة . ولهذا السبب رأى ابن الاثير ان هذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها ولكنها تصلح ان توضع في صدر مصنف من مصنفات اصول الدين (٣) . قول ابن الاثير هذا يدل على اعترافه بقيمتها من حيث المعنى والاسلوب . وهي بالفعل يمكن ان تعتبر قطعة فنية جميلة حيث انها قد تناولت موضوعا من ادق الموضوعات واجلها وهو صفات الله

(١) مسكويه ، تحارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

(٢) المصدر نفسه . والبيت من قصيدة اصمعية مشهورة للمزق العبدى .

(٣) ابن الاثير ، النبل السائر ، ص ٢٦٣ . (المطبعة البهية) .

سبحانه ، فالنصر قد استوعب تسعة أسماء من اسمائه الحسنی ثم انه نجح في استعمال الاساليب الجمالية كالسجع والتوازن الموسيقي . اما بالنسبة لعدم مناسبة التحميد لموضوع الكتاب فهذا صحيح وان كان يقلل من البعد بين الموضوعين وجود تحميدتين اخريين كانت كل منهما تمهد للموضوع وتدل عليه .

٢ - التحميد الثانية : تبدأ بقوله : " والحمد لله تالية بعد ماضية ، ولاحقة بعد سابقة " . . .

يحمد فيها الله على المحل الذي احل فيه ركن الدولة وعرضا ، وعلى انه نصر اولياءها ودحر اعداءها ، ويشير الى موضوع الفتح اشارة مباشرة حين يقول ان من يعتصم بطاعة هذين السيدين ينجو وينال مآوله ومن عاتدهما لقي وبالا وخاب ظنه .

٣ - التحميد الثالثة : اولها " والحمد لله تعزiza بثلاثة تبليغ الحق وتفضيه ، . . . " ويتابع الحمد على نعم الله له انه ينتسب الى ركن الدولة ويتبعه في مسالكه الرشيدة في " حماية البيضة وحياطة الحوزة وذب العداة وقمع الطغاة " . ويتحدث عن النعمة التي ان رطبها الانسان بالشكر والمعروف رتب في حماها وان كفرها وغمطها سلبه الله اياها ويختمها بالدعاء . وفي هذا اشارة واضحة الى الفتح .

الترابط بين اجزاء الرسالة واضح في حديثه في المقدمة عن النعم التي تأتي والنقم التي تحل جزاء بالظالمين وكافرى النعمة . وهذه الفكرة هي المستنتجة من احداث الرسالة ومن المعركة والتي يحاول تأكيدها بذكر الآية القرآنية * وضرب الله مثلا قريضة كانت آمنة . . .) فالخط العام للرسالة انطلاقا من المقدمة هو ذكر صفات الله وحكمته وعدله والقاعدة التي يعامل الناس عليها من نعمة او نقمة ثم محاولة ربط الوقائع بهذه الحكم لتأكيد كونها مرتبطة بإرادة الله ووفق مشيئته . ولا يبرز ذلك بصورة افضل واعمق جعل

الرسالة تسير في اتجاهين متوازيين :

١ - الاتجاه الاول هو حالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ - الاتجاه الثاني هو حالة عضد الدولة .

فالشخصيتان موازية احدهما للآخرى مع فروقات هي نبوة محمد وكونه
آخر الرسل في الدنيا اما في الاعمال في الحياة الدنيا فالشخصيتان تتوازيان في محاربتهم
للظلم والكفر ودعوتهم الى الافاء للدين والركون في كنف الاسلام . فالجماعة التي ظهر
فيها محمد توازي الجماعة التي خرجت على الدولة والتي حاربها عضد الدولة : جماعة كافرة
ابتعدت عن الدين واشركت بالله واستحلت المحارم وسفكت الدماء .

الاسلوب الذي اتبعه الرسول في تبليغ رسالته ورد الجماعة الى الحق مواز للاسلوب
الذي اتبعه بختيار ، ثم عضد الدولة . الرسول كان يدعوهم باللطف والا الى ان رأى ضرورة استخدام
العنف ، ووجد حوله الانصار والجنود ، بختيار كان ينتظر من سبكتين الافاء الى الحق والطاعة
ولم يحاول استعمال القوة الا عندما اخفق في استمالتهم وصار اللطف ضعفا فجاء عضد الدولة ، رمز
القوة والحق في الرسالة .

الرسول عليه السلام كان قويا على الكفار حيث انه محي كل اثر للكفر فارتفع الحسق
وانتصر ، وصينت الامة بانتقالها من حضيض النار ومن الفرقة والغرض والمذاب الى الالتظام والبر والامن
والدعة . كذلك عضد الدولة كان قويا على الكفار المارقين ففضى على آثارتهم ونشر الامن
والسلام حيث حل بعد الفتح .

الله الذي نصر محمدا والف بين القلوب بعد الشتات، هو الذي نصر عضد الدولة
واظهر حقه . الا ان الفارق بين الحاليين، بالاضافة الى نبوة محمد والتي يقابلها
الى حد ما الدعم والنصرة الالهيين لعضد الدولة، هو ان عمل الرسول كان مع جماعة مشركة
كافرة اساسا . اما في حالة عضد الدولة فالجماعة الكافرة وسبكتكين على رأسها كانت مطيعة راضية
هانئة ، فنفضت عنها ثوب الطاعة واظهرت العصيان والكفر .

عرض الصابي للخطيين المتوازيين والذي التزم فيه البدء بحالة الرسول واتباعها بالثانية،
والاختصار في الاولى والتفصيل في الثانية كان الهدف منه :

١ - جعل حالة الرسول عليه السلام قاعدة او اساسا نضعه في قرارة نفوسنا حتى اذا جاءت حالة
عضد الدولة تبادر الى اذهاننا التشابه بين الحالتين ما يعطي ابعادا اخلاقية ودينية للفتح .
٢ - ابراز الفتح بصورة العمل الديني الواجب شرعا ، وتكون شخصية البطل فيه ، شخصية المجاهد
من اجل نصره الدين وطمس الكفر . فالصابي قد اعطى الصبغة الدينية لكل ما في الرسالة للوقائع
والشخصيات . فالتاثير اصبح كافرا لعينا وجماعته خارجة عن الدين ، فيأتي الفتح في ذروة الاحداث عملا
واجبا شرعا لاعادة الحق الى نصابه والقضاء على الكفر والفساد ونشر العدل والرحمة . ويأتي بطلمه
بصورة المدافع عن الدين الصالح في سبيل الله .

٣ - الاختصار في الحالة الاولى والتفصيل في الثانية متعلق بهدف الكاتب من الرسالة ، فلا
ضرورة للتفصيل في الحالة الاولى ، لان الفرد (او الجماعة) الذي سيقرا عليه الكتاب مسلم مقبـر
بهذه الوقائع ، مؤمن بها . فعمله هنا تذكيري فقط . اما في ذكر الفتح فربما هنالك اختلاف
حوله ، بين من يؤيده ومن يناهضه فيصبح التفصيل ضروريا والصبغة الدينية وسيلة اقناعية ، اذ لا
خلاف حول هذا الاساس الديني .

هذا هو خط الرسالة بشكل عام ، أما الخاتمة فتتضمن حمد الله على النصر

وشكر ركن الدولة على النجدة التي أرسلها وشكر عضد الدولة وأبي الفتح .

من أهم ما يبرز من معاني الرسالة : شخصية عضد الدولة ووصف المعركة .

عضد الدولة :

يهيي الكاتب ويمهد لبروز عضد الدولة البطل في أرض المعركة وتحكمه بالاحداث ،

لذا نجد لدينا مراحل في بروز شخصية عضد الدولة يمكن ان تجعل ثلاثا :

١ - عضد الدولة قبل المعركة : « تبرز براعة الكاتب في ادخال شخصية عضد الدولة على

المساحة ففي حين تكون المحنة في اوجها وجماعة سبكتين من الرعاع والعموم تسفك الدماء ، ويختار في قلق

وانزعاج شديدين ، يستنجد بركن الدولة وعضدها . وهنا تظهر صورة عضد الدولة لأول مرة في

الرسالة حيث يصف منه " كرم ضرائبه ، وبعن نقائمه ، وكمال ادواته وتنام آلاته وانه الطود الرفيع

والكهف المنيع ، . . . الخ . يرافق ظهور عضد الدولة هنا انتقال من الفوضى والقلق والخوف والقتل

والفساد الى ذكر القوة والثبات والنصر وانفراج الكرب والاحداث .

الاشارة الثانية الى عضد الدولة تبين تأثيره في الاحداث بمجرد ذكره . فهو من

القوة والبأس حتى ان ذكره يصبح مخيفا مخيبا امل الأمم بالانتصار عليه . فسبكتين الذي جمع

الجيموش حول له ظن انه قد يحقق امنياته قبل ورود عضد الدولة " اذ كان عالما الا قبل له بلفائه

ولا تثبت قدمه بازائه »

الاشارة الثالثة اليه قبل دخوله الفعلي في سياق احداث الرسالة تؤكد الفكرة

السابقة ولكن هنا مع الفتيين خليفة سبكتين ، والذي استمر في الحرب مع بختيار مدة ثمانية واربعين

يوما حتى اذا ضعفوا اتاهم خبر قدوم عضد الدولة متجاوزا الاهواز " مغذا اليهم ومنصبا عليهم "

" علموا ان لا قوام لهم به وبني وايقنوا ان البلاء سريع اليهم وان الدائرة تكون عليهم . . . " فانهزموا

عن واسط عائد بين الى بغداد . فكان ان انهزمهم بعد معركة مع بختيار لم يحققوا النصر فيها

ثم بعد سماعهم بمرور عضد الدولة .

يظهر الكاتب في عضد الدولة هنا صفات البطل المسارع الى الحرب ، فقد وصفه وهو

في الطريق الى المعركة بانه " فبادر لا يتوقف ومسارع لا يتلبث " فالبطل مسارع الى ارض المعركة

التي تنتظر قدومه للبت فيها والفصل .

٢ - عضد الدولة في المعركة :

يفصل الكاتب في ذكر المعركة التي خاضها عضد الدولة والتي لم تستمر فترة طويلة ،

في حين انه اوجز في ذكر المعركة التي جرت قبل وصوله مع انها استمرت فترة ثمانية واربعين

يوما ، فيذكر ترتيب عضد الدولة للجيش واتفاقه مع بختيار على خطة في المعركة ثم يذكر خطة

الاعداء . هذا التفصيل يقصد منه عرض احداث الفتح الذي هو موضوع الرسالة وابرار شخصية البطل عضد

الدولة . ويلاحظ ان الصابي يركز على شخصية البطل الخير فيما عودنا في رسائل اخرى على تصوير

شخصية المنافق او العاصي .

يذكر الصابي من صفات عضد الدولة ما يجعله يشل القائد العسكري والسياسي ،

فالقيادة تستلزم القوة والرأى الاصيل والحزم والعزم والتدبير وهذا ما يجمعه عضد الدولة فسي

شخصه . وكما تدرج ابو اسحاق في ادخال شخصيته الى الساحة ، يتدرج هنا ايضا في ذكر صفاته

وتأثيره في المعركة .

— مجرد وصول البطل وقبل قيامه بأي فعل كان مؤثرا حيث انه " محل الغيث عند اللزومة والغوث عند الكربة " . وهذا طبيعي ان يحدث بعد الانتظار الطويل لوصوله والازمة التي يعيشها بختيار حين انهزم الاعداء الى بغداد وتحصنوا بها جامعين حولهم عوامها واواشيها مما زادهم قوة .

— قبل بدء الحرب الفعلية بدأ عضد الدولة بالتدبير فاصبح بختيار متبعاً له " اتفق رأيه ورأى المتبع له " وبذلك تنتقل القيادة كلياً اليه . فهو يحارب بالرأى قبل القوة وها هو يعد الخطة لدخول بغداد ويعمل على ترتيب جيشه وتنظيمه .

— يظهر عمل عضد الدولة العسكري في النهاية حيث انجد الميسرة التي فارقت نزالها ودلفت نحو الاعداء لتسفي غليلها . وهكذا نلاحظ التدرج في ذكر اعمال عضد الدولة الى ان يظهر فعلياً في ارض المعركة حيث " جلى الغمة ، وكشف الكربة ، وحقق الحلة ، ونصر الدولة ، وزحف اليهم زحفاً مألوفهم رجفاً ، واحشأهم رعباً ، فاجفلوا اجفال النعام ، واقشعوا اقشاع الغمام ، " فعمله الفعلي في المعركة لم يظهر الا مرتبطاً بالانتصار الكبير وهزيمة الاعداء .

٣ — عضد الدولة بعد الفتح :

القوي في المعركة صفوح حلیم بعدها ، حيث انه عفا عن جميع الرعية ، كي لا يظلم بريثاً بمعاقبه العصاة ، ولا يبرا بمحاربة الظالمين ولأنه " لا تنزر وزارة وزر اخرى " (الانعام ١٦٤) .

اذا شخصية عضد الدولة هي شخصية البطل الحقيقي الخير ، التي قلما نجدها في رسائل الصابي حيث انه يركز في رسائله اجمالاً على شرح حال العاصي . وقد عرض الصابي لملاح هذه الشخصية ببراعة فكانت العنصر الذي يخفف من رتابة الاحداث فيها ويبعث الحيوية ، حيث ان ظهوره

في الرسالة كان يرافقه دائما تحول في سير الاحداث يبلغ احيانا حد
الانقلاب.

المعركة :

جاء وصف الصابي للمعركة التي دارت بين عضد الدولة واتباعه من جهة

وسبكتكين والأتراك من جهة أخرى، منتظم لسياق، واقفي التفاصيل، ملحي المشاهد .

يبدأ الصابي بذكر موقع كل من الفريقين المتقاتلين، ثم زمان المعركة، وكيفية تنظيم

عضد الدولة لجيشه، والمكان الذي دارت فيه المعارك، ويصف حال الاعداء من القحة وقلعة الحياء،

وجيوش عضد الدولة الموفورة والعميمة المنصورة .

تبدأ المعركة بشكل تدريجي، حيث تنشب بين ميسرة جيش عضد الدولة والاعداء

الذين اجتمعوا عليها حتى كادوا ينتصرون، في هذه النقطة الحرجة، يتدخل عضد الدولة

لانجاد هذه الفرقة، وهنا تبدأ المشاهد الملحمية والصورة الحقيقية للمعارك : " زحف اليهم

زحفاً ، ملأ قلوبهم رجفاً ، واحشاهم رعباً ، فاجفلوا اجفال النعام ، واقشعوا اقشاع النعام " ثم يبدأ الاولياء

باتباعهم وتقتيلهم " يستلحمون ويقتلون ويفرون ويقدون " ولم يغد الاعداء هربهم لان الاولياء

تبعوهم واغرقوا وقتلوا منهم وهربوا آلاتهم .

بعد هذه الحركية في افعال الحرب من الزحف والرعب والقتل والخرق والهرب ...

نصل الى هدوء ما بعد العاصفة بدخول عضد الدولة بغداد وصفحه عن الرعيصة " وعطفنا على

سفهاء الرعيصة يا حلامنا ، وعمناهم بعفونا ، وصفحنا عن الدعار شفيح للابرار واشفاق من دخول البريء

مع السقيم واختلاط البر بالاثيم ... " .

مميزات أسلوبية

١ - براءة في الوصف : تبدو في الرسالة براءة الصابي في الوصف ، وذلك من خلال بعض الفقرات الوصفية من ذلك :

أ - وصف جماعة سبكتكين ، حيث افلح في تصويرهم كمجموعة من الرعاع تشير الفوضى والفتن . " واستجاف بطوائف من العوام بسطهم واهرجهم واباحهم وامرجهم ، ففاظت على يد ، وايد يهم نفوس المسلمين ، وانتهكت محارم المستورين ، وسفكت الدماء ، وعظم البلاء " .

ب - وصف عضد الدولة على انه بطل قوى تحل المشكلات بمجيئه : " وانه الطود الرفيع ، والكهف المنيع ، والسيد الدافع للعظيمة ، والقرم الذائد للهزيمة ، ومن لم تردد له قط رايه ولا فاتته من مطالبه غاية . . . تنزاح الظلم بخرته ، وتنفرج المكرب بنجدته ، . . . فتوجه . . . معبى الجيش رابط الجأش ، اصيل الراى والحزم ، ملتئم التدبير والعزم . . . " .

ج - وصف الجيوش : " جيوشه العميمة الموفورة وعساكره العزيزة المنصورة ، . . . فانثالوا منذرين نحوى وتوافوا معددين السى . . . " .

د - وصف انهزام الاعداء : " وزحف عليهم زحفا ملاقلوبهم رجفا ، وحشاهم رعبا ، فأجفلوا اجفال النعام واقشعوا اقشاع النعام . . . " .

٢ - اعتماد على التناقضات كعنصر اساسي في هيكل افكاره وابرازها : ففي تفاصيل الرسالة وعباراتها نجد الكثير من الطباقات والمقابلات لقوله : " من تذلل لهما عزه ومن تعزز عليهما ذل ، ومن دخل في ذمتها سلم ونجا ، ومن خرج عنهما هلك وهوى " . لا يقدرون على ان يرتجوا ما

اعطى وذهب، ولا ان يقرروا ما انتزع وسلب . . . " فأحجموا عن الطاعة التي تؤمن وتنجي واستمروا على المعصية التي توبق وتردى " . . . اما في المعنى العام فلدينا الكثير من التناقضات التي حاول ابرازها احيانا بتعاقب الاشياء المتناقضة كالنعم والنقم في المقدمة، اشياء الدولة واعدائها، فضل الامراء على سبكتكين وجحد، جيش سبكتكين يثير البلا بين الناس، وجيوش الامراء تعامل بالصغ والعفو، عضد الدولة وجيشه مقابل سبكتكين وجيشه، جيش منظم مقابل اوباش واوغاد . كل هذه التناقضات تتيح او تهيج لوجود معركة ينتصر فيها احد الطرفين، اما القارى فلا بد له من اتخاذ موقف اذا لا يمكن الجمع بين متناقضين : الجماعة الفاتحة المنتصرة والجماعة المنكسرة .

٣ - السجع ظاهرة عامة في الرسالة : ونجد من ذلك الاسجاع المتوازنة وتلك التي تطول فيها الفاصلة الاولى وتقصر الثانية، والتوازن هو الاعم الاغلب . من السجع المتوازن قوله : " لانه ذلل الصعب بعد ابائه، وهون الخطب بعد اعيائه، ونظم الامر بعد اختلاله، وشد الازر بعد انحلاله " . وقوله : " لما عرف الله من كرم ضرائبه ويسم نقائمه وكمال ادواته وتما آلاته، وسداد آرائه، ونجاح انحاء، وانسه الطود الرفيع والكهف المنيع، والسيد الدافع للخطيئة والقوم الفدائد للهزيمة، ومن لم تردد له قط راية، ولا فاتته من مطالبه غاية، ولا قاربه مبار ولا تارنه مجار، تنزاح الظلم بغرته وتنفرج الكرب بنجدته، . . . " وغيرها كثير . اما الاسجاع التي تطول فيها العبارة الاولى وتقصر الثانية فمنها قوله : " وبالله نستعين من مصارع البني، ومواقع الخزي، واياء نسأل ان يتولانا بهدايته، ويتوخانا بكفايته، ويوفقنا في مجارى الفاظنا، وهو اجس افكارنا " . لكل ما قرنا اليه، واحظنا لديه، . . .

- ٤ - المجاز : من خصائص أسلوب الصابي التي تضيي الجمال على معانيه والفاظه ، غنى كلامه بالمجازات وبالتالي بالصور والخيال . شواهد ذلك كثيرة في الرسالة منها قوله : " انـــــــ لم يزل رابضاً لوثمة يثبها " وقوله " متجلببا جلباب شاكرو طاشع ، قد افاضه على جثمان كافر خالـع ، " قصر الحين من خطوه ، وجثم الحثف على صدره
- ٥ - استعمال تعبيرات والفاظ غريبة . كقوله : " غارب مرقبة يمتطيها " والمرقبة هي الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب (١) . وقد احسن هنا في تشبيه المرقبة بالبعير لارتفاعها عما حولها ، ووجود الرجل عليها كوجود الراكب على ظهر بعيره . ومن تعبيراته والفاظه الغريبة قوله : " استيطا المركب المردى ، واستمرا المطعم الموي " وقوله " نزت به نوازي البطننة ، وهدرت على يسده شقاشق (٢) الفتنة " . وقوله : " عقلته فيها جرائره ، ونقضت فيها مرائره (٣) " وقوله : " حل مني محل النير عند اللزبة (٤) ، والخوث عند الكربة " وغير ذلك .
- ٦ - استعمال بعض الآيات القرآنية .

- (١) اللسان مادة : رقب . والغارب هو ما بين السنام والعنق . وقيل : غارب كل شيء اعلاه ، والغارب : اعلى مقدم السنام . المصدر نفسه مادة : غرب .
- (٢) الشقاشق : لهاة البعير ولا تكون الا للعربي من الابل ، وقيل : هو شيء كالرمة يخرجها البعير من فيه اذا هاج ، والجمع : الشقاشق . وفي خطبة للامام علي رضي الله عنه : " تلك شقاشق هدرت ثم قرت " . اللسان مادة : شقق .
- (٢) المير من الحبال ما لطف وطل واشتد قتله ، والجمع المرائر . اللسان مادة : مرر .
- (٣) اللزبة : الشدة وجمعها لزب . اللسان مادة : لزب .

عهد التطفيل (١)

" هذا ما عهد علي بن احمد المعروف بعليكا الى علي بن عرس الموصلي ، حين استخلفه على احياء سنته (٢) ، واستنابيه في حفظ رسومه ، من التطفل (٣) على اهل مدينته السلام وما يتصل بها من ارباضها واكفافها (٤) ، ويجرى معها من سوادها واظرافها ، لما توسمه فيه من قلة الحياء ، وشدة اللقا ، وكثرة اللقم ، وجودة الهضم ، ورآه اهلا له من سد مكانه ، والرفاهية (٥) المهمة التي فطن لها ، والرقاعة (٦) المطرحة التي اهتدى اليها ، والنعم العائدة على لايسبها بملان الطعوم ، وخصب (٧) الجنوم ، وردا (٨) على من اتسمت حاله (٩) ،

(١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ — ١٦١ والبغدادى ، التطفيل ، ص ١١٢ — ١١٧ او القلقشندى ، صباح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٦٠ — ٣٦٥ . وقد جاء في المصدرين الاولين انه " كان ممن

نقباء الامير بختيار ، المعروف بعز الدولة ، رجل يسمى عليكا ، وكان كثير التطفيل على جميع اهل المعسكر من الحجاب والقواد والكتاب ، ووجوه الخاصة ، والفلان . وشاع له ذلك عند بختيار ، فرسم له ان يستخلف على التطفيل خليفة ، وتقدم الى ابي اسحاق ، ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب ، ان يكتب بذلك عهدا ، لابن عرس الموصلي ، عن عليكا ، وان يجعله خليفته على التطفيل ، فكتب له على طريق الهزل عهدا . . . " (نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ و التطفيل ، ص ١١٢) . يقول القلقشندى في حديثه فسي الهزليات " وربما اعتنت الملوك ببعضه ، فاقترحت على كتابها انشاء شيء من الامور الهزلية ، فيحتاجون الى الاتيان بها وفق غرض ذلك الملك . كما وقع لمعين الدولة (٩) بن بويه الديلمي في اقتراحه على ابي اسحاق الصابي كتابه عهد التطفل ، لرجل كان عنده اسمه عليكا ، ينسب الى التطفل ، ويسخر منه السلطان بسبب ذلك . " (صباح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٦٠) .

(٢) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ و التطفيل ، ص ١١٢ : " سنته " .

(٣) في المصدرين السابقين : " التطفيل " .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " وما يتصل بها من اكفافها " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " في هذه الرفاهية المهمة " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " الرقاعة " .

(٧) في المصدرين نفسيهما : " مناعم " .

(٨) في المصدرين نفسيهما : " متوردا " .

(٩) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ و التطفيل ، ص ١١٢ : " من اتسمت مواد ماله وتفرغت شعب حاله " .

واقدره الله على غرائب المأكولات، واظفرو ببدايح الطيبات، آخذاً من ذلك كله (١)
 بنصيب الشريك المناصف، وضارباً فيه بسهم الخليط المفاوض، ومستعملاً للمدخل
 اللطيف عليه، والمتولج العجيب اليه، والاسباب التي ستشرح في مواضعها من
 أوامر (٢) هذا الكتاب، وتستوفي (٣) الدلالة على ما فيها من رشاد وصواب،
 وبالله التوفيق وعليه التعويل، وهو حسناً ونعم الوكيل .

" امره بتقوى الله هي التي الجانب العزيز، والحرز الحريز، والركن المنيع، والطود
 الرفيع، والعصمة الكاثبة، والجنة الواقية، والزاد النافع يوم المعاد، وحيث الامثلة
 من الأزواج (٤) " وان يستشعر خيفته في سره وجهه، ويراقبه (٥) في قوله وفعله،
 ويجعل رضا مطلبه، وثوابه مكسبه (٦)، والقربة (٧) منه أربه، والزلفى لديه غرضه،
 ولا يخالفه في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة (٨) ندم، (ولا يقدم على ما كره وانكره،
 ولا يتقاعس عما احب وامر) (٩) .

(١) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ و التطفيل، ص ١١٢ : " من كل ذلك " .

(٢) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ و التطفيل، ص ١١٣ : " من هذا الكتاب " .

(٣) في التطفيل، ص ١١٣ : " نستوفي " .

(٤) نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ : " حيث لا ينفع الا مثله من الأزواج " وفي التطفيل، ص ١١٣ : حين

لا تنفع حيلة الا مثله من الأزواج " .

(٥) في المصدرين السابقين : " مراقبته " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " ملبسه " .

(٧) في المصدرين نفسيهما : " القرب " .

(٨) في التطفيل، ص ١١٣ : لعاقبته " .

(٩) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة و التطفيل .

" وامره ان يتأدب بأدبه فيما يأتي ويذر ، ويقف على حدوده فيما اباح وحذر ، فانه اذا كان ذلك هجيرا ، ود يدنه ، وجرى عليه منها جه وسننه ، تكفل الله له بالنجاح والصلاح ، وافضى به الى الرشاد والفلاح ، وواظفوه بكل بنية ، وواصله الى كل مشية ، ولم يخلصه من الفوز بما يرصد ، والحوز بما يقصد ، بذاك وعد ، وكذاك يفعل ، وما توفيقنا الا بالله ، ولا مرجعنا الا اليه " (١) .

" وامره ان يتأمل اسم " التطفيل " ومعناه ، ويعرف منزاه ومنحاه ، ويتصفح تصفح الباحث عن حظه بمحمود (٢) ، غير القائل فيه بتعليمه وتقليده ، فان كثيرا من الناس قد استقبحه ممن فعله ، وكرهه لمن استعمله ، ونسبه فيه الى الشره والنهم ، (وحمله منه على التفة والقرم) (٣) ، فمنهم من غلط في استدلاله ، فأساء في مقالته ، ومنهم من شح على ماله ، قد افسع عنه باحتياله ، وكل (٤) الفريقين مذموم ، (وجميعهما ملوم ، لا يتعلقان بعذر واضح) (٥) ولا يعتريان (٦) من لباس فاضح ، ومنهم الطائفة التي ترى فيها (٧) شركة العنان : فهي تند له (٨) اذا كان لها ، وتند لى عليه اذا كان لغيرها ، وترى ان المنية في المطعم للهاجم الآكل ، وفي المشرب للوارد الواغل ، وهي احق بالحرية ، واخلى بالخيرية ،

(١) هذه الفقرة غير موجودة في نشوار المحاضرة والتطفيل .

(٢) في المصدرين السابقين : " بمجهود " .

(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .

(٤) في التطفيل ، ص ١١٣ : " وكـلا " .

(٥) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتطفيل .

(٦) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٦ و التطفيل ، ص ١١٣ : " يعتريان " .

(٧) في المصدرين السابقين : " التي لا ترى شركة " .

(٨) في المصدرين نفسيهما : " تبذله " .

واحرى بالمرءة، واولى بالفتوة وقد عرفت بالتطفيل، ولا عار فيه عند ذوي التحصيل،
لانه مشتق من الطفل وهو وقت المساء، واولان العشاء، فلما كثر استعمال (١) في صدر النهار
وعجزه، واوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر : قمران (٢) واحد هما القمر، ولا يبي بكر وعمر :
العمران واحد هما عمر، (وقد سبق امامنا " بيان " رحمة الله عليه، الى هذا الامر سبقا اوجب له
خلود الذكر، فهو باق بقاء الدهر، ومتجدد في كل عصر، وما نعرف احدا نال من الدنيا حظا من حظوظها
فبقي له منه اثر يخلفه، وصيت يحتد به الا هو وحده، فبيان، رضوان الله عليه، يذكر
بتطفيله كما تذكر الملوك بسيرها، فمن بلغ الى نهايته، وجرى الى غايته سعد بنضارة عيشه
في يومه، ونباهة ذكره في غده، جعلنا الله جميعا من السابقين الى مداء، والمذكورين كذكراء (٣) .
" وامره ان يعتمد (٤) موائد الكبراء والعظماء بنزاياء (٥)، فسط الامراء والوزراء بسرايا،
فانه يظفر منها بالنسيمة الباردة، ويصل عليها الى الغريسة النادرة، واذا استقرأها وجد فيها
من طرائف الالوان، الملذة للسان، ويداع الطعوم، السائغة في الحلقوم، ما لا يجد عند غيرهم، ولا

(١) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ : " وان كثر استعماله . . . " .

(٢) في المصدر نفسه، ص ١٥٧ : " الفمران " .

(٣) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة، والتطفيل .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " يعتمد " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " بقرايا " .

يناله الا لديهم ، (لحذق صناعتهم ، وجودة ادواتهم ، وانزياح علمهم وكثرة ذات بينهم ،

والله يوفر من ذلك حظنا ، ويسد د نحوه لحظنا ، ويوضح عليه دليلنا ، ويسهل اليه سبيلنا) (١) .

وامره ان يتتبع ما يعرض لموسرى التجار ، ومجهزى الامصار ، من وكيرة الدار ، والعرس

والاعذار ، فانهم يوسعون على نفوسهم (٢) في النوائب بحسب تضيقهم عليها في الراتب ، وربما

صبروا على تطفيل المتطفلين ، وانغصوا على تهجم الواغليين ، ليتحدثوا بذلك في محافلهم الرذالة ،

ويعدوه في مكارم اخلاقهم النذلة ، ويقول قائلهم الباج باتساع طعامه ، المباهي بكثرة

حطامه : انني كنت ارى الوجوه الغريسة فاطعمها ، والايدى المستدة فاملؤها . وهذه طائفة

لم ترد بما فعلته الكرم والسعة ، وانما ارادت المن والسعة ، فاذا اهتدى الارباب الى

طرائقها وصل الى بنيتها من اعلان قضيتها ، وفاز براد ، من ذخائر حسنتها ، ان شاء الله (٣) .

وامره ان يصادق قهارمة الدور ومدبريها (٤) ، ويرافق وكلاء المطابخ وحماليتها ، فانهم

يملكون من اصحابهم ازمة مطاعمهم ومشاربهم ، ويضعونها بحيث يجبون من اهل موداتهم

ومعارفهم ، واذا عدت هذه الطائفة احدا من الناس خليلا (٥) من خلانها ، واتخذته اذا من

اخوانها ، سعد بمرافقتها (٦) ، ووصل الى محابه من جهاتها ، وسأربه في جنباتها .

(١) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتطفيل .

(٢) في المصدرين نفيهما : " انفسهم " .

(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .

(٤) في التطفيل ، ص ١١٤ : " مدبريها " .

(٥) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٧ و التطفيل ، ص ١١٤ : " احدا من الناس من خلانها " .

(٦) في المصدرين السابقين : " سعد بمرافقتها ، وحظي بمصادقتها " .

وامره ان يتعهد اسواق المسوقين، ومواسم المتابعين، فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها،
واطعمة قد احتشد مشتريها، اتبعها الى المقصد بها، وشيئها الى المنزل الحاوي (١)
لها، واستعلم ميقات الدعوة، ومن يحضرها من اهل النسيان والمرأة (٢)، فانه لا يخلو فيهم من
عارف به يراعى وقت مصيرة اليها ليتبعه، فيمكن له ليصحبه ويدخل معه، وان خلا من ذلك
اختلط بزمسرا الداخلين، (وعصب الراحليين) (٣)، فما هو الا ان يتجاوز عتب الابواب، ويخرج من
سلطان الربابين والحجاب، حتى يحصل حصولا (٤)، قل ما حصل عليه (٥) احد قبله فانصرف
عنه الا ضليعا (٦) من الطعام، بريقا (٧) من الدمام، (ان شاء الله) (٨).
وامره ان ينصب الارصاد على منازل المغنيات والمغنين، ومواطن الابليات والمختئين،
فاذا اتاه خبر لجمع (٩) يضمهم، وما ديسه تعهم، ضرب اليها اعتاق (١٠) ابله، وانضى نحوها

-
- (١) في نشوار المحاضرة والتطفيل، في المنازل الحاوية *
(٢) في المصدرين نفسيهما : " اهل اليسار والمرأة " *
(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين *
(٤) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٨ والتطفيل، ص ١١٥ : " محصلا " *
(٥) في التطفيل، ص ١١٥ : " حصله احد " *
(٦) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٨ والتطفيل، ص ١١٥ : " الا ضلعا من الطعام " *
(٧) في المصدرين نفسيهما : " نزيفا " *
(٨) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين *
(٩) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٨ والتطفيل، ص ١١٥ : " لمجمع " *
(١٠) في المصدرين نفسيهما : " اعقاب " *

مطاييا خيليه، وحمل عليها حملة الحوت الملتقم، والشعبان الملتهم، والليث الهاصر، والعقاب الكاسر، (ان شاء الله) (١) .

* وامره ان يتجنب مجامع العوام القليين، ومحافل الرعاع المفترين (٢)، وان لا ينقل اليها قدما، ولا يعقر (٣) لماكلها فما، ولا يلقي في عتب دورها كيساناء، ولا يعد الرجل منها انسانا، فانها عصابة يجتمع لها ضيق النفوس والاحلام، وقلعة الاحكام (٤) والاموال، وفي التطفيل عليهما اجحاف بها يوسم (٥)، وازراء (٦) بمرودة المتطفل (٧) (يوصم) (٨)، والتجنب لها اخرى (٩)، والازرار عنها احجى (١٠) (ان شاء الله) (١١) .

* وامره ان يحزر الخوان اذا وضع، والطعام اذا نقل، حتى يعرف بالحدس (١٢) والتقريب، والبحث والتنقيب، عدد الالوان في الكثرة والقلّة، وافتنانها في الطيب واللذة، فيقدر لنفسه ان يشبع مع آخرها، وينتهي منها عند انتهائها، ولا يفوتسه النصيب من كثيرها وقليلها، ولا يخطئ الحظ

(١) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتطفيل .

(٢) في التطفيل، ص ١١٥ : "المعترين" .

(٣) في نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ١٥٨ والتطفيل، ص ١١٥ : "بغضى" .

(٤) في المصدرين نفسيهما : "ضيق النفوس والاحوال، وقلّة الاحلام والاموال" .

(٥) في المصدرين نفسيهما : "يؤثم" .

(٦) في المصدرين نفسيهما : "وازراء" .

(٧) في المصدرين نفسيهما : "المتطفل" .

(٨) الكلمة غير موجودة في المصدرين السابقين .

(٩) في المصدرين نفسيهما : "اجدى" .

(١٠) في المصدرين نفسيهما : "ارجى" .

(١١) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .

(١٢) في التطفيل، ص ١١٥ : "بالحديث" .

من دقيقتها وجليلتها • ومتى احس قلة الطعام • وعجزه عن الاقوام (١) • امعن في اوله
امعان الكيس في سعته (٢) • الرشيد في امره • العالي • لبطنه • من كل حار وبارد • (وخبث
وطيب) (٣) • فانه اذا فعل ذلك سلم من عواقب الاغمار الذين يكونون تطرفا (٤) • ويقلون
تأديبا • ويظنون ان المادة تبلخهم في آخر امرهم • وتنتهي بهم الى غاية سعيهم (٥) • فلا
يلبثون ان يخلجوا خجلة الواثق (٦) • وينقلبوا بحسرة الخائب • اغاذنا الله من مثل مقامهم •
وعصمنا من شقاء جدودهم • (ان شاء الله) (٧) •

" وامره ان يروض نفسه • ويخالط حسه • ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا • ويطوي دونه
كشحا • ويستحسن الصمم عن الفحشاء (٨) • وان اتته اللكزة في خلقه • صبر عليها فسي
الوصول الى حقه • وان وقعت به الصفة في رأسه • صبر عليها لموقع اضراسه (٩) • وان
لقيه لاق (١٠) • بالخفاء • قابله باللطف والصفا • اذ كان قد ولج الابواب • وخالط الاسباب •
وجلس مع الخصور • واستنجز بالجمهور • فلا بد ان يلقياء المنكر لامره • ويمر به المستغرب لوجهه •

-
- (١) في نشوار المحاضرة ج ٧ ص ١٥٩ والتطويل ص ١١٥ : " الاقدام " •
(٢) في المصدرين نفسيهما : " سعيه " •
(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين •
(٤) في المصدرين نفسيهما : " تطرفا " •
(٥) في نشوار المحاضرة ج ٧ ص ١٥٩ والتطويل ص ١١٦ : " سعيهم " •
(٦) في المصدرين نفسيهما : " الواثق " •
(٧) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين •
(٨) في المصدرين نفسيهما : " ويستحسن الصمم عن الفحشاء وبه مخرج اللفظة الخشياء " •
(٩) في المصدرين نفسيهما : " اغضى عنها لمراتع اضراسه " •
(١٠) في المصدرين نفسيهما : " ملاق " •

فان كان حرا حيا امسك وتذمم، وان كان فظا غليظا همهم وتكلم، وتجنب (١) عند ذلك
 المخاشنة، واستعمل (٢) مع المخاطب له الملاينة، ليبرد (٣) غيظه، ويقل (٤) حده، ويكف
 غريسه، ويأمن شغبه، ثم اذا طال المدى تكررت الالفاظ عليه فعرفه وانست النفوس بسسه
 فألفه ونال من المحال (٥) المجتمع عليها، منال من حشم وسئل الذهاب اليها (٦) .
 " ولقد بلغنا ان رجلا من (٧) العصاية كان ذافهم ودراية، وعقل وحصافة،
 طُفِّل على وليمة، لرجل ذي حال عظيمة، فرمقته فيها من القوم العيون، وصرفت (٨) بهم فيه
 الظنون، فقال له قائل منهم : من تكون اعزك الله ؟ فقال : انا اول من دعي الى هذا الحق، قيل
 له : وكيف ذاك ونحن لا نعرفك ؟ فقال : اذا رأيت صاحب الدار عرفني وعرفته بنفسي . فجيء
 به (اليه) (٩)، فلما رآه بدأه (١٠) بأن قال له : هل قلت لطباخك (١١) : ان يصنع
 طعامك زائدا على عدد الحاضرين، ومقدار حاجة المدعوين، قال : نعم قال : فانما تلك الزيادة لسي

(١) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٩ والتطفيل، ص ١١٦ : " وان يجتنب " .

(٢) في المصدرين نفسيهما : " ويستعمل " .

(٣) في التطفيل، ص ١١٦ : " ليبرد " .

(٤) في المصدر نفسه : " يقل " .

(٥) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٩ و التطفيل، ص ١١٦ : " ونال في الحال المجتمع عليها " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " منال من حشم وسئل العنا اليها " .

(٧) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٩ : " من هذه العصاية " .

(٨) في المصدر نفسه و التطفيل، ص ١١٦ : " تصرف " .

(٩) الكلمة غير موجودة في المصدرين السابقين .

(١٠) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٦٠ و التطفيل، ص ١١٦ : " بدأه بالسلام بأن قال له . . . " .

(١١) في المصدرين السابقين ————— " هل قلت، ايدك الله، لطباخك . . . " .

ولامثالي ، وسها يستظهر (١) لمن جرى مجراى ، وهي رزق (لنا) (٢) انزله الله على يدك (بك) (٣) فقال له : كرامة ورحبا (٤) ، واهلا وقربا ، والله لاجلست الا مع عليه الناس روجوه الجلسة ، اذ اطرفت (٥) في قولك ، وتفتنت في فعلك . فليكن ذلك الرجل اماما يقتدى به (٦) ، (ويقتفى طريقه) (٧) ، ان شاء الله .

" وامره بأن يكثر من تعاهد الجوارشئات المنفذة للسدد (٨) ، المقوية للمعد ، المشهية للطعام ، المسهلة لسبل (٩) الانهضام ، فانها عماد امره ، وسها انتظامه والتثامه ، اذ كانت (١٠) تعين على عمل الدعوتين ، وتنهض في اليوم الواحد بالاكنتين ، وهو يتناولهما كذا (١١) كالكتاب الذي يقط اقسامه ، والجندى الذي يحقل حسامه ، والصانع الذي يحدد آتله (١٢) والمهاجر

-
- (١) في نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠ و التطفيل ص ١١٧ : " تستظهر " .
 (٢) الكلمة غير موجودة في المصدرين السابقين .
 (٣) في المصدرين نفسيهما : " انزله الله على يدك وسببه من جهتك ، فقال له . . . " .
 (٤) في المصدرين نفسيهما : " مرحبا بك " .
 (٥) في المصدرين نفسيهما : اذ قد ظرفت " .
 (٦) في المصدرين نفسيهما : " فليكن ذلك الرجل لنا اماما يقتدى به وحاذيا نحذو على مثاله " . وفي التطفيل : " حاذيا نحذو على مثاله " .
 (٧) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .
 (٨) في نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠ : " المنفذة للسدة " وفي التطفيل ص ١١٧ : " المنفذة للسدة المقوية للمعد " .
 (٩) في المصدرين السابقين : " لسبيل " .
 (١٠) في المصدرين نفسيهما : " لانها تعين " .
 (١١) في المصدرين نفسيهما : " وهو في تناولها كالكتاب " .
 (١٢) في المصدرين نفسيهما : " يحدد آتله " .

الذى يملح ادواته ، (ان شاء الله) (١) .

* هذا عهد عليك بن احمد (٢) اليك ، وحجته لك وعليك (٣) ، لم يالك فيه (٤)

ارشادا وتوقيفا (٥) ، وتهذيا وتشقيفا ، وبعثا (٦) وتبصيرا ، وحقا وتذكيرا ، فكن يا امرء

مؤتمرا ، وبزواجره مزدجرا ، ولربسوءه متبعا ، وحفظها مضطلعا (٧) ، ان شاء الله

تعالى (٨) ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . *

(١) ما بين قوسين غير موجود في نحوار المحاضرة والتفصيل .
(٢) في المصدرين نفسيهما : " هذا عهد علي بن احمد ، المعروف بعليك اليك " . واليك غير موجودة في التفصيل .

(٣) في المصدرين نفسيهما : " وحجته عليك " .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " لم يالك في ذلك " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " توقيفا " .

(٦) في نحوار المحاضرة ج ٧ ص ١٦١ : " نعتا " .

(٧) في التفصيل ص ١١٢ : " مطالعا " .

(٨) الكلمة غير موجودة في نحوار المحاضرة والتفصيل .

"عهد التطفيل" رسالة من النوع الهزلي ، يعطي فيها الصابي نموذجاً عن جماعة
وضيعة في المجتمع تعرف بالطفيليين (١) ، كثر وجودهم في القرن الرابع الهجري ، ومن طبيعة
الفن الهزلي انه يصور الجانب المضحك من الفعل القبيح للادنيا ، من الناس (٢) ، فيصور
هؤلاء الناس ادنى ما هم في الواقع (٣) ، فالعنصر الاول من عناصر الاضحاك او السخرية
في الرسالة ، هو التركيز على هذا الجانب الناقص في فئة من الناس غير قليلة اتخذت من هذا النقص
او العيب الذي هو التطفيل حرفة لها اصول وقواعد ، ولها ائمة معترف لهم بالسبق الى هذا
"الفضل" . وكان الطفيلي الشهير عليك يخاف على مهنته من ان تزول اصولها وطرقها فيكتب
عهداً الى طفيلي آخر لخلاقته وحفظ سننه ورسمه ، ففكرة العهد الى من يستخلف
في التطفل على مدينة السلام وما يحيط بها هي فكرة هزلية مضحكة .

الاطار الذي وضعت فيه الرسالة اطار جدى ، وهو مطابق للمنهج المتبع في كتابة العهد
من البدء بذكر الاسباب التي دعت الى العهد لأحد الاشخاص لصفات جيدة فيه تؤهله للمنصب
المعتمد ، ثم التوصية بتقوى الله والتأديب بادابيه . وهنا نجد ان السخرية في مقدمة الرسالة
تعتمد على المفارقات ، فالذى دفع بعليكا الى العهد لابن عرس هو ما توسمه فيه من اخلاق

(١) "طفيل الاعراس ، وطفيل العرائس : رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن عطفان كان يأتي
الولاة دون ان يدعى اليها ، وكان يقول : وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى علي
منها شيء ، ثم سمي كل راثن طفيلياً وصرفوا منه فعلاً فقال : طفّل ، ورجل طفيل : يدخل مع القوم
فيأكل من طعامهم من غير ان يدعى ، ابن السكيت ، في قولهم فلان طفيلي للذى يدخل الوليمة والمآدب
ولم يدع اليها ، وقد تطفّل ، وهو منسوب الى طفيل المذكور . والعرب تسمي الطفيلي الراثن والوارث . قال
الاصمعي : هو الذى يدخل على القوم من غير ان يدعوه ، مأخوذ من الطفل وهو اقبال الليل الى النهار
بظلمته" . عن اللسان ، مادة : طفل .

(٢) ارسطوطاليس ، فن الشعر (ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣) ص ١٢ .

(٣) فن الشعر ، ص ٩ .

حميدة • لكن الاخلاق الحميدة التي تؤهل المتطفل للخلافة هي " قلعة الحياء " ومدة اللقاة ، وكثرة اللقم ، وجودة الهضم ، " واتباع الحيل الغريبة اللطيفة للوصول الى الموائد الغنية والشهية •

ثم ان كاتب العهد السى الحاكم او القاضي ، يذكره بالله تعالى ويأمره بتقواه والتأديب بآدابسه وهذا طبيعي بل ضرورى للحاكم (او الوالى او القاضي) الذى تناط به مهمة رعاية امور الناس والحفاظ على حقوقهم ، وفقا لاحكام الشريعة • ومن هنا تأتي المفارقة في العهد الهزلي حيث انه يجب على المتطفل تقوى الله ومراقبته وخشيته والسعي في طلب رضاه وثوابه ، والوقوف على حدوده ، لان هذه الطريق تكفل للمتطفل النجاح والصلاح •

والصابي جعل من " التطفيل " فنا او مهنة امتهنت بسبب عدم فهم الناس لها على حقيقتها ولاعتادهم في ذلك التقليد والتسليم بما يقال دون البحث والتنقيب عن معنى هذا الاسم • فتسبب المتطفل خطأ الى الشر والنهم ، او الى البخل ، ما يجعله يلجأ الى الاحتياى للعيش مع المحافظة على امواله • لكن المسألة ليست بذاك ، انها نوع من الشركة تعطي الحريسة للشركاء بحيث يبذل المتطفل اذا كان المطعم له ويأتي عليه اذا كان لغيره • والفضيلة في الطعام " للهاجم الأكل " وفي الشراب " للوارد الواغل " • هذا النوع من الشركة عرف بالتطفيل ، والامام فيه الذى وضع لهذا الفن قواعد ، واصوله هو بيان (١) الذى اتى في هذا الامر ما خلده على الزمان ، وجعله اماما يقتدى •

(١) ذكره الخطيب البغدادي في كتاب التطفيل باسم بنان ، والاختلاف في الاسم عائد ربما الى التصحيف . يقول البغدادي : " كان بنان من أشهر الطفيليين ذكرا وابعدهم صيتا ، وله في التطفيل وحدوده ورسومه وسننه ما ليس لغيره واخباره كثيرة • • • اختلف في اسم بنان فقيل عبد الله بن عثمان ، وقيل علي بن محمد ولقبه بنان ويكنى ابا الحسن وكان اصله مروزيًا وهو بغدادى الدار ، وقد روى اخبارا استندها عن جماعة من اهل العلم " (المصدر نفسه ص ٨٤) ثم يقول : " وكان بنان حدود سنة ثلاثمائة • " (المصدر نفسه ص ٨٨) وللمزيد من التفصيل راجع اخباره فى المصدر نفسه ص ٨٣ - ١١١ •

إذا عنصر الهزل أو الاضحاك يعتمد بالدرجة الأولى على المفارقة في صيغة
الحمد ، حيث تنقلب المقاييس فيصبح التطفل المرئول من الناس نوعا من الصناعة لها فنون
وطرائق وأصول جديدة بأن تحترم وتقدر وتتبع . كما أن لها أماما تذكر أخبار تطفيله كما تذكر سير
الملوك ، ويصبح التأديب في تناول الطعام من عمل الأغمار الذين يستعان بالله منهم ، والأغصاء عن
اللذة أو الصفة أو الفحشاء مرغوبا في سبيل الحصول على وجبة شهية ، واعتقاد ما يقوي
المعدة على الهضم ويسهل عليها سبيله ، ضروري في تأهيل الطفيلي لاغتنام دعوتين في اليوم الواحد .
أما الأزراء الذي يمكن أن يوسم به المتطفل فهو اتيان مواعيد العوام لضيق نفوسها وقلقة أموالها . أما
ذكر الله دائما في الرسالة ، واستعمال عبارات من أمثال : أن شاء الله ، وبالله التوفيق ، وعليه التعويل ، وما
شابه وأمر الطفيلي بتقوى الله إنما القصد منها المفارقة والاضحاك ، إذ أنه ليس لدى الطفيلي أي
فعل مما يمكن أن ينسب إلى التأديب بآداب الله .

وقد تعتمد السخرية بعض العبارات أيضا كشبيهه حضور الطفيلي إلى الموائد
بالنزوات والسمرايا : " وأمره أن يحتشد مواعيد الكبراء والعظماء بخزاياء ، وسط الأمراء والوزراء
بسراريه " وأما استخباره عن الحفلات التي يحضرها المنون والمننيات فقد عبر عنه بنصب
الإرصاد : وأمره أن ينصب الإرصاد على منازل المننيات والمنيين

ومن عباراته الساخرة أيضا تصويره قصد الطفيلي للمآدب : " ضرب إليها أعناق إبليس ، وأفضى
نحوها مظايا خيلسه . . . " وكأنه في طريقه إلى رحلة بعيدة وغنيمة كبيرة تشد لها الرحال .
ثم وصف حملته على الطعام " حملة الحوت الملتقم ، والشعبان الملتهم ، والليث الهامر ، والعقاب الكاسر " .
ووصف صبره على الإهانة بالقول " وإن انته اللكزة في حلقه ، صبر عليها في الوصول إلى حقه ، وإن

وقعت به الصفة على رأسه، صبر عليها لموقع اضراسه، وان لقيه لاق بالجفاء، قابله باللفظ والصفاء * وفي الحديث حول بيان امام الطفيليين يقول انه يذكر بتفيليه كما تذكر الملوك بسيرها * وغير ذلك *

الاسلوب :

يطالعنا الصابي في هذه الرسالة بأسلوب مختلف عن كتابته، فنرى ان الفاظه وتعاييره الفخمة الجزلة التي عهدناها في رسائله الديوانية، تختفي ليظهر لنا اسلوب يقرب من اسلوب القصص الشعبي من حيث البساطة والسهولة مع المحافظة على السجع عامسة * والجديد في الاسلوب ايضا ادخال الحوار الى النص من خلال سرده لحادثتين : الاولى، حديث التاجر الموسر في احد المحافل حول كرمه واتماع طعامه، والثانية : طريقة دخول متطفل الى احدى العاد وحيلته اللطيفة في الجلوس مع علية القوم والظفر بالطعام اللذيذ * والثنى الفعلي الذي نجده في هذا العهد هو في تصوير الشخصيات والوقائع *

الشخصيات :

في الرسالة شخصية رئيسة هي شخصية البطل النذل : الطفيلسي * ومن الشخصيات الثانوية التي بدت في النص : التاجر الباهي بسعة طعامه، وكلاء المطابخ وحماليهما، العوام المقلين، المتأدبين في المآكل، صاحب الدار الحي والآخر الغطاء صاحب الدار الذي اكرم الطفيلي * لدى تحليلنا لشخصية البطل نلاحظ ان الصابي لا يصور طفيليا معينا وانما يعطي المثل الاعلى للطفيلسي * وهذا ما يعنيه تصوير الناس في المهزلة ادنى ما هم في الواقع * فالذي نراه في الرسالة هو الطفيلي المثالي في التطفل، والذي نجد بعض خصائصه في شخصية

عليك العاهد ، وشخصية ابن عرس المعهود اليه ، وشخصية بيان امام هذا الفن ، وشخصية الطفيلي الذي طلب مقابلة صاحب الدار . من كل هؤلاء نستنتج شخصية الطفيلي المثالي . ونجاح السابى في تصوير هذه الشخصية عائد اولاً : الى اعطاء الصورة المثالية وعدم تصوير طفيلي بعينه . ثانياً : الى تنوع المواقف التي نرى الطفيلي فيها : على مواكد الكبراء ، في مآدب التجار ، مسج قهارمة الدور ووكلاء المطابخ ، في السوق يستطلع ويراقب ويستعلم ، يستكشف اخبار المنهجين والمغنيات ، على المائدة . يتلقى الكلمة الخشنة والصفعة على الرجب والسعة . . . ثم ان وجود الشخصيات الاخرى المتعددة ، وان كان وجودها ثانوياً ، يبرز ملامح هذه الشخصية ويغني النص بالحياة والحركة ، فيصبح وكأنه مسرحية هزلية متعددة الفصول متنوعة يجتمعها وينتظمها وجود البطل الواحد .

من اولى صفات هذا البطل والتي تؤهله لأن يكون طفيلياً : " قلعة الحياة " وشدة اللقاء ، وكثرة اللقم ، وجودة الهضم . " وهذه على ما يبدو صفات طبع الرجل عليها او تعودها حتى اصبحت كالطبع ، فليس كل من ينبغي ان يكون طفيلياً يصل الى مبتغاه ، انما يجب ان تتوفر فيه هذه الصفات اولاً ، ثم يعمل على اكتساب غيرها مما اثر عن الطفيليين المشهورين . هدف الطفيلي الاول اكتساب طعام وافر لذينة دون ان يكلف أى شيء بالمقابل ، سوى عنا جيلة لطيفة تمكنه من الوصول الى المأدبة . فأولى غاياته وانبل اهدافه موائيد الكبراء والوزراء حيث يجد عليها الالوان اللذيذة والطعوم البديعة السائنة في الحلقوم ، اذ ان غنى هؤلاء يجعلهم يتفننون في طعامهم ويحسنون صنعه . ثم يأتي في الدرجة الثانية

التجار الموسرون ، وهو لا ٥ لا يتفقون عادة الا في المناسبات كالوكيرة (١) والعرس والاعذار (٢) .
ومن عادة هو لا ٥ الصبر على المتطفلين ليكسبوا بذلك الذكر الحسن ، فالمتطفل الذكي هو
الذي يوصل هذه الفئة الى غايتها من المباهاة بكرمها بأن يحضر مآدبها . هذه الموائد
هي التي يليق بالمتطفل قصد ها لا مآدب الفقراء ذوي النفوس الضيقة والاموال القليلة .

اما الحيلة في الدخول الى المآدب فتعددة ، فاذا علم الطفيلي مثلاً ان فلاناً من
الناس سيحضر احدى المآدب ، كمن له وتبعه اليها ، حتى اذا وصل الى المكان ، سعى اليه وصحبه
ودخل معه . اما اذا لم يكن على معرفة بالسعدوين فينتظر امام مكان الاحتفال ويدخل
مختلطاً بالداخلين فلا يميز بانه غريب ، فالمرحلة الصعبة في القضية هي تجاوز الابواب ، فلا
يكاد الطفيلي يخرج من سلطان البوابين والحجاب حتى يحصل حصولاً قل ما حصل عليه احد قبله .
الآن دخل الطفيلي الى المأدبة ، ومن الطبيعي ان يستنرب وخاصة من صاحب الدار ، لكنه ذكي
يعرف كيف يتصرف للوصول الى هدفه او الى "حقه" . فان كان صاحب الدار فظاً غليظاً سيتعرض له
بالمخاشفة ، لكن حفيظته لن تثار ، بل يبقى رابط الجأش مؤمناً بحقه فيرد على المخاشنة
بالملاينة والصفاء حتى يخفف من حدة صاحب الدار فيكف عنه ، ثم لا يلبث ان يؤلف ويعرفه ، وقد
يصل به الامر الى ان يصبح في منزلة من يسأل الذهاب الى المآدب ، وقد يصل الى هذه الرتبة
منذ الغزوة الاولى ، اذا كان ذا فهم ودراية واحسن التصرف . فهو ريف النفس لا يرد على الفحشاء ،

(١) الوكيرة : الطعام يتخذه الرجل عند فراغه من بتيانه ، فيدعو اليه . اللسان : مادة : وكر .

(٢) الاعذار : طعام الختان . اللسان : مادة : عذر .

ويتفاضل عن اللذة والصفعة والجفاء ويقابل ذلك كله باللطف والتسامح .

ثم ان للطفيلي طريقة خاصة في تناول الطعام ، فهو منذ النظرة الاولى الى الخوان يقدر الطعام في الكثرة والقلة والطيب واللذة ، ويقدر لنفسه مقدار ما كلفه بحيث لا يشبع الا بانتهاها ، الطعام بعد ان يكون قد مر على جميع الاصناف ، اما اذا احس بقلة الطعام فلا يتصرف تصرف المتأدبين في طعامهم ، الاغنياء ، لان هؤلاء لا يربحون الا الحسرة والخيبة ، بل يمعن فيه مالئاً بطنه من كل صنف .

والطفيلي لا يخزى المآدب ليشبع جوعه فقط ، بل ان الطعام صار لديه هدفاً بحد ذاته يستجشم الكثير من المشقات في سبيل الوصول اليه . وعندما يكون الطعام هدفاً اولاً وجب تقوية المعدة لاستقباله كالصانع الذي يحدد آلاته ويقويها ، او كالجندى الذي يصقل حسامه ، ويكون ذلك بتناول الادوية المشهية للطعام ، المسهلة للهضم ، المقوية للمعدة ، فقد يستطيع تصيد دعوتين في اليوم الواحد ولا بد ان يكون قادراً على القيام بمستلزماتها .

اذاً ، اهم صفات الطفيلي ، الذكاء والانتباه في معرفة اماكن الدعوات ، ثم الاحتيال في الوصول اليها ، وحسن التصرف والاعضاء عن القواصي ، وما يلزم ذلك من الجرأة في مواجهة ما قد يلقاه داخل البيوت من العيون المستنيرة لامره ، المنكرة لوجوده ، كما ان الجرأة هي من صفاته في اقدام على الطعام فلا يشبع الا مع آخره ، متعبداً معدته بالمقويات والمشهيات .

الشخصيات الأخرى في الرسالة تساهم في تكوين المشاهد أو المواقف التي قد يتعرض لها الطفيلي ، فالرسالة غنية بالشخصيات والمشاهد المختلفة • منها مشهد التناجر يفخر امام ضيوفه بكثرة ماله واتساع حاله وبكرمه واحسانه الى الوجوه الثرية والايدي الممتدة • مشهد آخر : الطفيلي مع اصدقائه اصحاب المطابخ وهم يحملون اليه الطعام الوفير ، ثم الطفيلي في السوق ينظر ويبحث حتى يرى ما يلفت انتباهه من شراء احد الاشخاص للكثير من الاعمدة فيتبعه يخفيه الى منزله • وهناك قد يسأل الخدم وعمال الدار عن هذه الدعوة ، زمانها والمدعوين اليها • ثم يجيئه في الموعد المحدد الى المكان ، فان رأى من يعرفه تقدم اليه ودخل بصحبته ، والا دخل مختلطا بجماعة من الداخلين ، وها هو يمك انفاسه حتى يتجاوز عتبة الدار خوفا من ان يلحظه البوابون ويرموه خارجا ، حتى اذا وصل الى الداخل تنفس الصعداء ان يرى امامه الخير الوفي من الطعام والشراب •

مشاهد أخرى : وضع الارصاد على ابواب المغنين والمغنيات وترقب اخبارهم ، حتى اذا اتاه خبر عن مأدبة تجمعهم مضى اليها سريعا وحمل على اطعمتها * كالحيوات الملتقم ، والشعبان الملتهم ، والليث الماصر ، والعقاب الكاسر * ثم مشهد الطفيلي اذا وضع الخوان ، اذ يجيل فيه طرفه ويلحظ اصنافه ، ثم يبدأ بتناول الطعام بشراهة ونهم ، حتى اذا انتهت الاطعمة توقف ، مبتلى ، البطن ، سعيدا بالظفر • وبالمقابل نرى الذين يخلون من الإقدام على الطعام لقلته تأدبا منهم وتعففا •

هذه المشاهد والاشخاص ساعدت في تبيان ملامح شخصية الطفيلي ، واغنت الرسالة بالحياة

والحركة والتنوع •

القيمة الاجتماعية :

هذه الرسالة الفريدة بين ما لدينا من رسائل الصابي تحمل مسدلات اجتماعية

وإدبية عديدة :

أ- الأدب ينزل الى الواقع : تتناول الرسالة مسألة من المسائل الشائعة في اوساط العامة،

وتتخذ من الطفيلي المحتقر في المجالس والمآدب بطلا لها في اطار هزلي . وهذه الظاهرة

عرفت في ادب القرن الرابع الهجري بشكل مميز، فظهرت اخبار المكدين والمتصوفة والقضاء بين

والمستغلين على صفحات كتب الادب، ككتاب الامتع والموانسة للتوحيدى، ومنها ما احتل كتباً

بنكاملها كـ المقامات لبيديع الزمان الهمذاني، و التطفيل للخطيب البندادى، وبعض هذه

الكتب حمل الفاظ العامة البذيئة كالمقامات خاصة، لكن رسالة الصابي كونها كتبت بشكل عهد بأمر

من الملك، فقد خلت من الالفاظ النابية، الا ان اسلوبها كما ذكر من قبل بسيط وسهل .

ب- الفقر : الفقر والتفاوت في المستوى المعيشي في القرن الرابع مشكلة عاناها المجتمع بسبب

تعاقب الايدى على الحكم، واختلال الامور، من سيطرة القواد على الملوك البويهيين، وسيطرة

علاء بدورهم على الخلفاء العباسيين . . . ثم كثرة الحروب والفتن وما يستلزم ذلك من اموال طائلة

اعتمد في تحصيلها على كثرة الضرائب، والمصادرات والنكبات . . حالة الفقر هذه ادت الى

ظهور طوائف متعددة في المجتمع تحتال على العيىر، منها المكدون والقصاص والصوفية

والعيارون والمستغلون . جميع هؤلاء متسولون ولكل طريقته الخاصة في ذلك . والتطفيل هو

اتيان المآدب دون دعوة من اصحابها، ولا بد ان يكون اساسه وسيلة يسد بها الفقير جوعه ويتناول

ما حرمه من انواع المآكل الشهية . ثم ما لبث التطفيل ان صار ظاهرة لها ميزات واساليب خاصة،

كما رأينا في الرسالة، وصار للمتطفل حيل في اقتناص الدعوات وجرأة في الوصول إلى ما يريد من مآكل وكأنها حق له، أو كما قال الصابي : هي شركة العنان (١) . ولم يعد التطفل وسيلة لسد جوع المتطفل الفقير إنما صار صنعة مرشوبة بحد ذاتها، يحار المتطفل في التفتن بأساليبها وحيلها، ويتخذ لنفسه أئمة يكتسب من أخبارهم ما يعينه على الاحتيال للوصول إلى غايته . ويبدو من رسالة الصابي وكأن التطفل صار ردا سلبيا متعمدا على الاغنياء الموسرين الذين يتمتعون بالاموال والملاذ، فيعتبر الصابي ان التطفل هو اكتساب للرفاهة المهمة، يعود على أصحابه بالاطعمة اللذيذة والاجسام القوية، واعتبره " رداً على من اتسعت حاله واقدره الله على غرائب المأكولات، واطفروا بدائع الطيبات، آخذاً من ذلك كله بنصيب الشريك المناصف، وضارياً فيه بهم الخليط المفاوض " . فالمتطفل لا يرضى بسد الرق إنما يريد المشاركة والمناصفة . ثم ان شيوع هذه الظاهرة في المجتمع، جعل الكبراء يوصون بوابيهم وحجابهم بمنع دخول الغرباء . وهكذا تصبح العقبة في وجه المتطفل اجتناب باب الدار .

ج - الطبقات الاجتماعية : ظهر في الرسالة ذكر لعدة طبقات اجتماعية هي باستثناء المتأفلين

الذين هم من العامة :

١ = الكبراء والوزراء والامراء، ويتميزون بالذنى والكثرة، فتجد على مرأى هم دائما افضل المأكسل الحذق صناعتهم وجودة ادواتهم وانزياح علمهم، وكثرة ذات بينهم .

(١) شركة العنان : " هو ان يخرج كل واحد من الشريكين دينار او دراهم مثل ما يخرج صاحبه ويخططاها ويأذن كل واحد منهما لصاحبه بأن يتجر فيها، ولم تختلف التقها في جوازها وانهما ان ربحا في المالين فيبينهما وان وضعاً فعلى رأس مال كل واحد منهما " اللسان، مادة : عنن .

٢ - التجار الموسرون : لا يندخون دائما كالكبراء ، انما فقط في المناسبات والمآدب كالوكيرة والعرس والاعذار . ويبدو ان هذه الفئة حديثة النشوء او الغنى لانها تقتصر على نفسها ولا تبذل الا في

المناسبات ، ولا تصبر على المتطفلين الا ابتغاء الذكر الحسن .

٣ - مدبرو المنازل والبوابون والحجاب : يكسب هؤلاء العيش من اعمالهم في القصور ، ولهم ملطة على

العامة ، فيتودد الفقراء الى مدبري المنازل ليكسبوا الاطعمة ، والمتطفلون الى الحجاب ليجتازوا

الابواب .

٤ - المغنون والمغنيات : ولهم دور خاصة للذخاء معروفة كما يبدو ، وقد يدعون الى المآدب والمجامع .

٥ - العامة من الفقراء : هؤلاء خمس طبقات المجتمع ، فقراء ، مقلين ، والمتطفلون منهم . الا انهم

اذكيا ، يحتالون على الفقر فيخلصون منيه بالتطفيل .

٦ - كثرة الدعوات التي تقيسها الفئات المترفة : حتى ان المتافل يكسب دعوتين في اليوم الواحد ، وهذا يدل على اتساع الشقة بين الاغنياء والفقراء وعيش الفئة الاولى في البذخ والاحتفالات والدعوات ، والثانية في الحرمان والقلّة . وهناك دعوات معروفة ومعتادة كالوكيرة والاعذار والعرس تقيسها عادة الفئة المتوسطة ، فئة التجار الموسرين ، وقد يجتمع في المآدب المغنيات والمغنون .

هـ - البعد عن الروح الدينية : اعتماد الصابي ذكر مقطعين في اول المهد : احدهما عن تقسوى الله والثاني عن التأديب بأدابه ، ربما هو سخرية منه على الحال الدينية في ذلك العصر ، حيث اصبح التمسك بالآداب الدينية والشرعية ليس الا كلاما يقال في مقدمة الرسائل والعهود ، يقال للحاكم والوالي والقاضي كما يقال للتفيلي . والا فما العلاقة بين التقوى والتأديب بآداب الله والوقوف على حدوده ، وبين التطفيل ، حتى يتكفل الله للمتطفل " التقى " بالنجاح ؟ وهل التطفيل

اساسا من المستحبات في الدين ؟ فقد روي ان رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يسمح لأحد
الاشخاص الذي تبعه الى مأدبة دعي اليها بالدخول الا بعد ان استأذن صاحب الدار فقال
له لما بلغ الباب : " ان هذا تبعنا ، فان شئت ان تأذن له ، وان شئت رجع " . قال : " بل آذن
له يا رسول الله " (١) وهذا دليل استكساره الدخول الى مأدبه دون دعوة او اذن .

(١) الامام النووي ، رياض الصالحين (تحقيق شعيب الارنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة

الخامسة ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦) ص ٣٤١ .

كتاب التاجي

وضع ابو اسحاق الصابي كتاب التاجي في تاريخ الدولة الديلمية تلبية لأمر عهد الدولة الذي جعل وضع هذا المؤلف شرطاً لاطلاق الصابي من سجنه (١) . وقد عالجتنا خلال دراسة حياة ابي اسحاق ظروف وضع هذا الكتاب بالتفصيل ، و خلاصة الامر ان عهد الدولة كان امر باعتقال الصابي وسجنه سنة ٣٦٢ هـ مع ولديه سنان والمحسن ثم امر سنة ٣٦٩ هـ باطلاق ولديه وباعطائهم ثياباً ونفقة نتيجة لشفاعته وزيره المطهر بن عبد الله . و أصدر اليه حينذاك امره بعمل كتاب في مفاخر الديلم . فامثل الصابي طائعا واخذ يعمل في الكتاب " ويتألق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تفريلطه وتشنيفه " (٢) .

لكن كتاب التاجي لم يصلنا كاملاً ، وانما بقيت منه قطعة قصيرة مجتزأة تحت اسم " المنتزع من كتاب التاجي لابي اسحاق الصابي " (٣) ، وتتضمن اربعة فصول : الاول منها يؤلف آخر احد فصول الكتاب الاصل ويبدو انه مقصور على ذكر اخلاق الديلم ومناقبتهم اذ ترد في المنتزع فقرة في ذكر مناقبتهم وصفاتهم يتبعها قوله : " ولا بأس في ان نورد في آخر هذا الفصل خبراً او خبرين مما نرى الينا عنهم في المعنى الذي ذكرناه آنفاً ثم يورد الخبرين وهما في معنى الشجاعة وحسن

(١) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، والقفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ .

(٢) الشعالي ، البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣) نشر مع قطعة من كتاب الام لابي القاسم الجيلاني - وجدا في مخطوط واحد - بتحقيق وشرح

محمد حسن الزبيدي ، بغداد ، دار الحرية ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

الضيافة (١) . اما الفصل الثاني فيبدو انه ذكر كاملا لقوليه في اوله : " فصل في مساكن الديلم والجيل ومغائرهم " (٢) . واما الفصل الذي يليه فهو كامل ايضا ويقول في اوله : " فصل في ذكر اسلام الديلم والجيل وعلى ايدى من صار اليهم من العلويين ، وتسمية هؤلاء العلويين ، واحدا بعد آخر ، ونبد من اخبارهم " (٣) يليه فصل في خبر ابي جعفر ليلى بن نعمان الديلمي الساهي (٤) ، وهو تابع للفصل الذي يسبقه لقوله في آخره : " قال في الاصل وهذا آخر ما انتهى اليه ذكر من خرج من اهل البيت عليهم السلام في هذه الجهة في هذا الكتاب " (٥) .

فالمنتزعة عينة من كتاب التاجي سنجعله مع قصره ، عمدت في دراسة الناحية الادبية

في هذا الكتاب مع الاستعانة بما جاء حوله في المصادر .

الوجه الادبي للكتاب :

من ميزات كتاب التاجي الفريدة جمعه بين التاريخ والادب ما يتيح لنا دراسته مع نتائج الصابي النثرى تاركين المجال في دراسة الناحية التاريخية في الكتاب لاهل الاختصاص بهذا العلم . يتميز التاجي بالبلاغة في الاسلوب ما عهد في اسلوب الصابي وفي ذلك قال الثعالبي حين احال المتطلع الى اخبار عهد الدولة الى الكتاب : " لتجتمع له مع الاطالة بها بلاغة من قد تسهل

(١) المنتزعة ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ٧٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ٨٢ .

له حزونها ، ولا ينته متونها ، وإطاعته عيونها (١) * . ووصف ابو شجاع الروذراورى الكتاب بالقول : * كتاب يدع التصريف حسن التصنيف ، فان ابا اسحاق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم ولا تنبو مضاربهم * (٢) . لكن الملاحظ ان الذى اجمعت عليه المصادر من بلاغة الكتاب يفوق ما نراه عند معاينته . فهل هذا النشر المرسل — مع بلاغته — هو مما يعتمد ابو اسحاق الذى سورد الصفحات الكثيرة بالرسائل الفخمة البليغة ، الى تنميقه وترصيفه كما جاء في احدى المصادر (٣) ؟ وهل هو مما يستحق ان يقول عنه التوحيدى ، احد ائمة البلاغة في القرن الرابع الهجرى : * ويزيد على كل من تقدم بالكتاب التاجي ، فانه ابان عن امور وكفى في مواضع ، وشن النارة في الصبح المنير مع الرعيل الاول ، ودل على التفلسف ، وعلى الاطلاع على حقائق السياسة ولو لم يكن له غيره لكان به اعرق الناس في الخطابة ، واعرق الكتاب في الكتابة * (٤) .

فاذا تركنا جانبا ما يقول التوحيدى حول معاني الكتاب وركزنا على حد يشه حول بلاغته لوجدنا ان التوحيدى يرى ان بلاغة الصابي في هذا الكتاب توازى بلاغته في الرسائل او توفي عليها اذ انه وحده كاف ليشهد على ان الصابي من اعرق الكتاب في الكتابة . وهنا تبرز لدينا عدة تساؤلات : هل صنعة الصابي الغنية تظهر في انحاء متفرقة من الكتاب تبعا للموضوع وما قد يتيح من مجال للتنميق الكلامي لذا هي لم تظهر في المنتزع الذى يعالج امورا علمية بحث كالحديث عن المساكن والاحداث العسكرية المتلاحقة وما الى ذلك ؟ ام هل ان التصريف

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) ابو شجاع ، ذيل التجارب ص ٢٣ .

(٣) اليتيمة ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٤) الامتاع ج ١ ص ٦٨ .

في الكتاب قد اتى على ما فيه من صنعة فنية ؟

كما قد اشرنا فيما سبق من هذا البحث (١) الى وجود مقطوعات نثرية بليغة للصايفي قيلت في عضد الدولة، يعتمد فيها صيغة الغائب واصفا سلوكه واخلاقه وحزمه وحكماته، ومجاسمه وعظاياه، ٠٠٠ وقد وجدنا هذه المقطوعات في مخطوط لقاح الخواطر، ورجحنا ان تكون منتزعة من كتاب التاجي، يدفعنا الى ذلك كونها بصيغة الغائب بعيدة عن ان تكون رسالة موجهة، ثم انها قيلت في مدح عضد الدولة والكتاب التاجي هو اساسا في ذكر محاسنه ومآثره. وفي اننا لم نجد مجالا يمكن ان تكتب فيه مثل هذه الاوصاف التي تتناول كل ما يخص الملوك بهذه الطريقة، الا ان تكون في كتاب او رسالة تتحدث عن سيرة هذا الرجل، خاصة انها تشمل فهما سياسية عميقة ووعيا دقيقا لما يجب ان تكون عليه اخلاق الملوك في الحزم والعدل وضبط النفس وقبض ازمسة الهوى، وهذا ما يوافق وصف التوحيد للكتاب، فاذا كان كذلك فيرجح ان يكون في كتاب التاجي. وسنذكر هنا نماذج من هذه المقاطع :

يقول في لقاح الخواطر : * (ومن) (٢) كلامه في ذكر مطاعم عضد الدولة :

* فان دعاه داعي الشهوة الى ما ينهاء عنه ناهي الحمية. لم يقتصر على الاحتشاء منه

والانتهاء عنه دون ان يأمر باتخاذها واحضاره ما تدته، فلا يزال يحرم عليه ولا يرده ويلاحظه ولا

تمتد اليه يده، فاذا قضى وطراً من هذه الرياضة امر برفع تهويننا لسلطان الهوى وتحصينا لجانب

(١) راجع ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) كلمة غير موجودة في الاصل.

الرأى وتعويدا للنفس ان تكون حرة غير مستعبدة ومخلقة غير مسفة ، وهنالك يجد المطلق

والانسف من حالة النزوع اضعاف ما يجده القرم والنهم من حالة الرتوع " (١) .

" وفي وصفه ايضا : " واما مجالس انسه فمعمودة بمخاضرة الخواصر المستخلصين والندماء

التأديبين ، وزمانه مقسوم فيما بين امر ونهى يعقدان على التيقظ ، وبين ارتياح وجذل لا يخلوان من

التحفظ " (٢) .

وقال في صفته عامة : " ولو هتكت حنايا الصدور وشق عن خبايا القلوب لم يوجد الراضي عين

سيرته الا برا تقيا ، والمتسخط عليها الا فاجرا غويا ، اذ هو لطيف الحس ، صدوق الحدس ، ذكي الالفاظ ،

مسدد الالفاظ ، عفيف الجوارح ، نظيف (الجوانح) (٣) ، قابض يده عن مفارقة الامام ، مقيّد

لسانه عن هجر الكلام ، ناظر الى العواقب من بعد ، متناول للنسيات عن قرب ، غليظ على اهل

العناد ، متعطف لاهل الوداد ، حلیم اذا غضب (ريسين) (٤) اذا طرب ، متعاضد على التعنف ، منقاد

مع التلطف ، له من مروه عین على خلوته ومن دينه رقيب على نفسه ، ولعل ظانا يظن ان التقرب

اليه دعا الى ان مدحه المادحون بأكثر مما عرفوا فادعوا الزيادة على ما وجدوا وهيئات ما ابعد غايته

في الفضائل عن ان يدركها من طلبها واعظم هيئته في الصدور عن ان تهدى له الالمن كذبها ، وانا مع

(١) لنّاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) بياض في الاصل بمقدار كلمتين وقد وضعت الكلمة المناسبة للمعنى .

(٤) بياض في الاصل بمقدار كلمة وقد وضعت الكلمة المناسبة للمعنى .

الاطناب فرطنا وتبلغنا وما بالذنا " (١) .

فاذا ترجح لدينا كون هذه المقطوعات من التاجي ، نكون قد عاينا عن كتب بلاغة

الصابي في الكتاب ، والا فلا نستطيع الا ان نصدق المصادر التي اجمعت على الاشادة ببلاغة الكتاب

وحسن تأليفه . اما اذا ظالمنا ما لدينا من هذا الكتاب اى المنتزع فنلاحظ انه مع ميله فيه الى النشر المرسل لا

يخلو من بلاغة في التعبير ، عفوية سلسة ، فلنقرأ هذه الفقرة حول اخلاق الديلم :

" وما قهرهم عبد ، ولا غلبتهم الامم التي كانت محادتهم ، ولا افتتحت بلادهم في اول

الاسلام عنوة ، ولا صلحا ، وانما كان اسلامهم منذ عهد قريب ، اختيارا وايارا ، وبصيرة وتقيا ، والاحاديث

حسنة عنهم في شدة البأس ، وغرة الحوادث ، وبذل الزاد ، وصون العرض ، كثيرة ومشهيرة ، حتى انهم

يسمعون ان يكون في بلدانهم الخبازون والقصابون ، فلا تجد الثريا ، والزوار معدلا عن النزول عليهم ،

والتضييف لديهم ، وذلك من اشرف الخلائق واجملها ، وافضل الشيم وانبلها " (٢) .

ثم يذكر الصابي روايتين تشهد على اخلاق الديلم وموضوعهما ، حسن الضيافة وحسب البطولة

والديعة . سننقل منهما الرواية الاولى :

" حدثني ، احمد بن علي الطبري المعروف بالعلوى ، قال : كنت ماشيا مع صديق لي ببلد

الديلم في يوم ثبات فأرخت السماء غرابيلها ، فلما اشتد السيل وتجاوز مقدار احتمالنا ، قال لي

عيا بنا الى منزل رجل من الديلم ، بيني وبينه معرفة ضعيفة لكن الضرورة قائمة لنا ، الى

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٨ .

(٢) المنتزع ، ص ٢٥ - ٢٦ .

ان نستكن عنده ، فعملت معه اليه ، فلم يكن في منزله ، فخرجت اليها غرمته ، فلما علمت اننا نريد النزول ، رحبت بنا وادخلتنا الى الدار ، وجاءتنا بالنار ، وخدمتنا ومهدت لنا ، وبادرت الى دجاج كان عندها ، فأمرتني في اقرب مدة ، وخبزت لنا خبزا من دقيق ارز ابين نقي ، وجاءت ببقل من مبقلة لها ، وغير ذلك ، مما يكون في منازل امثالها ، وقدمت اليها الطعام ، واتبعته بالغصول ، جميع ذلك بطلاقة ونشاط وبشر وابتهاج ، ودخل اليها ابن لها ، حسن الوجه والقلب والشباب ، فجلس بنحوه منها وهي مشغولة عنه بنا ، فسمعنا يقول لها : يا ام لم لا تفعلين لي ، ويمن اسضيفه من اخواني مثلما فعلت بهذين الحضريين ، وتطعمينني مثل ما اطعمتهما . فحذفت به خشبة من خشب الوقود ، وقالت له : قم الى لعنة الله ، فان الخبز الاسود والملح كثيران لك ولأمالك . يا ليت شعري اى اثر اشرت او اى ذكر جميل اكسبت ، او اى قرن قتلت ، او اى يوم بانت منك فيه نجابة او نجدة حتى تخاطبيني بهذا الخطاب . فخرج من عندها باكيا كئيبا ، ووافى رب البيت فخدمها كما يخدم العبد اربابه . فلما كان الغد ، وقعت صيحة واستنفار ، وتبادر القوم بأعدائهم ، قد صبحوهم للحرب ، وثارت الرجال اليهم من كل وجه ، وخرج ذلك الفتى معهم وتقدم في اول الناس ، فلف كساءه على يديه ، اذ لم يكن له ترس ، ولم يزل يحمل ويعاود ، ويرمي ويوتر ، حتى قتل ثلاثة من اولئك وعاد الى امه بثلاث زوينات مدماة ، فما خاطبته . وكان من عاداتهم اذا قتل الرجل رجلا ان يحتفظ بالزوين الذي قتله به ودمه جامد عليه ، ويجعله في داره ولا يستعمله بعد ذلك ، بل يستعمل غيره ، لكي يجمع هذه الزوينات ، ويعد ، فيكون له بها فخر ، وتلك سنة لهم ماغية وعادة جارية ، واذا سئل عن الرجل ليحرف اى الرجال هو ، قيل كم زوينات في داره ، اى كم قتل من اقاربه . فكلما كثرت كانت اذل على فضله " (١) .

يلاحظ هنا وكأن هذه الرواية قد انتزعت من كتاب في الادب والاخبار، فهي تحتوي على عدة خصائص القصة كالتمهيد للحدث الرئيس بذكر المناسبة وهي هنا المطر النزير والسيول التي دفعت بالرجلين الى منزل احد الديلم . ثم ان الاحداث مترابطة بعضها ببعض، فأكرام الام للضيفين جعل الفتى يقارن بين ذلك وبين استقبالها لضيوفه، وتأنيب الام لفتاها دفعة الى المصير الى الحرب بعزم اشد ثم تبدو في الرواية عدة شخصيات ابرزها شخصية المرأة والتي ارادها ان تمثل نساء الديلم كافة، فهي امرأة تجمع الى البشاشة وحسن الضيافة والكرم الحزم والاقتدار والصلابة . وقد مهد لابرار صفة الكرم لديها بالقول ان العلاقة بين الضيفين وصاحب الدار تقتصر على المعرفة الضعيفة اذ ان الضرورة وحدها دفعت بهذين الرجلين الى الالتجاء لهذا المنزل ، وبالتالي فالمرأة لا تفعل هذا اكراما لاصدقاء زوجها ، بل لان من عاداتهم اكرام الغرباء والضيوف كاثنيين من كانوا . ثم شخصية الابن الذي ييكسي اذا انبتته والدته ، لكنه يبدى كل اندفاع وبطولة اذا واجه الاعداء في معركة .

من الملاحظ الادبية ايضا استعمال بعض الالفاظ والتعبيرات، كقوله : ارخت السماء غرابيلها ، الى ان نستكشف عنده ونلاحظ استعمال السجع احيانا كقوله على لسان المرأة : " يا ليست شعري اى اثر اثرته ، او اى ذكر جميل اكسبت ، او اى قرن قتلت وقوله : " وتلك سنة لهم ماضية وعادة جارية . . . " كما انه اجاد الوصف في بعض الحالات مقربا القارى من الحالة التي يصفها كقوله يصف بشاشة المرأة في تقديمها الطعام لهم : " جميع ذلك بطلاقة ونشاط وبشر وابتهاج " وفي وصف ابنها يقول : " حسن الوجه والقلب والشباب " وفي الحرب : " وقعت صيحة واستنفار ، وتبادر القوم باعدادهم ، وقد صبحوهم للحرب ، وثار الرجال اليهم من كل وجه " .

إذا يتميز الكتاب ببلاغة في الأسلوب وصنعة فنية دقيقة ، لا نستطيع الحكم عليها

بالقول مثلا انها عامة تشمل الكتاب بكامله ، كما لا يمكننا ان نقول انها متفاوتة بين موضع

وآخر تبعاً للموضوع المطروح ، وذلك لكون الكتاب ليس بين ايدينا ، ولكون الايدى ربما عشت بالمنتزع

منه ، انما اجماع المصادر على بلاغته ، وقرب ما قرأناه منه من النثر الفني ، بالاضافة الى بلاغة ما

نرجح نسبته اليه . من مقاطع حول عضد الدولة ، كل ذلك يؤكد لدينا ان اسلوب الكتاب

ليس علميا مرسلا كما قد يبدو وانما على مقدار من الغنن والصنعة والتميق .

اما الناحية الثانية التي تظهر الوجه الادبي للكتاب ، فهي ايراد الشعر والاختبار

الادبية ، من ذلك قصيدة لابي الحسن علي بن الناصر في رثاء محمد بن زيد (١) ، وقصيدة محمد

بن احمد الوراق في رثاء ليلي بن النعمان الديلمي . ان كان الصابي هو الذي اضافها (٢) ، اما الاخبار

الادبية فنسبها ذكره خبر ابي الحسن علي بن الناصر مع ابيه في انه اقصاه وآثر اخوته عليه لسلوكه

مسالك المترفين من الشرب والسماع واتخاذ الندماء ولعب النرد والشطرنج فمضى ابو الحسن

الى آذربيجان وكتب الى ابيه مقطوعة شعرية يعاتبه ، فرد عليه والد ، بالدعوة الى

التوبة ، ثم كان ان تاب بعد مدة وكتب شعرا في ذلك الى والد ، وعودته فيما بعد (٣) . ومن

ذلك ايضا ما نقله الثعالبي في اليتيمة :

(١) المنتزع ، ص ٥٥ - ٥٦ . ومحمد بن زيد بن محمد الحسن بن محمد العلويين الذين ثاروا على السلطان

تلقب بالداعي ودعا الديلم الى الاسلام فأسلم على يده جماعة منهم . ظهر منافعهم جليلة ورحابة

صدر وكرم اخلاق . اخباره في المصدر نفسه ، ص ٤٥ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٦ - ٨٢ . ويلي بن النعمان الديلمي كان صاحب جيش الناصر احد الدعاة العلويين

في بلاد الديلم . انظر اخباره في المصدر نفسه ، ص ٧٣ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ - ٥٨ .

" وحكى ابو اسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة ابي الحسين

غلام تركي يدعى تكين الجامدار امره ، وضيء الوجه ، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ، ولا يفارق
اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة اليه ومدة اعجابه به ، جعله رئيس سرية جرد ها
لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبى يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى انه من عدد الهوى ، لا من
عدد الوغى ، فمن قوله فيه :

ظبي يرق الماء في	وجناته ، ويرق عود ،
ويكاد من شبه العنـدا	رى فيه ان تبدو ونهود ،
ناطوا بمعقد خصـره	سيفا ، ومنطقة تـود ،
جعلوه قائد عـكـر	ضباع الرعيـل ومن يقود ،

فما كان بأسرع من ان كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الامر على ما اشار به المهلبى . . . وذكر
الصابي ان ابا عيينة المهلبى ، الذى استغفر نسيبه في صاحبته دنيا ، من عمومة الوزير ، وكان
المهلبى يحفظ اكثر اشعاره ويتأسف على ما فاتته من زمانه فمن قوله :

اني وصلت مفاخرى بـأب	حاز الفخار وطاول العليـا
واجاب داعيه وخلفنـي	وحديثه فكأنما يحيـا
وتلوت عني في تغـزله	وشربت ربا من هـوى ربا
فكأنني هو في صبايتـه	وكانها في حسنـها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة :

" لقد ظفرت والحمد لله منيتي

بما كنت اهوى في الجهارة والنجوى

وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته
وعانيت من شعر العيني حلة
فحركني عرق الوشيجة والهوى
فيا حسرتي ان فات وقتي وقتي
ويا فوز نفسي لو بلدت زمانه
فكنته من اهل دنيا وارضها
من الارض واستقررت في الرتبة العليا
تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
لعمي واظت بي الى الرحم القوي
ويا حسرة تضي وتتبعها اخرى
وبغيت دنيا وفي يدى الدنيا
فمازما يهوى وفوق الذى يهوى * (١) .

هذا ما لم نعتد قراءته في كتب التاريخ فابن الاثير في الكامل قد ذكر خلاف ابي الحسن
مع والده وذكر انه شاعر دون ان يورد ايا من شعره (٢) ، وسكويه ذكر مقتل ليلى بن النعمان (٣)
دون ذكر اى كلمة قيلت في رثائه ، وان يكن مسكويه قد اورد الحادثة باختصار شديد فان ابن
الاثير قد ذكرها مفصلة ولم يذكر اى شعر فيه ايضا (٤) . من هنا يمكننا ان نستنتج ان كتاب التاجي
ليس كتابا تاريخيا عاديا وانما هو تسجيل لماثر هذه الدولة وهذا ما يجعله يشمل الاحداث والوقائع
التاريخية بالاضافة الى غيرها من النواحي والآثار الاخلاقية والاجتماعية والادبية والفنية .
لذا نجد في التاجي خبرا روائيا يدل على الكرم وقصيدة تقال في الرثاء ، وحادثة بين قائد وابنه

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الكامل ج ٨ ص ٨٣ .

(٣) تجارب الامر ج ١ ص ٧٦ .

(٤) الكامل ج ٨ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

كان يمكن ان تختصر ببضع كلمات لو كان المقصود ذكر الحادث فقط . ثم
ان ما نقل في اليتيمة حول هذا الغلام القائد وما ذكر من شعر المهلب قد يعني ان الصابي
كان يعمد الى نوع من الترجمة لمن يمر الحديث حوله في السياق التاريخي
فيعرف بادبهه ويورد نماذج منه . كما انه لما مر في السياق التاريخي ذكر
ابي الحسن بن الناصر ذكر انه شاعر واورد الخبر الذي دار بينه وبين والده
معطيا نماذج من شعره . ولدينا شاهد آخر على ذلك هو ما نقله الثعالبي
في اليتيمة (١) : " وذكر ابو اسحاق الصابي في الكتاب التاجي ان رسائل ابي
عبد الله (الحسين بن محمد والد ابي الفضل بن العميد) لا تقصر في البلاغة
عن رسائل ابنه ابي الفضل " . وهنا الصابي يصدر حكما ادبيا بين كاتبين
ما لا يعني به المؤرخون عادة .

خلاصة الامر ان الصابي لم يستطع ان يخلع عنه الصبغة الادبية حتى عندما كان مؤرخا
وهكذا جمع كتابه بين العمل التاريخي والروح الادبية فكان اسلوبه على ما يبدو هو اسلوب الصابي
المعهود في التنيق والتزين الكلامي والبلاغة المشهورة ، وهذا اسلوب جديد في الكتابة التاريخية
لم يعمد من قبل ، لذا عزا بعض الباحثين (٢) الى الصابي البدء بهذه الحركة التي تبعة فيها
العتبي في كتابه "اليمني" (٣) فكان الاثنان مبيعا لشيوخ السجع والتصنيع في الكتابة
التاريخية فيما بعد عند العماد الاصفهاني وامثالهم مشيرين

(١) اليتيمة ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) "وقي صيف في الفن ومذاهبه في النثر العربي" ص ٢٢٨ .

(٣) الكتاب مطبوع على هامش شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ ابي نصر العتبي . للشيخ
احمد المنيني ، (دون مكان وتاريخ) .

الى اثر الثعالبي ايضا في هذا الجانب بتقديمه للكتاب والشعراء في البيتمة بمقدمات
مسجوعة (١) • لكن لا نشك في ان الصابي هو واضح حجر الاساس لهذه الظاهرة الجديدة
في الكتابة التاريخية التي عمت واتسع نطاقها مع تزايد الانتاج نحو التجميع الكلامي •

(١) الفن ومذاهبه ص ٢٢٨ •

الفصل الثالث

المبايعات العامة

الشعر عند الصابي

موقف الصابي من الشعر :

الصابي شاعر اتفقت المصادر القديمة على جودة شعره (١) وقد ترك ديوانا شعريا (٢) يبدوا انه ضاع (٣) فلم يبق من نتاجه الشعري الا بضع قصائد ومقطوعات حفظتها المصادر خاصة بقيصة الدهر للشمالي و معجم الادباء لياقوت، سنجعلها عمدتنا في دراسة شعره وتقييمه . ولا بأس من التوقف هنا عند رأى الصابي في الشعر والذي يبدو في رسالته كتبها في الفرق بين المترسل والشاعر (٤) . يعرض فيها لوجوه الاختلاف بين الفهمن محددات طريق الجودة في كل منهما مفضلا النثر على الشعر .

يعالج الصابي في هذه الرسالة مشكلة شغلت الكثيرين من مفكرى القرن الرابع وهي مشكلة العلاقة بين النظم والنثر و مكان المفاضلة بينهما (٥) . وقد كان منشأ

(١) وصفت بعض المصادر شعر الصابي بالنظم الرائق (الذهبي ، اعلام النبلاء ج ١٦ ص ٢٣٠ والصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٥٨) وبالجيد القوى (ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٣) وعدد مصدران آخران موازيا لنثره بالهلافة والجودة (القفطي ، تاريخ الحكماء ص ٧٥ وابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٢) .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ص ١٤٩ و معجم الادباء ج ٢ ص ٩٤ والبغدادى ، هدية العارفين ج ١ ص ٧٠ .

(٣) لم تذكر كتب الفهارس كتاريخ الادب العربي لبروكلمان وتاريخ التراث العربي لسزكين هذا الديوان .

(٤) اشار التوحيدى الى هذه الرسالة في المقاييس (ص ٢٧٢) وجاء نصها في ابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠ من الورقة ١٧٦ الى ١٧٨) وقد اختصر ضياء الدين ابن الاثير بعضها جاء فيها في معرض الرد عليها في المثل السائر (نسخة المطبعة البهية ص ٣٢٢ - ٣٢٤) .

(٥) احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب (بيروت دار الثقافة ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ /

١٩٧٨ م) ص ٢٣٢ .

هذه المشكلة كما يرى الدكتور احسان عباس فلسفي الطابع بعد ان عرف هؤلاء المفكرون ما حكام
حول الفكر الفلسفي من امر التفاوت بين الخطابة والشعر في حظهما من الصدق والكذب .
ثم تعدى الامر الحد الفلسفي الى المناظرات الجدلية التي يذهب كل فريق من المتجادلين
فيها الى الاستمالة في تفضيل الشعر او النثر بأمر خارجة عن طبيعتهما احيانا (١) . والذي
كان يزيد في الخصومة هو تعصب كل فئة لما تحسنه (٢) ، وربما هذا ما يفسر اساسا وقوف الصابي
الى جانب النثر .

يجيب ابو اسحاق في هذه الرسالة سائلا سألته عن السبب في ان " اكثر المترسلين البلاء لا
يفلقون في الشعر وان اكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في الترسل " ، فيقول : " ان طريق الاحسان
في منشور الكلام مخالف طريق الاحسان في منظومه لأن افخر الترسل هو ما وضع معناه واعطاك
غرضه في اول وهلة سماعه ، وافخر الشعر ما غرض فلم يعطك^{غرضه} الا بعد ما طلبة منه لك وعرض منك عليه ،
فلما صارت الاصابتان في الامرين متراميتين على طريقين متباينين ، بعد على القرائح ان تجمعهما
فشرقت الى هذا فرقة وغرقت الى ذاك اخرى ومال كل من الجميع الى الجانب الموافق
لطبعه فليس يكاد يوجد الجامع بين الاحسانين الا على شرط يزيد به الامر تعذرا والمذر
تنزرا وهو ان يكون طابعا له متدا معه فاذا دعاه الى التطرف معه الى احد
الجانبين اجابه وانقاد اليه . . . (٣) .

(١) عباس وتاريخ النقد ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .

(٣) ابن خلدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ١٧٦ - ب .

ثم يذكر ابو اسحاق السبب الذي جعل الا حسن في معاني الشعر الغموض وفي معاني
الرسائل الوضوح، فيرى ان الشعر قائم على حدود واوزان وانه مفصل الى ابيات كل منها قائم بذاته غير محتاج
الى غيره، اما ما يتفق ان يكون مضمنا بأخيه فهو عيب فيه " فلما كان النفس لا يمكنه ان يمتد في
البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضره وكلاهما قليل احتيج الى ان يكون الفضل في المعنى
واعتمد ان يلطف ويدق لبصير المضي اليه والمطل عليه بمنزلة الفائز بذخيرة خافية
استثارها والظافر بخبيبة دفينه استخرجها واستنبطها " (٢) • ثم يشير
الى ان وقفة القارئ على اعجاز الابيات " وضعت لادراك المعنى والفتنة والمغزى وفي مثل ذلك
يحسن خفايا الاثر وبعد المرمى " (٢) • ثم يحدد الصابي رأيه في مشكلة كثر
الغموض فيها في عصره وهي السرقات فيقول انه " متى خرج الشعر عن سنن الابتداء
والاختراع فكان ساذجا مغسولا فقائله معيب غير مصيب فالتترك له ادل على العقل
واولى بذوى الفضل " (٣) • وما يؤكد لنا هذه النظرة لدى الصابي الى الشعر قوله
في مجال آخر شعرا :

" احسب الشعر يتدع ابتداءعا	واكره منه مبتذلا مشاععا
ولي رأى غيور في المعانسي	فما آتني بها الا افتراعا
وقد ما كانت الا بكرا احظي	من العون التي انتهبت شعاعا " (٤)

(١) ابن حمدون، التذكرة، الورقة ٧٦ ب - ١٧٧ •

(٢) المصدر نفسه، الورقة ١٧٧ •

(٣) المصدر نفسه، الورقة ٧٧ ب •

(٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٨٨ •

اما الترسل فهو كلام واحد * لا يتجزأ ولا يتفصل الا فصولا طوالا وهو موضوع
وضع ما يهتد هذا ويقرأ متصلا، ويمر على اسماع شتى الاحوال من خاصة ورعية وذوى افهام
ذكية وغبية فاذا كان مت سهلا متسلما ساغ فيها وقرب ادنسه (١) في افهامها وساقطت
الامن في تلاوته والالباب في درايتهم * (٢) * وهكذا يرى الصابي ان ما يحتج
في الشعر يستكره في النثر والعكس صحيح من ذلك ان ما حسن من الرسائل * ما كان
متعلقا بعه ببعض ومقتضيا تعطفها من الهوادى على التوالي وردا من الاواخر على
البادى * * * ومتى خرج الترسل عن ان يكون جليا سلما، تعثرت الاسماع في حزونتسه
وتحجرت الافهام في مسالكه، فاعظم شره وتكدر رونقه، وكان صاحبه مستكره الطريقه
مستهجن الصناعة * (٣) *

اخيرا يجيب الصابي على مسألة ثالثة بالنسبة لهذا الموضوع وهي سبب قلة المترسلين
ونباهتهم وكثرة الشعراء، وخمولهم، فيتطرق هنا الى العملية الشعرية ويرى ان الشاعر
انما يصوغ قصيدته بيتا بيتا جامعا قدرته على كل بيت منها * وله من الوزن والقافية
قائد وسائق يقومان له بأكثر حدود الشعر فكانه انما يحدوه على مشال او يفرغه في

(١) لعلها ادنسا *

(٢) التذكيرة (٧٧٠)، الورقة ١٧٧ *

(٣) المصدر نفسه، الورقة ١٧٧ - ٧٧ ب *

قالب جمال " (١) • اما في الكتابة الثرية فان المترسل " يصوغ رسالته متحدة
متجمعة ويضمها من اقطار متراخية متسعة، وربما اسهب حتى يستغرق بالواحدة من رسائله
اقدار القصائد الطوال الكثيرة، هذا الى ما يتعاطاه من فخامة الالفاظ اللاتقياً ان يصدر
مثلها عن السلطان واليه " (٢) • ينتج عن هذا بنظر ابي اسحاق قلعة المضطلعين بجودة
النثر • اما سبب ارتفاع طبقة المترسلين على الشعراء بنظره فعائد الى الموضوعات التي يتعاطاها
اصحاب كل فن فالمترسل يكتب في " جباية خراج اوسد ثمر او عمارة بلاد او اصلاح فساد
او تحريض على جهاد او احتجاج على فئة او مجادلة لملة او دعاء الى الفة او نهى عن
فرقة او تهنئة بعطية او تعزية برزية، او ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب ومعاظم
الشؤون ••• (٣) • هذه الموضوعات الجليلة تحتاج الى ادوات كثيرة ومعرفة واسعة
فعلو منزلة الكتاب عائد الى الخطر ما يفيضون فيه ويذهبون اليه (٤) • اما اغراض الشعر
فهي " وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاطوار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء
والمدح والهجاء، فليس يجرون مع اولئك في مضمار ولا يقاربونهم في مقدار " (٥) •

(١) ابن حمدون، التذكرة (٧٧٠)، الورقة ٧٧ ب.

(٢) المصدر نفسه •

(٣) المصدر نفسه، الورقة ١٧٨ •

(٤) المصدر نفسه •

(٥) المصدر نفسه •

يفهم من رسالة الصابي هذه انه يركز على الطبع ، فالطبع هو الاساس وهو الذي يحدد اتجاه الاديب الى احد الفئتين الكتابيين النشر او الشعر، ويمكننا اختصار الفروق بين النشر والشعر عند ابي اسحاق بشكل آخر .

اولا : الفضل في الشعر للمعنى ومن اهم ضروراته الابتداع والاختراع، وفي الترسل للاستلزام والاسلوب واهم خصائصه الالفاظ الفخمة .

ثانيا : موضوعات الشعر شخصية وعادية وموضوعات النشر جليلة خطيرة .

ثالثا : الوحدة في الشعر هي وحدة البيت لا القصيدة وفي النشر هي وحدة الرسالة كاملة .

رابعا : الفرق في النظم وهو فرق اساسي كما يبدو في رأى الصابي فالشاعر يكتب البيت الشعري متحدا

بالوزن والقافية، وللنثر وقفة على اعجاز الابيات لتأمل المغزى الذي تحمله وقد جعل هذا

سببا يحتم غموض المعنى . اما في الترسل فالرسالة تكتب متحدة وقد تكون طويلة بمقدار قصائد

كثيرة وتكون قراءتها متصلة وهذا يستدعي انكشاف معانيها ووضوحها .

لا تؤولف آراء الصابي هذه نظرية متكاملة في النقد انما هي مجرد آراء ساقها في معرض

تفضيل النثر على الشعر فهو لم يتطرق للنواحي التفصيلية في هذين الفئتين ، فلم يتحدث عن غايتيهما

او تأثيرهما ، وقد اغفل بالنسبة للشعر الخوض في الفاظه وبعض معانيه كحظه من الصدق والكذب

او علاقته بالاخلاق ، كما انه لم يلتفت الى الشاعر وحالته النفسية والى اثر الخيال والعاطفة

في الشعر ، فبدأ العمل الشعري لديه عملا عقليا : معان تماخ في الفاظ وتفرغ في قوالب ثابتة .

اما في النثر فقد اقتصر على الاشارة الى الموضوعات التي يعالجها كاتب الديوان

بشكل خاص مغفلا سواها كالاخوانيات والوصف والغزل والوجدانيات والتي تقترب
بمعانيها من المعاني الشعرية . لكن ما يمكن قوله حول آرائه هذه انها مستمدة
من طبيعة الادب بنشره وشعره وبذلك اختلفت عن آراء معاصريه من المفكرين
التي كانت بمجملها ذات طابع فلسفي (١) .

بالاضافة الى ذلك يمكن ان يسجل حول هذه الآراء الملاحظات التالية :

اولا : احسن الصابي الربط بين الشكل الادبي ، نظما او نثرا من جهة ، والمعنى من جهة ثانية ،
فالشكل يحدد المعنى . والوقوفات على اعجاز الابيات وضعت لادراك المعنى او المنزى
وهذا ما يحتم الغموض ، اما القراءة المتصلة في النثر فتستوجب السهولة وقرب المأخذ .
ثانيا : تفضيله الابهام والغموض في الشعر ربما يعود الى الثقافة الفلسفية المتأصلة في نفسه
التي من خصائصها التعمق وبعد النظر والانشغال بالماورائيات وهو في ذلك معاكس لمعاصره
الأمدي (ت ٣٧٠) صاحب كتاب الموازنة الذي حمل نقده صفات " اهل الظاهر " ، على حد
تعبير الدكتور عباس ، بميله الى المعنى القريب الذي يعلم نفسه الى القارئ اسلاما
مباشرا (٢) .

ثالثا : رجح الصابي كفة الصياغة في النثر مع اهتمامه بشرف المعاني ، اما في الشعر
فلم يأت على ذكر الصياغة وانما كان تركيزه على المعنى وكيفية تأديته بوضوح ام بغموض وكان

(١) انظر عباس ، تاريخ النقد ، ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

الالفاظ والاوزان والصياغة ادوات ايصال لا غير، وربما كان قصد الصابي في حديثه
حول الابتكار والاختراع ان ذلك يكون في تأدية هذا المعنى لا في المعنى نفسه
الذى يمكن ان يكون مطروقا من قبل او جديدا لم يسبق اليه .

والذى بهمتنا الاشارة اليه في هذا المجال اخيرا ، هو مدى تطبيق ابي اسحاق لآرائه
هذه على نشره وشعره . قارىء رسائل الصابي يجد ان حديثه حول التوصل هنا تابع من تجربته
فيه لان رسائله تنقسم عامة بالجلالة والسلاسة والوحدة ، وبالترايب والتسلسل المنطقيين مع
فخامة الالفاظ . اما نتاجه الشعرى فيختلف عما وصف في الرسالة اذ اننا سنرى خلال دراستنا
لانواع شعره وبعض خصائص كل نوع ان هذا الشعر بعيد عن الغموض بل انسه على العكس —
ذلك يقرب من النثر في وضوحه وانكشاف معانيه التي لم تكن بمجملها مبتكرة او مخترعة ،
حيث كان ابو اسحاق يقتبس في بعض الاحيان من سبقه او عاصره من شعراء كآبي نواس والمتنبى
وغيرهما وسنرى فيما بعد شواهد ذلك على ان الابتكار او الاختراع الذى جعله اساسا للشعر الجيد
لم يكن ليحيى شعره من الوقوع في البرودة في احيان كثيرة . اما حديثه حول وحدة البيت
واستقلاليته فهو ما لم يعتمد دائما بل بدا في الكثير من قصائده اتصال البيت الواحد بما يليه
وعدم اكتمال معناه الا به والشواهد على ذلك كثيرة منها :

فلولا رجاء ملء ارجاء اضلعي	وعلم يقيم بالرعاية والعهد
وان نسيم الانعطاف تهيب لى	هبوب نسيم الترجس الغفر والورد
قضية باحداهن نجسي حسرة	ولو كان لي قلب من الحجر الصلد
وهبني قد حملتها فأطقتها	اطاقة صلب العمود مصطبر جلد

فمن لي بصبر عن جبينك لا معا
 اذا شيم ما بين الساطين من بعد * (١)

يلاحظ ان جواب لولا في البيت الاول يأتي في البيت الثالث وان معنى البيت الرابع لا يكتمل
 الا بما يليه . ومن ذلك ايضا قوله في قصيدة كتبها للشريف الرضي :

" واني على عيث الردي في جوانبي
 وما كف من خطوى ويطثر بناني
 وان لم يدع الا فؤادا مودعا
 به نحر باق من الخفقان
 تلوم تحت الحجب ينفث حكمة
 الى اذن تصفي لنطق لسان
 لاعلم اني ميت عاق دفنـه
 ذمء قليل في غد هو فـان * (٢)

موضوعات شعره

عالج الصابي في شعره مختلف الموضوعات كالغزل والخمر والوصف والرثاء والحكمة والشكوى
 والاستعطاف والتهنئة والاهداء والمديح والهجاء والفخر .

الغزل : للصابي مقطوعات قصيرة عدة في الغزل يمكن ان تجعل في نوعين :

الاول : الغزل النعساني ويشمل في عدة مقطوعات في غلام له اسود اسمه رشد (او يمن) (٣)

-
- (١) التيبة ج ٢ ص ٢١٦ .
- (٢) رسائل الصابي والرضي ص ١٦ .
- (٣) تذكر بعض المصادر هذا الغلام باسم رشد كالتيبة (ج ٢ ص ٢٦٥) و معجم الادباء (ج ٢ ص ٧٣)
 والعباسي معاهد التنصيص (ج ٢ ص ٦١) والخوانساري روضات الجنات (ج ٢ ص ١٦٦) وبعضها الآخر
 يذكره باسم يمن كابن خلكان وفيات الاعيان (ج ١ ص ٥٢) والصغدي الوفيات (ج ٦ ص ١٦٣)
 والخبلي شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٠٧) .

بالاضافة الى ابيات تتخلل بعض قصائد الخمر في هذا الموضوع . من ذلك قوله في
رشد هذا (١) :

" لك وجه كأن يملك (٢) خطه
به بلفظ تملكه أمالي
فيه معنى من البدور ولكن
نفخت صبغها عليه اللبالي (٣) .
لم يمشك السواد بل زدك حسنا (٤)
انما يلبيس السواد الموالي
فبمالي اقديك ان لم تكن لي
وبروحى اقديك ان كنت مالي *
وقد نجح الصابي في وصف الجمال الاسود هنا فالغلام يشبه اشراقه البدر لكن لا يمكن
تشبيهه به لسواد لونه ، فاحتال الصابي في الجمع بين المتناقضين السواد والاشراق فاذا بغناء
بدر مشرق صبغته اللبالي بسوادها .

النوع الثاني : مقطوعات غزلية تتميز بمعظمها بالاباحية والحديث عن اللقاء ، نجد فيها
الكثير من الاوصاف القديمة والمعهوده ، كشبيه وجه انجبية بالبدر ، وجسمها بالنصن ،
وقد تكرر هذا التشبيهان كثيرا في المقطوعات التي لدينا ، وكذلك تشبيه الاسنان بالبرد
او الدر ، والريق بالخمرا والشهد . . . من ذلك قوله : (٥)

-
- (١) الابيات في اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٦٦ وابن حمدون التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١١١ بمعجم الادبا ،
ج ٢ ص ٧٤ ووفيات الاعيان ، ج ١ ص ٥٣ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ص ١٦٣ و شذرات الذهب ، ج ٣ ص ١٠٧ و روضات الجنات ، ج ٢ ص ١٦٦ .
(٢) في معجم الادبا ، والتذكرة الحمدونية ووفيات الاعيان والوافي بالوفيات و شذرات الذهب : " يملك " .
(٣) لم يذكر في التذكرة الحمدونية سوى هذين البيتين .
(٤) في معجم الادبا : " زاد " والبيت الرابع لم يرد في المصدر نفسه .
(٥) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٨ و معجم الادبا ، ج ٢ ص ٢١ ووفيات الاعيان ، ج ١ ص ٣٩٢ و الصفدي مع الوافي
بالوفيات ، ج ٦ ص ١٦١ .

"اقول وقد جردتها من ثيابها

لئن (١) آلمت صدرى لشدة ضمها

وقوله: (٢) فديت من لاحظني طرفها (٣)

لما رأت بدر الدجى ثائها

ازاحت البرقع (٤) عن وجهها

وقوله: (٥) احشمتها بالعتب عند لقاءها

واستكملت عفة البدور بطلمعة

فبهت انظر من لجين جينها

وقوله: (٦) هيفاً تحكي قضيباً

تفتـر عن سمطدر

جردتها واعتقنـا

باتت وكل مصـون

في ليلة لم يعبهـا

وعانقتها كالبدور في ليلة التـم

لقد جبرت قلبي وان اوهنت (٧) عظمي "

من خيفة الناس بتسليمتـه

وغاظها ذلك من شيمتـه

فردت البدر الى قيمتـه "

فتلشت من شدة استحياؤها

وبحلة صبغت بلون سائها

متخفرا في لازورد رداؤها "

قد جمشتـه الريـاح

عليه مسـك ورا ح

كل لكل وشـاح

لي من حماها مباح

ففي الدهر الا الصباح "

ومن الواضح ضعف العاطفة الصادقة في هذه الابيات، واجمل ما فيها الابيات التي يصف

(١) في معجم الادباء وفيـات الاعيان والوافي بالوفيات : " وقد "

(٢) في الوافي بالوفيات : " وهنت "

(٣) البيـمة ج ٢ ص ٢٥٨ والتنوخي ونشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٣٢ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٢٢

والوافي بالوفيات ج ٦ ص ٦١

(٤) في نشوار المحاضرة : " سارقني لحظها "

(٥) في المصدر نفسه : " سلت له البرقع " وفي معجم الادباء : " سرت له البرقع من وجهها "

(٦) البيـمة ج ٢ ص ٢٥٧

(٧) المصدر نفسه ص ٢٥٧ - ٢٥٨

فيها تحركات الحبيبة من تسليمها باستراق النظر اليه ، او تلثمها حياءً وهذه مرات قليلة
يصف فيها تحرك الحبيبة بعفوية وطبعية في مقطوعاته ، كما يلاحظ انه يشغل الاحاسيس
المختلفة في الوصف كوصفه فم الحبيبة كما يحسه بواسطة العين والانف واللسان فاسنانها
سقط در راء حته المسك ومذاقه الخمر ، وقد احسن الصابي في اعتماد المفاجأة وذلك عندما
عد المصباح عيساً شوء جمال الليلة .

ومن ابياته الغزلية ايضاً بعض المقطوعات التي يحاول فيها التعبير عن عاطفته واشجانه ،
يقول (١) : " تورد (٢) دمعى اذ جرى (٣) ومدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما ادرى ابا لخمير اسبلت جفوني ام من عبرتي كنت (٤) اشرب "
ومن ذلك ايضاً وصفه للحب الذي يربطه باحدى النساء ومحاولة اضافة معنى روحي على العلاقة
بينهما فيرتفع بذلك عن الاوصاف والتشبيهات المادية :

بجارية امسى بها القلب يلهج	" الى الله اشكو ما لقيت من الهوى
توهمت ان الروح بالروح تنزع	اذا امتزجت انفسنا بالتزامننا
ووجدى ما بين الجوانح يلحج	لاني وقد قبلتها بعد هجعة
بانفاسها نفسا الى الصدر تولج	اضفت الى النفس التي بين اضلعي
فاني الى النفس الجديدة احوج " (٥)	فان قيل لي اخترايلا شئت منهما

(١) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٦ والتنوي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ص ٢٣٢ ووفيات الاعيان ، ج ١ ص ٣٩٢ .

والجساس ، معاهد التنصيص ، ج ٢ ص ٥٩ .

(٢) في معاهد التنصيص : " تشابه " .

(٣) في نشوار المحاضرة : " فاستوى ومدامتي " .

(٤) في المصدر نفسه : " من دمع عيني اشرب " .

(٥) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٧ و معجم الادباء ، ج ٢ ص ٧٠ - ٧١ .

يبدو لنا في هذين المقطعين ظاهرة كثيرا ما تلمح في معاني الصابي الشعرية وهي الشعور بالوحدة . ففي المقطع الاول يلاحظ ان التشابه بين الدمع والخمر وحده بينهما حتى اختلط الامر على الشاعر فلم يعد يدري ان كان ينهمر الخمر من جفونه ام انه كان يشرب دموعه . اما في المقطع الثاني فالظاهرة اكثر وضوحا وتميزا فالوحدة هنا بين المادة والروح وبين الروح والروح فهي وحدة روح وعاطفة وجسد وانفاس ، تلمح فيها ما يمكن ان يعد اثرا صوفيا انه يذكر بقول الحلاج :

" انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا " (١)

وربما هذا ايضا اثر صابئي ، وهو الأرجح ، انه ان فرقة الصابئة الحرنائية التي ينتمي اليها ابو اسحاق ، تؤمن بالحلول وتعتبر ان الله واحد ومتعدد لانه يظهر بالاشخاص ويتشخص بها (٢) .

ومن الغزل ايضا قول الصابي : (٣) .

" هيفاء كالغصن في رشاقتـه
لفاء (٤) كالدهـص (٥) في كثافته
تبخترت والعثان يكنفهـا (٦)
فكانت البدر وسط هالتـه "

ويلاحظ ان الصابي هنا يجمع في وصفه بين ضدتي الرشاقة والكثافة ، اما تشبيه المرأة بالبدر

فهو ما يسترعي الاهتمام لانه يتكرر كثيرا في غزله وربما كان عائدا الى الاثر الصابئي

(١) الحسين بن منصور الحلاج ، ديوان الحلاج (تحقيق كامل مصطفى الشبيبي ، بغداد ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤) ص ٧٧ .

(٢) راجع ص ٩ من مقدمة هذا البحث .

(٣) اليثيمة ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٤) امرأة لفاء : ملتفة الفخذين ، وقيل ضخمة الفخذين مكتنزة . اللسان : مادة : لف .

(٥) الدهص : قور من الرمل مجتمع . اللسان : مادة : دص .

(٦) العثان والعثن : الدخان . يقال : عثت المرأة بدختها اذا استجمرت وعثنت الثوب بالطيب اذا دختته عليه حتى عبق به . اللسان : مادة : عثن .

في نفسه وإلى علمه بالنجوم ، حتى نجده . . . يستمد تشبيهاته من الفلك .

ثم إن غزل الصابي كان يتم أحياناً بالعقلانية وضعف العمق الشعوري حين يصبح معرضاً لثقافته الواسعة ولما كان يشتمل عليه عصره من تعدد فكري وديني كما ولتسه وصف حبيسه بأن من يراه من أي دين كان ، يرى فيه ما يثبت على دينه . يقول : (١)

للدين منه فيك عدل شاهد	" كل الوري — من مسلم ومعاهد (٢)
حور الجنان لدى النعيم الخالد	فاذا رآك المسلمون تيقنوا
تعطو ببدر فوق غصن مائد	واذا رأى منك النصارى ظبيبة
بك إذ جمعت ثلاثة في واحد	اثنوا على تثليثهم واستشهدوا
قالوا لدافع دينهم والجاحد	واذا اليهود رأوا جبينك لامعا
لكليمه موسى النبي العابد	هذا سنا الرحمن حين أبانه (٣)
مسود فرع (٤) كالظلام الراكد	وترى المجوس ضياء وجهك فوقه
حجسج اعدوها (٥) لكل معاند	فتقوم بين ظلام ذاك و نور ذا
من راعع عند الظلام وساجد	اصبحت شمسهم فكلم لك فيهم

(١) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٩ ومعجم الادب ، ج ٢ ص ٨٦ — ٨٨ والخوانساري ، روضات الجنات ،

ج ١ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٢) في روضات الجنات ، ج ١ ص ١٦٤ : " معانده " .

(٣) في المصدر نفسه : " اثنى به " .

(٤) في المصدر نفسه : " شعر " .

(٥) في روضات الجنات ، ج ١ ص ١٦٤ : " تعددها " .

والصابئون يرون انك مفرد (١) في الحزن اقرا لفرد (٢) ماجد
كالزهرة الزهراء انت لديهم مسعودة بالمشتري وعطارد
فعلى يدك جميعهم مستبصر في الدين من غاوى السبيل وراشد
اصلحتهم وقتنتني (٣) وتركتني من بينهم اسعى بد ين فاسد

فالصابي قد تجاوز في غزله في هذا الخلام ما حظرت منه الاديان ورأى ان جماله
يدعو الى تثبيت الدين لا الى الفتنة فهو لدى المسلمين دليل على الحور العيمن،
ولدى النصارى دليل على التليث، ولدى اليهود دليل على صحة التلي، ولدى المجوس
دليل على وجود عنصر النور والظلمة، ولدى الصابئة دليل على التوحيد وعلى
اثر الفلك على الناس .

الخمير :

للصابي قصيدتان يصف فيهما مجلس الخمر . احدهما الى صديق له يستدعيه
ويصف ما عنده من رؤوس الحملان والشراب والفتق والمطرب الممتع، والثانية يشبهه
فيها مجلس الانس بالمعركة . وله اربع مقاطع اخرى في وصف الخمر والماقسي
تشتمل على المعاني الخمرية المعروفة كتشبيه الراح بالعدرا، ووصف الجباب الناتج

(١) في معجم الادباء، ج ٢، ص ٨٢ وروضات الجنات، ج ١، ص ١٦٥ : " فردة " .

(٢) في روضات الجنات، ج ١، ص ١٦٥ : " لرب " .

(٣) في معجم الادباء، ج ٢، ص ٨٨ : " وقتلتني " .

عن تمكّابها أو مزاجها وذكر أثرها في النفس من السعادة والراحة وطرد الهم ١ نذكر من قصيدته الأولى :

طبّاخنا صانع رؤوسنا	يسقط في طيّها الخلال
مبيضة كاللجين لونا	شبهة كلها نظلال
واخذها في الرقاق يحكي	صريع حمى له لحال
نسقى على ذاك روح د ن	ارق اسمائها السلال
عروس د ن صفت وطابت	لونا وطعما فما تعاف
كأن ابريقها لدينا	ناكس رأسه رعا ف
والنقل من فستق جنى	رطب حد يث به القطاف
وسمع مطرب ملهى	يحرم عن مثله العفاف
فصر الينا غدا بليل	افد يك من كل ما يخاف
فانت اصل السرور عندى	وكل ما بعده مضاعف (١)

أما قصيدته في تشبيهه مجلس الانس بالمعركة فقد سبقه الى ذلك أبو نواس في قصيدة

(١) البتية ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢

مطلعها : " اذا عبا ابو الهيجا " للهيجا " فرسانا " (١)

فالفكرة مقتبسة من ابي نواس وان كانت الاوصاف التي يستعملها في القصيدة مختلفة بحيث لا تشابه الا في تشبيه السكارى بقتلى الحرب وجرحاها . والفرق الاساسي بين القصيدتين بالاضافة الى كون النواسي مبتدعا والصابي مقلدا هو ان ابا نواس لم يصف المجلس لمجرد الوصف وانما ليتخذ موقفا من الحرب التي تعم الناس بالدمار مفضلا عليها حرب السدام التي يسقط فيها الضحايا ثم لا يلشون ان ينشروا .

بالاضافة الى ذلك نجد عدة معان نواسية في قصائد الصابي منها مثلا حديث الصابي حول اللادميـن في مقطع غزلي حيث يقول :

" ايها اللائم المشيق صدرى لا تلمني ففكرة اللوم تنورى " (٢)
الماخوذ من قول النواسي الشهير :

" دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء " (٣)
لكن شهرة هذا البيت لابي نواس تجعلنا نعتقد ان الصابي ربما كان يعتمد الاشارة اليه والتذكير به . ومن اقتباسه عن ابي نواس قوله :

" كوكب الاصباح لا حيا طالعا والديك صاحبا
فاسقنيها قهوة تـا سو من الهم جراحا " (٤)

-
- (١) ديوان ابي نواس (تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٢ / ١٩٥٣) ص ١٩٨ .
(٢) اليتيمة ج ٢ ص ٢٥٦ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٦٩ .
(٣) ديوان ابي نواس ص ٦ .
(٤) اليتيمة ج ٢ ص ٢٦٠ .

ويقول أبو نواس في ذلك :

" هات من الراح فاسقني الراحا اما ترى الديك كيف قد صاحا
وادبر الليل في معسكره منصرفا والصباح قد لاحا " (١)

ومن خمريات الصابي القليلة التي لدينا قوله :

" صفراء كالتيبر جامها (٢) يقف (٣) شعاعها كالذبال يأتلق
كان في كف من اتاك بها ضحى نهار في وسطه شفق " (٤)

فالظهر الحسي الذي تمثل في الالوان التي اجتمعت في الجام والخمرة والكف لتؤلف وحدة
جمالية تجاوزت الجزئيات، ذكر الشاعر بهذا الوجود الكوني الواحد وقد تمثل بالزمــــن
في مفهومه الابدى الذي يتجاوز التابع الحسي لمختلف الاوقات .

ومن قصيدته في تشبيهه مجلس الانس بالمعركة قوله :

" ومجلسنا حومة ارهجت لزحف الندامى اليها بدار
كان فكاهاتهم اذ علت غاغم للحرب فيها شعار
كان الكؤوس يأيدى السقا سيوف لها بالدماء احمرار
كان مناديل اكتافهم حائلها اذ عليهم تدار
كان المجامر خيل جرت وقد شار للنند منها غبار

(١) ديوان أبي نواس، ص ٦٨٤ .

(٢) الجام : اثناء من فضة . اللسان : مادة : جوم .

(٣) يقف : ابيض شديد البياض ناصعه . اللسان : مادة : يقف .

(٤) اليتيمة : ج ٢ ص ٢٦٠ .

كأن السكرى رجال الوغى وقد عقرتهم هناك العقار
وقد جدلتهم جسورهم وجرح المدامة فيها جبار* (١)
وإذا قورنت هذه الأبيات بأبيات أبي نواس في الموضوع نفسه يتبين لنا الركاكتي صياغة
الفكرة لدى المأبى بحيث أنه لم يتوصل الى تمثيل المشهد وكأنه معركة حقيقية، فاستمر
في ربط كل حركة او مشهد من معركة الدمام بما يشبهه في المعركة الحقيقية، مقربا
بين الحالتين باستعمال اداة التشبيه " كأن " . وليلاحظ الفرق في أبيات ابسي نواس :

" اذا عبا ابو الهيجا	" للهيجا فرسانا
وسارت راية المسوت	امام الشيخ اعلانا
جعلنا القوس ايدينا	ونبل القوس سوسانا
وقد منا مكان النب	ل والمطررد ريجسانا
فعادات حربنا انسا	وعدننا نحن خيلانا
بفتيسان يرون القت	ل في اللذة قريسانا
اذا ما ضربوا الطبيل	ضربنا نحن عيداننا
وانشأنا كراديسا	من الخيرى الوانسا
واحجار المجانيق	لنا تفاح لبنانا

(١) البيضة ج ٢، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

سبنا خمرا فمقانا	ومشنا حرينا ساق
وذا ينجر سكرانا	ترى هذاك مصروعا
نعم الناس عدوانا	فهذى المحارب لا حرب
بها ننشر قتلائنا * (١)	بها نقتلهم ثم

ونلاحظ ان التشبيه لدى ابي نواس خفية المأخذ، يعتمد في الكثير منها على استعمال الفاظ الحرب " كالكراديس " و " سبا " و " مصروعا " و " القتل " . . . كما انه لا يستعمل ادوات تشبيه مما يدل على شدة الشبه بين الحالىين حتى كأنه لا يشبه، كتشبيه التفاح بأعجار المجانيق، والسكران بالصريع، ولا يندى بالقوس والريحان بالنبل والريح

الوصف :

المقاطع التي يخصصها الصابي للوصف تعالج في معظمها موضوعات معينة درج الشعراء في عصره على وصفها وتنافسوا في ذلك، اما في عصرنا فلم تعد تعنينا بشيء، كما ان وصفها جاف لا قيمة له طالما انه لا ارتباط لها بنفسية الشاعر ووجدانه، فالوصف هنا نوع من النقل التصويرى لهذه الموضوعات من حيز الوجود في الواقع الى الورق، والتفنن في تشبيهها بأشياء معينة . وذلك بخلاف وصفه الذي يخرج عن شعور صادق وتعلق اصيل حميم كوصفه للخمرة في الجام في الكف . . . وهكذا نرى لدى الصابي شعرا في الترجيس

(١) ديوان ابي نواس، ص ١٩٨ .

والورد ، وفي شامة كافور (١) ، وعتيقة الطيب ، وفي الغالية (٢) ، والنافجة (٣) ،
وفي المدخنة والشمعة ، والقبح والبغاء والخطا طيف ٠٠٠ وسنثبت نماذج من هذه الاوصاف
دون التوقف عند احدها لان ما ذكرنا من خصائص الوصف التصويرى لدى الصابي ينطبق
عليها جميعها ، قال في عتيقة الطيب :

تبعث اليك امامها ببشيرها	* وعتيقة للطيب ان تستدعها
فكأنه مستأذن لحضورها	يلقاك قبل عيانها ارج لها
تأتيك ام من مسكها وعبيرها	نفحاتها لم تدر من كافورها
عن ان تقاس بشكلها ونظيرها	مزجت ببعض بعضها فتوحدت
مثل اللسان يشيع سر ضميرها * (٤)	لا عيب فيها غير ان نسيمها
ن لم تكن من ظهر فحل	وقال في النافجة : * ومشيمة من نسل بط
من غير تطريق بحمل	اهدت اليك جنينها
بشت لها وبرشق نبل	بل باقتناص جبال
لا تشتري الا ببسندل	فندت بضاعة تاجر
لكن بشم لا بأكل	فيها لنفس قوتها

(١) العمامات : ما يتشم من الارواح الطيبة . اسم كالجبانة . (اللسان مادة : شم) والكافور

اخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلع وكافور الطلعة وماؤها الذي ينشق عنها والكافور نبات
طيب الريح يشبه بالكافور من التخل . (اللسان مادة : كفر) .

(٢) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن . (اللسان مادة : غلا) .

(٣) النافجة : هي سره الطيبة التي يجتمع اليها فضل دموى من جسمها فيقع فيها الورم ويشد وجعها حتى
تمسك عن الرعي وورود المياه فتسقط عنها ، او ان الطباء تصاد وتذبح وتؤخذ سررها والمسك فيها ما زال

دما حتى اذا جف اشددت رائحتها ثم توضع النوافج في مزاول وتخالط القلقشندى ، صبيح الاعشى ، ج ٢ ، ص ١١٤
(٤) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

حلت محلا لا تبرى الا لذي الخطر الاجل * (١)

وقال عن لسان مدخنة محلاة وامر بنقشها فيها :

جمعت من حليتي وعرفي ما بين حسن وبين طيب
ادخل في الذيل من محسب طورا وفي الكم من حبيب
فكم ترددت بين هذا وذا بسرغم من الرقيب * (٢)

وقال في الورد : " اما ترى الورد قد حياك زائره
كل انفاسه انفاس غائبة بنفحة فرجت عن كل مصدور
تفتحت وجنسات في جوانبه معشوقة خالطت انفاس مخمور
كل انفسا انتزعت من اوجها لهور * (٣)

الرثاء :

للصابي قصيدتان في الرثاء ، احدهما في رثاء ابنه سنان ، والثانية في

رثاء ابي الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة . قال في رثاء سنان :

اسعداني بالدمعة الحمراء جل ما حل بي عن البيضاء
يولم القلب كل فقد ولا مث ل افتقاد الآباء للإبناء
هد ركني مشوى سنان وقد كا ن يهد الاركان من أعدائي
عكست فيك دعوتي اذا فسد ي لك برغمي فصرت انت فدائي

(١) البتية ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٢ .

انما كنت فلذة من فزادى
خطفتها المنون من احشائي
كنت مني وكنت منك اتفاقا
والتثاما مثل العصا واللحما*
وكنت في اليتيم في اجمل مني
نيك للشكل في اوان فنائي*
ولئن كان نسب اخيك واولا
دكما ما يغتر من برحائي*
فلعمري لربما هيجوا الشر
ق فزادوا في لوعتي وبكائي* (١)

تبدأ القصيدة بلفظ " اسعداني " ويتبع ذلك ذكر جلال الرزء ، وكان ذرف العين للدمع هو مما يسعد الثاكل المفجوع الذي لم تعد عيناه تساعدانه على البكاء ، بعد ان تركت وفاة ابنه الما في قلبه وضعفا في قواه . وقد خرج الشاعر عن المألوف في الرثاء في زمنه من تأييد الميت وذكر صفاته ومدحه فتركزت معانيه على ذكر اثر وفاته ابنه عليه ، والتي آلمت قلبه . وهدت ركنه ، وعلى وصف العلاقة التي كانت قائمة بين الاثنين : علاقة وثيقة وحميمة الى حد الوحدة . فالبيت فلذة من فزاد الشاعر وكأنه متحدين كاتحاد العصا واللحما بروابط طبيعية - اتفاقا - واخرى رمما فكرية واخلاقية - التثامما .

المقطع الاخير هو الاكثر تأثيرا في القصيدة ، ففيه تعبير عن المم الشاعر الذي كان ينتظر الموت لنفسه في شيخوخته فاذا به يلقاه في فلذة كيد . وفي البيتين الاخيرين يذلل الالم والتفجع على الشاعر فيعجز عن السلوة بعد ان كان يظن انه سيلقاها بوجود ابنه الآخر واحفاده . وفكرة هذين البيتين مأخوذة من قول ابن الرومي في رثاء ابنه الاوسط :

(١) اليتيمة ج ٢ ، ص ٢٧٠ والابيات التي تحمل علامة النجمة موجودة في المباني ، معاهد التنصيص ،

* ارى اخويك الباقيسين كليهما يكونان للاحزان اورى من الزند

فما فيهما لي سلوة بل حرارة يهيجانها دوني واشقى بها وحدي* (١)

نجد الشاعر في هذه القصيدة بالانتقال من ضمير الغائب الى المخاطب وكأن الحديث حول هذا الفقيه جعله يستعيد اليه فيتصوره امامه ويخاطبه مخاطبة الحي للحي . ويلاحظ ان معاني القصيدة تدور بين الشاعر والفقيه فقط ولا دخول لاشخاص آخرين باستثناء ابنه الثاني واحفاده . وكأن المصيبة قد حولت نظر الشاعر عن العالم من حوله وحضرته في هذا الذي ضمنه التراب ، فاذا التفت الى من سواه فالى اقرب الناس اليه واخصهم به : اخيه وابنايهما ، والا لتفات الى هؤلاء لا يلبث ان يعيد الشاعر الى تذكر الميت والبكاء عليه . لكننا اذا قارنا بين تعبير الصابي عن المصيبة لفقد ابنه في هذه القصيدة من جهة ، وفي رسالة كتبها الى الشريف الرضي ردا على تعزية وصلت منه من جهة اخرى ، نجد ان الشراذمة اكثر طواعية في يد الصابي حتى للتعبير عن خلجات نفسه : " فصادفت مني قلبا عليلا وخاطبرا كليلا ونفسا قد اثخنها الرزية وولتها المصيبة ، وحالتها المحنة عما كانت عليه من جلد وقوة ونما سك ومعرفة " (٢) ويمكن القول اخيرا ان قصيدة الصابي في رثاء ابنه

(١) يقول الثعالب في اليتيمة (ج ٢ ص ٤٩) ويتابعه صاحب المعاهد التنصيص (ج ٢ ص ٧١ - ٧٢) ان

الصابي لم بهذا الشعر بقول ابن الرومي ولم يحسن بعض احسانه :

"واني وان متعت بابني بعد
واولادنا مثل الجوارح ايها
للكل مكان لا يسد اختلاله
هل العين بعد السمع تكفي مكانه

لذاكره ما حنت النيمب في جلد
فقد ناه كان الفاجع البيمن الفقيد
مكان اخيه من جزوع ومن جلد
ام السمع بعد العين يهدي كما تهدي *

(٢) رسائل للصابي والرضي ، ص ٧١ .

نفثة شعورية عفوية املاها خاطر كليل وقلب كليم ، اما قصيدته في
رثاء خاله (٢) ثابت بن سنان فقد تسنى له ان يتأنق في منعها على ما جرت
عليه الشعراء في المراثي ، فعبّر عن عاطفته بالبكاء والتلف والزفرات ، مستعملا
في تبيان ذلك التنويع في الاسلوب كالانتقال من الخبر الى الانشاء وبالعكس واستعمال
النداء والاستفهام ، ثم انه اعمل عقله في استذكّار اخلاق الميت ومدحه . من
هذه القصيدة :

نشيج باك حزين دمعته يكف	" اسامع انت يا من ضمما الجدى
يكاد منها حجاب الصدر ينكشف	وزفرة من صميم القلب مبعثها
لربها انه ذو غلة أسف	اثابت بن سنان دعوة شهدت
تشفي العليل اذا ما شفه الدنف	ما بال عليك ما يشفي وكنت به
وكنّت ذائدا والروح تختطف	غالتك غول المنايا فاستكنّت لها
الدين والعقل والعلياء والشرف	شوى بمذناك لحد ^{في} سكنت به
مهدا جسمه من نعمة ترف	لهفي عليك كريما في عشيرته
فيها التراب فمنها الفرش واللحف ^(١)	قد اسلموه الى غرباء يشملهم

الحكمة :

للصابي بعض الابيات في الحكمة مستقلة على شكل مقطوعات ، او متفرقة داخل
قصائد اخرى . ويمكن تسمية هذه الابيات بالخواطر وذلك انها تهيأت للشاعر

(١) معجم الادباء ، ج ٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

نتيجة تجاربه وتأملاته في الحياة، ينقصها العمق الانساني والشمولية، فهي
وان كانت تأملات عامة، انما صاغها واقع عانى منه الشاعر . من ذلك نظرته
الى ان افضل الموت اسرعه لان الانسان كلما طال عمره اتيح له التعرض للمزيد
من الروعاء، لذا يجب الا يغتبط بالعيش الذي يصاحبه الخوف ثم ينتهي بالوفاة .
يقول : (١)

" اذا لم يكن بد من الموت للقتى فأروحه الاوحى الذى هو اسرع
وما طال عمر قط الا تطاولت يصاحبه روعات ما يتوقع
فكن عرضا بالعيش لا تغتبط به فحصوله خوف وعقباة مصرع .
ومن حكمه قوله في احدى المقطوعات :

" الضب والنون (٢) قد يرجى التقاؤهما وليس يرجى التقاء اللب والذهاب (٣)
او قوله ان الدهر يقدم الخير والشر والانسان معرض للحاليتين : لكسب ما يرجوه او ما يخشاه
فيجب الا يأس من صفاء الدهر وهنائه :

" الا ايها الانسان لا تك آيسا من الدهر ان تصفو عليك مشاريه
فان له حتما من الشر واجيبا وحتما من الخير الهني عواقبيه
وان تلق من حتميه ما كنت تتغنى فأولى بك الحتم الذى انت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارها لكسبك ما تخشى وانت مجانبه (٤)

(١) البيضة ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٢) النون : الحوت . والجمع انواع ونينان . واصله نونا ن قليب الواو ياء لكسرة النون . (اللسان مادة :
نون) .

(٣) البيضة ج ٢ ص ٢٩١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

هذه الحكم جميعها شديدة الالتصاق بحياة الصابي الذي كان يتمنى الموت السريع
لنفسه فلا يعيش أكثر ويرى المزيد من النوائب ، وكان هو الذي يشكو الفقر فيما هو غني
بالادب والعلم ، وهو الذي قدم الدهر له الخير والشر وتقلب به الايام بين سعادة وشقاء .
من هنا نفسر صبغة التشاؤم التي تسيطر على حكمه المكتوبة في السجن ويتحدث فيها
عن الموت والفقر ، فيما قد تخلص حكمه الاخرى من هذه الصبغة ان نجده يدعو الى
الامل بالناحية الايجابية في الحياة ، والى عدم الخوف من الاقدام والسمي والاجتهاد :

اتهاب في العزمات ظنا	ربما وقيت عنه
وامامك الموت الذي	ايقت ان لا بد منه
هذي سبيل الخائب ال	كابي الزناد فلا تكنه
الدهر خوان ولـ	كن كم سعيد لم يخنه
وشقي جسد قد تحرر	ز بالتصون لم يمنه
فاحذر مرارا ان يخـ	ون ومرة لك فأتمنه
واستبصر حظك بالتقلـ	ب في المطالب وامتحنه
وابسط رجاء قد قبض	ت وشق برئاك واستعنه (١)

اذا ، خبرة الصابي بالايام جعلته يؤمن بعدم الاغتيال بالخيمر خوفا من الشر
الذي سيعقبه وعدم اليأس امام النوائب فالفرج لا بد آت . اما خبرته بالناس فـ
جعلته يبحث فيهم عما وراء الاقوال والكلمات والاوجه :

" لا تراعى المقال من السن الناس راع القلوب ما اذا تقول " (١)

الشكوى :

الظروف الصعبة التي مر بها الصابي من نكبة وسجن خلقت لديه ميلا الى الشكوى يعبر بها عن شعوره بالظلم والخبث فشردت المقطوعات الشعرية التي يشكو بها ما اصابه اذ اجتمع عليه ظلم الحكام وتغلغل في سجنه وتكبته وفقره وظلم الايام وظهر في مرضه وعجزه . وقد افادتنا شكواى الصابي كثيرا في دراسة حياته وتقلب الايام به ومعرفة شخصيته وتطلعاته . على ان الميل الى الشكوى لم يكن فقط في مقطوعاته الشعرية وانما في الكثير من المقطوعات الثرية التي حفظتها المصادر والتي طبعت كتاباته الشخصية من نشر وشعر بطابع من الحزن وعدم الاستقرار . مترجحا بين اليأس والامل . فكانت مقطوعاته التي تحمل شكواه من اصدق شعوره واقربها الى نفسه .

من شعره ما يشكو به النكبات وليلاحظ التارجح بين اليأس والامل في المقطوعتين الاولىين .

يقول (٢) :

اخرى فنحسي بهن متصل	" اخرج من نكبة وادخل في
لا بد من ان تقيمها الدول	كانها سنة مؤكدة
والموت حلوا كأنه عسل	فالعيش مر كأنه صبر

(١) هلال بن المحسن ، غرر البلاغة ، ص ٣٤١ .

(٢) اليثيمة ، ج ٢ ، ص ٢١٢ والعباسي ، معاهد التنصير ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

ويقول في مقطوعة أخرى (١):

" تلوح نواجذى والكأس شربي
ف فوق السرلي جهر ضحوك
مأثت اذ يصادمني زمانسي
وارقب ما تجي* به الليالي

واشربها كأنني مستطيب
وتحت الجهر لي سر كئيب
بركنيه كما ثبت النجيب
ففي اثنائه الفرج القريب" (٢)

ويقول في الحظ الذي خانته في مشييه (٣):

" عجباً لحظي اذ اراه مصالحسي
امن الغواني كان حتى ملني (٤)
امع التضعض ملني متجنباً
يا ليت صوته الي تأخرت

عصر الشباب، وفي المشيب مغاضبي
شيخاً وكان على صباي صاحبي؟ (٥)
ومع الترعرع كان غير مجانبني
حتى تكون ذخيرة لعواقبي "

ويقول شاكيًا المرض والمعجز في اواخر ايامه (٦):

" قد كنت اخطو فصرت امطو
خانك عهدى يدي ورجلي

وزاد ضعفي فصرت اعطو
فليس خطو وليس خط

(١) البتية ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٢ ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ٧٣.

(٢) في معاهد التنصيص: " فرج قريب ".

(٣) البتية ج ٢ ص ٢٤٣ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩ ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ٦٢.

(٤) في معجم الادباء ج ٢ ص ٢٨ ومعاهد التنصيص: " خانسي ".

(٥) في معاهد التنصيص: " لدى الشبيبة صاحبي ".

(٦) رسائل الصابي والرضي ص ٩٦ - ٩٧.

كل على كل من يليني
وسوف افضي الي اوان
اشال كالثقل او احط
علي منه الحمام يسطو
فللمنايا الي قرب
وللأماني نوى تشط *

الاستعطاف :

ويلحق بشعر الصابي في الشكوى شعره في الاستعطاف والعتاب من حيث ذكر همومه
واشجانه لاحد اصدقائه او ثقائه ، او لاحد اولياء الامور ، طلبا للمساعدة او عتابا
لمن لم يلتفت اليه ابا ن محتته ، ويتميز هذا النوع غالبا بغلبة الشعور بالاسحاق
خاصة امام ولي الامر الذي ينتظر منه المساعدة او الصفح والغفران * فقد كتب
عندما سجنه عضد الدولة الى عبد العزيز بن يوسف وزيره قصيدة مطلعها :

" كفاني علاء حين افخر انني
ومنها : " عستم جميع الناس حسنا لمحسن
اضاف الى عبد العزيز وانسب
وعفوا لذي جرم فغيشوا واخصبوا
ولي عراقي غدا وهو مجذب
وسكيتهم في رتبة حين رتبوا
جفونك عني حين ابكي وانسب
غلامك عنها بالعراء يمسذب ؟" (١)

فما بال ابراهيم اذ ليس قبله
مجليهم في حلبة حين ارسلوا
وما لك يا عيني البصيرة غمضت
وكيف استطبت العيش في ظل نعمة

وكتب الى عضد الدولة من السجن مستعطفا من قصيدة :

" وجسك لي جاء عريض ورفعة
وقيدك في ساقبي تاج لفرقي
وما موثق لم تطرحه بموثق
ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق
خلا ان اعواما كلن ثلاثة
تعرفت (١) البقيا اشد تعرق
خدمتك مذ عشرون عاما موقفا
فهب لسي يوما واحدا لم اوفق
فان يك ذنب ضاق عندى عذره
فعندك غفرو واسع غير ضيق" (٢)

وكتب اليه ايضا من السجن وقد خرج الى الزيارة بالكوفة قصيدة مطلعها :

" توجهت نحو المشهد العلم الفرد
على اليمن والتوفيق والطائر السعد
ومنها : " اذا ابهرت عيناي خدا معفرا
لديك نقلت التراب منه الى خسدي
واذا سمعت اذنناى عنك محدثا
لهجست بتكرير الحديث الذي بيدي
فذكراك جهري حين يطرق زائري
ونجواك سري حين اخلو بها وحدي
فلا تبعدني عنك من اجل عشرة
فان جياذ الخيل تعشر ان تخسدي
ومن زل يوما زلة فاستقالها
فذاك حقيق بالهداية والرشد" (٣)

هذه الشواهد تظهر الصابي في حلة من الذل والسكنة امام اوليائه، وكان كل ما يريد، هو الخلاص من سجنه بأية طريقة كانت، ولو بالتعلق وارقة ماء الوجه، فالشكوى عند مصحوبة بالمدح دائما كما يلاحظ، فهو لا يجزو على الشكوى الا بعد ان يمدح، مستمدا معاني المدح من المهانة التي هو فيها، كما في عد سجن عضد الدولة له رفعة وجاها، وقيده في

(١) عرق العظم يحرقه عرقا وتعرقه واعترقه : اكل ما عليه . اللسان مادة : عرق .

(٢) معجم الادبا، ج ٢، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) التنبية، ج ٢، ص ٢٩٥ .

قدمه تاجا يزين رأسه .

التهنئة والاهدا :

يقرب هذا النوع من المديح لتضمنه اياه، وللصابي عدة قصائد قصيرة ومقطوعات في التهنئة والاهدا، اذ ان مركزه في الدولة وقربه من الملوك والامراء، جعله ينتهز الفرص التي تهى له الحظوة لديهم، وكانت الاعياد خير موسم لذلك يهدي فيها الصابي اولياءه الاشعار والمدائح مرفقة احيانا بشيء من تاجه كاصطرلاب او زيج او رسالة في احد العلوم كالهندسة وعلم النجوم، وغير ذلك . وقد تميز شعره هذا وشعر المديح عن بقية شعره بحسن الاخراج وفخامة اللفظ وذلك انه سواجده بسه الامراء والكبراء وان كانت لا تخلو، كعامية شعره، من التبسط والسهولة التي تقر بها من النثر. يقول الصابي مهنثا المهلبى بعيد الفطر :

اسيدنا هنتت نعمالك بالفطر	ووقيت ما تخشاه من نوب الدهر
مضى الصوم قد وفيتك حق نكته	ووفاك مكتوب المثوبة والاجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزل	من الله فيما ترتجيه على ذكر
هجرت هجود الليل فيه تهجدا	وصبرا على طول القسرة للفجر
فلو نطقنا يا مننا باعتقادها	لناجتاك لفظا بالدعاء والشكر* (١)

وقوله (١): " يا سيدا اضحى الزما
ن بأسره (٢) منه ربيعا
ايام دهرك لم تنزل
حتى لاوشك بينها
فأسلم لنا ما اشرفت
واسعد بعميد ما يزنا
ل اليك معتقدا رجسوعا "

وكتب الى صمصام الدولة مع اصطرلاب اهداء (٤)

" يمز علي ان اهدى نحاسا
الى من فيخر راحته نضار
ولكن الزمان اجتاح حالي
وانت عليه لي ان جار جار "

ويلاحظ في هذا المقطع انه يستدل بالهداء والمدح وسيلة للسؤال .

وكتب الى عضد الدولة (٥) في يوم مهرجان مع اصطرلاب اهداء اليه (٦):

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٨ وابن حمدون، التذكرة (مخطوط برلين، ١١٨٨) الورقة ١٤٢ ب
ومعجم الادباء ج ٢ ص ٨٢ .

(٢) في ابن حمدون، التذكرة (برلين) : " بأنسه " .

(٣) في المصدر نفسه ومعجم الادباء : " عيد " .

(٤) اليتيمة ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٥) بنقل ياقوت (معجم الادباء ج ٢ ص ٣٤) عن المحسن بن ابي اسحاق ان الابيات قبلت

في عضد الدولة وعن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن انها في المظهر .

(٦) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٩ و الحصري زهرة الآداب ج ٢ ص ٩٣ وابن عبد البر بهجة المجالس (تحقيق

محمدرسي الخولي ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧ - ١٩٦٩) ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٨٨ والراغب

الاصفهانى محاضرات الادباء ج ١ ص ١١٧ (البيت الاخير فقط) و معجم الادباء ج ٢ ص ٣٤

و وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٣ و معاهد التنصيص ج ٢ ص ٧٣ - ٧٤ .

" اهدى اليك بنمو الآمال^(١) واحتفلوا (٢) في مهرجان جديد (٣) انت مبليه (٤)

لكن عبدك ابراهيم حيم ———— رأى علو (٥) قدرك عن شي يدانيه (٦)

لنم يرضى بالارض مهداة (٧) اليك فقد اهدى لك الفلك الا على بما فيه (٨) "

تتميز هذه المقطوعة بطرافة المعنى حين عبر عن الاضطراب بالفلك لانه يمثل له ، كما ان فيها اثرا للفكر اليوناني في دلالة الجزئيات على الكلّيات والصابي من المتكئين بالفلسفة اليونانية .

المديح :

مدح الصابي بشعره كما مدح بنشره ، ومدحوه كثر منهم : الملوك البويهيون كعضد الدولة وصمامها ، والوزراء كالمهلبى والصاحب والمظهر ، والكبراء كالشريف الرضى ، والاصدقاء من الشعراء والكتاب كابى الفرغ البغدادى وغيره .

ويتبين مما لدينا من شعر للصابي في المدح انه لم يكن لمدوح معين اثر على شعره ، بمعنى انه لم يقصر مدحه على شخص معين وجد فيه المناقب العظيمة التي تستحوذ على تفكيره

(١) في الحصرى ، زهر الآداب وابن عبد البر ، بهجة المجالس ومعجم الادباء : " الحاجات " . وفي

المعاصى ، معاهد التنصيص : " الاموال " .

(٢) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " احتشدوا " وفي معجم الادباء و معاهد التنصيص : " اختلفوا " .

(٣) في بهجة المجالس ومعجم الادباء : " عظيم " .

(٤) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " تعلقه " وفي وقيات الاعيان : " مملبه " .

(٥) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " سمو " .

(٦) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " يساميه " وفي معجم الادباء : " لا شي يساميه " .

(٧) في بهجة المجالس والراغب الاصفهاني ، محاضرات الادباء و معجم الادباء : " يهديها " .

(٨) في محاضرات الادباء : " وما فيه " .

وتجذب شخصيته اليه ، كما اجتذب سيف الدولة المتنبّي مثلاً * ومن هنا افترقت قصائده ،
المدحية قوة العاطفة وجيشانها ، فكان يمدح كلاباً يتصف به عامة وما كان يبغيه
منه ويريد التركيز عليه ، كتركيزه على مدح الصاحب بالكرم لانه عرف بمطاميره
للادبائه وكان رافده الاول بالمال ، ومدح عضد الدولة واصفا اياه بالحزم والعدل في
السياسة لانه كان بالفعل حازماً وكان يرجو منه العفو عنه في الوقت ذاته ، ومدح
الشريف الرضي بشرف النسب وحسن المناقب ، لان هذه صفاته الفعلية ثم ليعزز
لديه الحق في الخلافة الذي كان يؤمن به ويسعى اليه * ونقدم
بعض النماذج من مدائحه :

قال من قصيدة في عضد الدولة عند مقدمه من الزبيارة

في الكوفة (١) :

لأجل ذي قدم يلاذ بنعلها	" اهلاً بأشرف اوية وأجلها
زيدت به في قدرها ومحلها	شاهان شاه تاج ملته التي
في دولة علقته يداه بحبلها	يا خير من زهت المناير باسمه
هيئات لا تأتي الملوك بمثلها	واقصت فينا سيرة عضدية
ويعيش شربس صالح في فضلها	يردى غوى فاجر في بأسها
نعياً مراكب يذبل عن حملها	مولاي عبدك خالف لك حلفه
لا استطيع اقلها من ثقلها	لقد انتهى شوقي اليك الى التي

(١) معجم الادبائه ، ج ٢ ، ص ٤٢ - ٤٤ .

طوبى لعيـن ابـصرتك ومن لها

بنـيـسار دارك جازيـاعن كحلها

لو بعـتني بـجميع عمري لـفظـة

او لحظـة بالـطرف لم استـنـلـها *

وكتب الى الشريف الرضي قبل وفاته باثني عشر يوما (١):

* ابا كل شي * قيل في وصفه حسن

الى ذاك بنحو من كناه ابا الحسن

فوجدها للاختصار اشارة

الى جملة تفصيلها لك مرتها

وما هي الا كنية لك ارشها

وان مسها من غير اربابها السدرن

الست لها بعد الوصي وآله

وانتم اناس فيكم المجد قد قطن

يجاذبكـم عليـاهـم كل حاسـد

به مرض بين الحيازيم (٢) قد كمن

فيجري الى غاياتكم طالبا لها

على غير منهاج وانتم على السدن

توقلتـم في كل دضـيـة سـؤـد

فاوفيت واستعليت منها على القدن

غدوا لك كالايماض اذ انت كلهم

كمالا عجيبا مثله قط لم يكن

وان غبت عنهم ظاعنا بان فقرهم

الى الواحد الثذ الذي عنهم ظعن

واما يياريك الميارى بهيئة

وزى وملبوس على جسمه حسن

ففي درعك الانسان تمت صفاته

وجمت معاليه وفي درعه الوثن *

(١) رسائل الصابي والرضي، ص ٢٧ - ٣٠ واليتيمة، ج ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) في رسائل الصابي والرضي، ص ٢٨ : " فوق الحيازيم " .

الهجاء :

للصابي بعض المقطوعات في الهجاء ، منها ما هو هجاء مقذع يشتمل على الفاظ نابية قبيحة (١) ومنها ما هو منسرق في الفحش والاذاع بما فيه من الفاظ المجون والمقاذر (٢) ، ومنها عادي يطال النقائص الخلقية . من امثله :

يا جامعا لخلال	قبيحة ليس تحصي
نقصت من كل فضل	فقد تكاملت نقصا
لو ان للجهل شخصا	لكنك للجهل شخصا * (٣)

وقال في انسان شريف الاصل وضيع النفس :

* قل للشريف المنتمي	للنمر من سرواته
وهو الوضيع بنفسه	وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في	اخلاقه وصفاته
لا تجري من الفخا	ر الى مدى لم تأته
ان الشريف النفس ليس	بتلك من فعلاته
واحق من كسسته	بالصنع من درجاته

(١) انظر شواهد على ذلك في البيتية ج ٢ ، ص ٢٨٧ و ٢٨٨ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٨ و الزمخشري ، ربيع الابرار (تحقيق سليم النعيمي ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٨٠) ج ٣ ، ص ٦٠١ - ٦٠٣ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٨٤ و ٨٥ .

و ٨٨ و ٨٩ .
(٣) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

من مجده من غيره وسفاله من ذاته * (١)

ومن الغريب ان نجد للصابي ثلاثة ابيات في ذم الدولة وهو المعروف بالحدرد لشدة
ما اصابه من نكبات على ايدي رجالها ، ولا ندري في اي زمن او مناسبة قيلت :

* الا اقل لأهل الدولة السندلة التي ثوى دارها فينا وأعيادواها

لقد كبست الدنيا على ام وجهها فنحن لها ارض واتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحفظ منها فانه قليل على هذا الحال بقاؤها * (٢)

الفخر :

للصابي في هذا النوع قصيدتان ومقطعان قصيران . يرد في احدى القصائد
على من يعيره بالحبس وفي الثانية يبين مقامه من السلطان وبالتالي مقام كل كاتب
ماحب ديوان . وتتميز هذه القصيدة بقوة المعاني وجمالها وحسن التأليف . يقول (٣) :

* وقد علم السلطان اني لسانه (٤) وكاتبه الكافي السديد الموفق

اوازره فيما عرى واممده برأني يريه الشمس والليل اغسق

يجدد بي نهج الهدى (٥) وهو دارس ويفتح بي باب النهى (٦) وهو مغلق

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧١ - ٢٧٢ والعباسي معاهد التنصيص ج ٢ ص ٧٢ والابيات الثلاثة الاخيرة

في ابن حمدون التذكرة (٧٦٦) ، الورقة ١١٤٨ .

(٤) في معاهد التنصيص : " امينه " .

(٥) في المصدر نفسه : " الملا " .

(٦) في المصدر نفسه : " الهدى " .

فيمنأى يمنأه ولفظي لفظه
وعيني له عمن بها الدهر يوسق
ولي فقر تضحي الملوك فقيرة
اليها لدى أحداثها حين تطرق
أرد بها رأس الجموع فينثني
وأجعلها سوط الحرون فيعنتق
فان حاولت لطفاً فمأء مروق (١) وان حاولت عنفاً فنسار تالق *

(١) في ابن حمدون، التذكرة (٧٦٩)، الورقة ١١٤٨ : "مرقوق" .

قيمة شعر المايبي

أ - القيمة الفنية :

اعطينا خلال عرضنا لموضوعات شعر المايبي بعض مميزات كل نوع ويبقى ان نشير

الى بعض الخصائص العامة التي تميز شعره :

١ - الاسلوب النثري التقريرى : المايبي هو كاتسب بالدرجة الاولى لى لا شاعره ، لذا كان الاسلوب النثري التقريرى المتصف بالوضوح والانكشاف هو الصفة الاساسية الغالبة على شعره ، ما يفقده الخيال الشعري الموحى ، وقوة الالفاظ وغزارتها المتمثلة بوجود المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهو نفسه ما عابه المايبي على بعض الشعراء حين يقول :

" رب شعر اطاله طول معنا

، وان قل لفظه حين يروى

وطويل فيه الكلام كثير

فاذا ما استعدته كان لغوا

عرض البحر وهو ماء اجاج

وقليل المياء تلقاه حلوا * (١)

فالمايبي عندما يطرح فكرة معينة او معنى معيناً قلما يترك لخيال القارئ او السامع مجالاً للانطلاق مع هذه الفكرة وفهمها وتحليلها ، وانما يتتبعها بالتوضيح والتبسيط حتى لا يبقى فيها معنى فيصبح شعره كلاماً عادياً يفقد صبغة الشعر ، وسنعطى بعض الشواهد على ذلك ، فقد كتب الى احد هم مع فنجان صفر :

(١) البتيمة ج ٢ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

* نهدي النحاس الى مولى انا لله
 وكان يلزمنا لولا التعذر ان
 لكن بعدى عن جدواه اصفرني
 وسوف اظفر من اخلاط نائله
 فليسط الآن عذرا لست اسأله
 فقد جرى الماء في عودى بدولته
 واقبلت نحوى الآمال آتية
 نهدي النضار الى العافين متهميا
 يكون اهدا لنا من عينها وهبا
 من كل خير فطار الصر لي شبا
 بالكيميا فيضحى صفرنا ذهبيا
 في قابل ان نل من خدمة سببا
 وكان من قبله مستيما خطبا
 من بعد ما ازمنت من ساحتى هربا * (١)

فاشارته الى ان بعده عن عطائه افقره كان يغنيه عن ذكر البيت من الذين يليان هذه
 الاشارة كما ان ذكر انتعاشه بدولته كان كافيا دون البيت الاخير * ومن ذلك ايضا
 ما كتبه لعهد الدولة مهننا بعهد الفطر :

* لم اطول في دعوتى لمليك
 بل تلطفت باختصار محييط
 طول الله في السلامة عمره
 بالمعاني لمن تأمل امره
 فهي مثل الحروف من عدد الهنـ
 د قليل قد انطوت فيه كثره * (٢)

وهنا يقول انه لم يطول ثم يقول انه يختصر ثم يشبه هذه الدعوة بالهند في قلعة
 عدد الاحرف والكثرة في معناها *

(١) البيتية ج ٢ ، ص ٢٨٢ *

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٦ *

٢ - التكلف في المعاني • وذلك حين يقصد الاتيان بمعان جديدة لم يسبق اليها ،
فيقع في التكلف والبعد عن العفوية ، وقد رأينا شاهدا على ذلك في قصيدة غزلية
جمع فيها اسما ، بعض الفرق الدينية الموجودة في عصره كالمسلمين والنصارى واليهود
والمجوس والصابئة • ونجد شاهدا آخر في محاولته تهنئة المطهر بن عبد الله باليوم
الاجود :

نل المنى في يومك الاجود	مستنجحا بالطالع الاسعد
وارق كمرقى زحل صاعدا	الذ المعالي اشرف المصعد
وفخر كفيض المشتري بالندي	اذا اعتلنى في برجه الابعد
وزد على المريخ سطوا بمن	عاداك من ذى نخوة اميد
واطلع كما تطلع شمس الضحى	كاسفة للحنن الاسود
وخذ من الزهرة افعالها	في عيشك المقتبل الارغد
وضاء بالاقلام في جريها	عطارد الكاتب ذا السود
وباء بالمنظر يدردجى	وافضله في بهجته وازدد (١) •

ويلاحظ التكلف في تقريب كل فعل يفعله من افعال الافلاك والبروج وصفاتها •

٣ - اثر الفكر الصائبي في المعاني : لقد كان لمعتقد الصابي الديني اثره في معاني شعره
من ناحيتين : الفكر الفلسفي الصابي وعلم النجوم • اما الناحية الاولى فتبدو
في تصويره الوانها من الوحدة بين الاشياء او الاشخاص كما لاحظنا في

غزله وخاصة المقطع الذي يصور اتحاده بالحببية ويقول فيه :

" اذا امتزجت انفاسنا بالتزامننا توهمت ان الروح بالروح تمزج
كأنني وقد قبلتها بعد هجمة ووجدى ما بين الجوانح يلعب
اضفت الى النفس التي بين اضلعي بانفاسها نفسا الى الصدر تولج "

وقد تبين التفكير في الوحدة في كثير من المقاطع وقد اشرنا الى ذلك في حينه (١) .
واما الناحية الثانية وهي علم النجوم فقد برزت في استمداده الاوصاف من الافلاك فالكثير
من تشبيه وجه الحببية بالبدر ثم رأينا في تهنتته للوزير المطهر باليوم الاجود في
الفقرة السابقة وقد وصفه بصفات الكواكب .

٤ - الاقتباس : لم يتورع ابو اسحاق عن اقتباس معان كثيرة سبقه اليها الشعراء البديعون
كأبي نواس والمتنبي وابن الرومي . وقد رأينا بعض الشواهد على اقتباسه من أبي نواس
في الخمر وابن الرومي في الرثاء ونعطي شاهدا على الاخذ من معاني المتنبي وذلك
حين يقول ما دحا الشريف الرضي :

" وقد تستوى الاشخاص في عين من رأى وتفرق الاعيان في فهم من فطن
وبين وسميات الوجوه تشابه فكأن فاصلا بين التهيج والسمن " (٢)
وهي من قول المتنبي :

" اعيد لها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم "

(١) راجع ص ٢٩٩ .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٨ والبتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم " (١)
 وقد تنبه بعض اصحاب المصادر القديمة كالثعالبي وياقوت وابن خلكان الى
 اقتباس الصابي فكانوا يشيرون اليه في موضعه * من ذلك اشارة الثعالبي (٢)
 الى ان بيت الصابي :

" وصاد اليك العيد حتى تله بأقصر يوم طاب في اطيب العمر "
 مأخوذ من قول ابن الرومي :

" وليطل عمرك مسرو را بأيام قصار " (٣)
 كما نبه ايضا (٤) وتبعه ياقوت (٥) ان قول الصابي في الشيب :

" ولولا انه ذل وهـون لها احتكم العزيم فيه تنفا "
 مأخوذ من قول ابن الرومي (٦) :

" كفاك من ذلتي للشيب حين بدا (٧) اني توليت تنفي (٨) لحيتي بيدي "
 ويرى ابن خلكان (٩) ان بيت الصابي عن غلامه رشد الاسود مكلما الابيض المستعلي

(١) ديوان المتنبي ج ٤ ص ٣٦٦.

(٢) البيهقي ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٩٨.

(٥) معجم الادباء ج ٢ ص ٩٣.

(٦) يقول الثعالبي انه من قول الاول دون تسمية .

(٧) في معجم الادباء ذ " اتى " .

(٨) في المصدر نفسه : " تنفا " .

(٩) وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣.

عليه :

"ولو ان مني فيه خلا زانه" ولو ان منه في خلا شائني "

ينظر الى قول ابن الرومي من جملة ابيات في جاريته السوداء :

"وبعض ما فضل السواد به" والحق ذو سلم وذو نفق

ان لا يعيب السواد حلكته وقد يحاسب البياض بالبهق" (١)

اذا ، كان العاصي يستفيد مما جاء به الشعراء قبله وحتى انه كان يستفيد من بعض معاني

القرآن الكريم ، ان نراء ينقل معنى سورة الكوثر في بيت شعر ان يقول :

"صل يا ذا العلالريك وانحر" كل ضد وشائي لك ابتسر" (٢)

وفي السورة * انا اعطيناك الكوثر * فصل لريك وانحر * ان شائك هو الابتسر * ويكون

الاقتباس لديه معلنا احيانا وهو ما يعرف بالتضمين ، كقوله في عبد العزيز بن

يوسف :

"ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف" عليه من العليا عين تراقبه

روى ورعى لما روى قول قائل "وشبح الفتى لؤم اذا جاع صاحبه" (٣)

او قوله في الفخر :

"معان لو الاعشى رآه من لم يقل" وبيات على النار الندي والمخلق" (٤)

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٥٣

(٢) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٩ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٨٢ والصفي ، الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٦٢

(٣) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٥ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٨١

(٤) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٢ وابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١١٤٨ والعباسي ، معاهد التنصيص ،

ج ٢ ص ٧٢ وفيه : "الندي والمخلق" .

٥ - الموقف الوصفي من الموضوع : ربما لان الصابي لم يكن شاعرا يعيثر في شعره ، لم يتحد بالموضوع الذي يكتب عنه او يقترب به . من هنا خلت قصائد ، اجمالا من التجربة الشعرية الصادقة ، ومن العاطفة والخيال العفويين ، وبدا الشعر لديه مناعة تفترضها المناسبات كمدح فلان او هجو غيره ، او وصف هذا الشيء ، او ذاك ، فيكتب بما اصطلح على الكتابة به في الموضوع الواحد . كشبيه الحبية بالبدر والاسنان بالبرد والخمر بالعذراء ومجلس الالسن بالمعركة وغير ذلك .

ولا بد من التذكير بان الصابي كان يعد الشعراء نبي موضوعا واسلوبا من الغنم (١) ، ولم يعتبره تجربة حياة تعاثر ، وهذا يفسر لنا بعض الشيء غنمه عن موضوعاته في كثير من الاحيان ووصفها بما السلف وعرفه ، او محاولة تشبيهها بما يقرب منها من اوصاف حمية .

٦ - الالفاظ : يتميز شعر الصابي عامة بالرقعة في اللفظ والعذوبة وهذا من مميزات لغة العصر ، والصابي الذي عاش في بغداد المركز الحضاري الاول في البلاد الاسلامية آنذاك ، بما عرف فيها من الترف المادي والفكرى ، كان رقيق الطبع ، رقيق اللفظ وخاصة في انواع شعره التي تعبر عن مظاهر حضارية كالوصف والخلل والخمر والتهنئة والاهداء . فنحن قلما نقف في شعر الصابي على الفاظ بدوية او معان بدوية لذا يمكن القول ان شعر الصابي ابن عصره معنى واسلوبا ، اذ عبر عما فيه من موضوعات ومعان بروح عصرية مثقفة ورقيقة .

(١) انظر رسالته في الفرق بين المترسل والشاعر ابن حمدون ، التذكيرة (٧٧٠) ، الورقة ٧٧ ب -

ب - قيمة شعره في الدلالة على حياته وشخصيته :

الكثير من شعر الصابي في مختلف الموضوعات ذات أهمية كبيرة في دراسة حياته وشخصيته فقد رأينا خلال دراسة حياته في الفصل الاول وجود نواح عديدة اغفلت المصادر ذكرها او التفصيل فيها فكانت مقطوعات الشعرية كـ
الثريّة وخير مساعد لنا في تميم هذا النقص ان لم يكن يشكّل كامل
قالب الحد الذي يزيل الغموض وتوضح معه المعالم الرئيسية . وما يفيد
الشعر وتعجز عنه المصادر الادبية او التاريخية هو صدقه اولا ، ان الشاعر يكتب
عن نفسه بنفسه ثم انه يبين لنا الاحداث وانعكاسها على نفسيته في الوقت
ذاته ما يساعد على معرفة المزيد من ملامح شخصيته .

ج - القيمة الادبية والاجتماعية :

في شعر الصابي ظواهر ادبية واجتماعية شاعت في القرن الرابع الهجري

منها :

١ - ا كبار البلاغة واصحابها : يبرز من ضمن المناقب التي يوصف بها
الوزراء والشعراء الفصاحة والبیان ، وتفصل مواطن الجمال فيها . ويبدو هذا في شعر
الصابي خاصة في مدحه للوزير المهلبى والشريف الرضى وابى الفرج البينى
وغيرهم . وكذلك في قصيدته التي يفخر فيها بكونه كاتباً

للسلطان يقول الصابي في المهلبى (١) :

" واذا استنطق الانامل جادت
بيبان كالجوهر المنضود
في سطور كما نما نشرت يم
ناه منها عما ثابا من برود
فقر لم يزل فقيرا اليها (٢)
كل مبدى بلاغة (٣) ومعيد
بيبان شاف ولفظ مصيب
واختصار كاف ومعنى سديد
ويقول فيه ايضا (٤) :

" لك في المحافل (٥) منطق يشفي الجوى
ويسوغ في اذن الاديب سلاقه
فكان لفظك لؤلؤ (٦) متنخل
وكأنا آذاننا اصدافه "

وقال في الشريف الرضى :

" تدافع عن احسابهم بمهندى
لسان وسيف ذببا عنهم الفتن (٧)
وكتب الى ابي الفرج البغدادى :

" ابا الفرج استحققت نعمتا لأجله
تسميت من بين الخلائق ببغا
بياننا منيرا كاللجين مضمنا
نضارا من المعنى اذينا واغرنا

(١) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٧٣ والبيتان الاخيران في ابن حمدون التذكرة (٧٦٩)، الورقة ١١٤٨ .

(٢) في التذكرة الحمدونية : " اليها فقيرا " .

(٣) في المصدر نفسه : " فصاحة " .

(٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٧٣ والحصري زهر الآداب، ج ١، ص ٢٥ او العباسي معاهد التنصيص،

ج ٢، ص ٧٣ .

(٥) في زهر الآداب : " المجالس " .

(٦) في المصدر نفسه : " جوهر " .

(٧) رسائل الصابي والرضي، ص ٢٩ .

إذا أنا سلمت البلاغة طائعا اليك فأى الناس خالفني طغى" (١)

٢ - التواضع والتزلف للوزراء والكبراء : ان اعتماد الكتاب والادباء على الوزراء والكبراء في

عيشهم وخوفهم الدائم من النكبات يجعلهم يتزلفون ويتواضعون اهؤلاء ويعفرون

امامهم الجباء ارضاء لهم واكتسابا لعظائمهم وابعدادا لمخطئهم وغضبهم . ويبدو

هذا التذلل في الكثير مما كتبه العاصي للكبراء . لقوله للمهلبى :

"وتعلقت بالرئيس الذى صر ت رئيسا منذ ندني في العبيد" (٢)

وقوله لعضد الدولة :

"اهلا باشرف اوية واجلها لاجل ذى قدم يلاذ ينعلها

فرشت لك التراب التي باشرتها يشفاها من كهلها او طفلها

لم تخط منها خطوة الا وقد وضعت لرجلك قبلة من قبلها

واذا تذلل الرقاب تقربا منها اليك فعزها في ذلها" (٣)

وقوله للوزير سابور بن اردشير في جواب على كتاب وصله منه متضمنا صلة :

فقبلت اجلالا له الارض ساجدا وغفرت قدام الرسول به خدى

وقابلت ما فيه من الطول والتدى بما في من شكر عليه ومن حمد" (٤)

(١) البتية ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٤ . والبيت الاول في معجم الادباء ج ٢ ص ٤٢ .

(٤) معجم الادباء ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣ .

ثم ان من محاولات كسب رضا الكبراء اهداءهم الهدايا في المناسبات مرفقة بالمدايح والتهاني .
هذه الهدايا رمزية علمية ، اذ ان الامير او الوزير بغنى عن القيمة المادية للهدية
فالهدايا المادية هي ما ينتظره الاديب منه ، اما هدية الاديب او العالم فهي من
نتاجه الادبي او العلمي .

٣ - وضع كتاب الدواوين في هذا العصر : شعر الصابي حول سجنه ونكبته وفقره ،
واستعطافه الامراء للعفو عنه او مساعدته يصور حالة فردية تعكس ظاهرة عامة
يتعرض لها الكتاب في القرن الرابع الهجري حيث ان حياة الكاتب على شيء كثير من
عدم الاستقرار والتعرض للثكبات والمصادرات والسجون .

٤ - استقصاء الموضوعات الوصفية : برز لدى شعراء هذا العصر ميل الى الوصف حيث
كانوا يبحثون عن الموضوعات الوصفية لبتاروا في وصفها ويشحدوا ذهنبم في الكتابة عنها
وتنميق الكلام . من هنا اخذت بعض الموضوعات تشكل اغراضا لقصائد او مقطوعات
وصفية . من ذلك : الشمعة والورد وحق الطيب والمدخنة والنافجة وتفيد مقطوعات
الصابي الوصفية هذه ، في تبين صفة هذه الادوات التي كان بعضها يستعمل في المجالس
والتي كانت على قدر من الزينة والجمال بحيث يكون وصفها موضوعا للكتابة الشعرية .
من ذلك قوله في النالفة :

قد استعارت لباس قمار

* غالبية تنتمي لحمام

من سنة البدر مستعار

في قدح ينتمي لسام

قد اولج الليل في النهار * (١)

جامع ما بين ذا وهذا

وقوله في الشعبة :

تهدي الركاب وجنح الليل معتكر

* ولا دليل سوى هيفاء مخطئة

اعلاه ياقوتة صفراء تستعمر * (٢)

غصن من الذهب الابريز اثمر في

• استعمال الالفاظ النابية : وخاصة في الهجاء ، فحتى الصابي مع ما كان عليه من

مركز اجتماعي وادبي كبير ، وما عرف به من التحرج وحسن الاخلاق لم يتسرع من استعمال

اقبح الالفاظ المأجنة في هجائه •

٦ - شعوب الغزل النلماني : وهذه ظاهرة ادبية واجتماعية اخرى حيث يعلن الغزل النلماني

دون تحرج او استحياء ، فالصابي قد تنزل بخلام له اسمه رشد وكتب فيه " المعاني البديعة "

على حد قول ابن خلكان (٣) •

٧ - الاحتفالات والاعياد : قصائد الصابي في وصف مجالس الخمر تدل على ما كان يسدور

في هذه المجالس من وجود الندامى والمذنبين ، واصناف المآكل والمشارب والنقل •

ويبدو ان امثال هذه المجالس كانت تعقد حتى في الاعياد الدينية • ففي قصيدة للصابي

في تهنئة المهلبى بعيد الفطر يقول :

ومثلك من احيا لنا سنة الفطر

* وللفطر رسم للمرور وسنة

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ وابن حمدون ، التذكيرة (٧٦٩) ، الورقة ١١٥٥ •

(٣) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ •

ولا يبد فيه من سماع وقهوة
نقضي بها الاوطار من لذة السكر
نواصل قصفا بين يوم وليلة
دراكافنستوفي الذي فات في الشهر " (١)
ويقول مثل هذا في المطهر بن عبد الله :

" قضيت شهر الصوم بالنسك الذي
هو منك معروف له معهود
اكثرت فيه من تهجد خاشع
ما يطمئن بمقلتيه هجود
فاشرب واسق عصابة قد مسها
عطر وجهد في الصيام جهيد
ارويتها جودا فرو حشا شها
راحا فمك الجود والناجود " (٢)

فيبدو بالفعل ان شهر رمضان كان ثقيلا لدى كتاب القرن الرابع الهجري (٣) فلا
يكاد يمضي حتى يعودون الى ما الفوه من مجون وخمر .

ولم تكن الاعياد الدينية وحدها المعتبرة ، وانما لاحظنا من قصا قد التهنئة
ان الامراء جروا على الاحتفال بالاعياد الفارسية ايضا كالنيروز والمهرجان .
اذاء شعر الصابي غني بالدلالة على الحياة الادبية والاجتماعية في عصره وخاصة
على الطبقة المترفة منه التي تحتفل بالاعياد ، وهو يقرنا من فئة الكتاب الذين يعانون
الكثير ويتقلبون بين سعادة وشقاء ، وغنى وفقير . اما من الناحية الادبية ، فهو نموذج من

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٣) مبارك النثر الفني ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

ادب هذا العصر، حيث كثر الجامعون بين الكتابة والشعر، فهو لا يمثل ناحية
ابداعية معينة إنما هو بمجمله شعر وصفي خير ما فيسه تمثيله
للحياة العباسية في عصره، فهو لا يخرج عن صفات العصر
ان بمعانيه أو بالفاظه واساليقه .

خاتمة

يسعد ولنا أخيرا ان دراسة حياة ابي اسحاق الصابي لم تكن بالمهمة السهلة،
فصع بذل الجهد في البحث في المصادر بقيت بضع نقاط غامضة فيها وعدة علامات استفهام
حولها ، والمشير للمصوف والشاك هو الناحية السياسية من حياته فلا نعلم حقا ان كان
ابو اسحاق بريشا مثالوما فيما تعرض له من محن ام انه كان ضالعا في مؤامرات سياسية
وقد عرضنا لهذه المسألة في حينه من عدة نواح واشرنا الى عدة احتمالات ممكنة . وقد
تظهر هذه الحقائق يوما ما مع انتشار مادة جديدة من المعلومات المختزنة في
رسائل الصابي المخطوطة او سواها من المصادر .

اما ابو اسحاق الكاتب ، فأبرز ما يميز كتابته ، بالإضافة الى البلاغة العالية والصناعة
الليقة ، هو هذا الفكر المنطقي الدقيق والثقافة الواسعة اللذان يجعلانه متحكما في
مادته رابطا بين اجزاء رسالته ، التي غالبا ما تكون طويلة ، ربطا محكما فلا يمكن
للقارئ ان يجد ثغرة ينفذ منها الى نقص ما يقوله او الاشارة الى نقص فيها . يلاحظ
ايضا حسن تمثيل الصابي للفكر الاسلامي حيث يظهر في رسائله التصور الاسلامي الصحيح
لنظام الحكم وللحاكم العادل ويسد الارتباط الوثيق بين الدين والسياسة في الاسلام حيث
تصبح الامارة ركيزة للخلافة والخلقة استمرار الرسالة النبوية الالهية المصدر .

اما اثر الفكر العباسي القريب من الفلسفة اليونانية ، فهو موجود وان كان بعيد
الملح ، فقد اشرنا من قبل الى ان الثنائية في الرسائل هي احدى دلالاته نضيف هنا
التقية التي هي من اصول الفكر العباسي واليوناني الافلاطوني ايضا ، وربما هي التي

مكتابا اسحاق من طمس معتقد الصابئة في نفسه ظاهرا والنطق بما يقوله
الاسلام بطلاقة وكأنه يعتقد .

اما الصابي الشاعر فهو بغدادى رقيق الطبع واللفظ له آراء في الشعر لم
يتبها له التزامها ، يكون شعره احيانا مرآة لنفسه معبرا عن خلجاتها وسكناتها ثم يتعدد
احيانا اخرى ليكون غريبا عليها لا علاقة له بها .

هذا باختصار ما ظهر لنا حول ابي اسحاق الصابي الانسان والكاتب والشاعر وهذا
نرى تميزه عن معاصريه في نكباته المتصلة ويؤسسه وشكواه وفي تسكبه
بالدين والخلق ، يضيف اليهما المجون والغزل الغلمانى في وقت واحد وفي
قدرته على الجمع بين معتقد يطنه ودانة يدعوا لها ظاهرا ويؤيدونها ويتكلم بها حكما
فابو اسحاق شخصية متميزة وكاتب مبتدع وشاعر رقيق عسى الايام ان تظهر
لنا المزيد حوله .

ثبت باسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للعابسي او ذكرت اخباره:

المصادر

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٠٦ ،

بيروت : دار صادر ودار بيروت ، ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

ابن تغري بردى الاتابكي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة ج ٤ ص ١٦٧ ، القاهرة : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،

١٩٢٩ - ١٩٥٦ .

ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناء

الزمان ج ١ ص ٥٢ (تحقيق احسان عباس) ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ /

١٣٨٨ - ١٣٩٢ .

ابن العماد الحنبل ، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،

ج ٣ ص ١٠٦ ، مصر : مكتبة القدسي ، ١٣٥٠ .

ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي ، البداية والنهاية في

التاريخ ج ١١ ص ٣١٣ ، مصر : مطبعة الممادة ، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩ .

ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراق ، الفهرست ص ١٤٩ (تحقيق رضا تجدد) ،

طهران : ١٩٧١ .

ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٢٩ ،

القاهرة : المطبعة الحسينية المصرية ، ١٣٢٥ .

التوحيدى، ابو حيان علي بن محمد، الامشاع والمؤانسة، ج ١ ص ٦٨ (تحقيق

احمد امين واحمد الزين) ، بيروت وصيدا : نسخة مصورة عن طبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر، منشورات المكتبة العصرية، ١٣٧٣ / ١٩٥٣.

الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن اهل

المصر، ج ٢ ص ٢٤١، مكة المكرمة: دار الكتب العلمية ودار الباز للنشر، الطبعة

الاولى، ١٩٧٩ / ١٣٩٩.

الخوانساري، محمد باقر الموسوي الاصبهاني، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات

ج ١ ص ١٦٣ (تحقيق اسد الله اسما عيليان)، طهران وبيروت: مكتبة اسماعيليان

و دار المعرفة، ١٣٩٠ - ١٣٩٢ هـ.

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، ج ١٦

ص ٥٢٣ (تحقيق اكرم البوشي واشراف شعيب الارنؤوط)، بيروت: مؤسسة الرسالة،

١٩٨٣ / ١٤٠٣.

____، العبر في خبر من غير، ج ٣ ص ٢٤ (تحقيق فؤاد سيد)، الكويت: ١٩٦١.

السرور داروري، ابو شجاع محمد بن الحسين، الذيل على تجارب الامم، ص ٢١ - ٢٤ و ٥٢ (تحقيق

هـ. ف. آمدروز)، مصر: مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٤ / ١٩١٦.

الصابي، ابو الحسين هلال بن المحسن، غرر البلاغة، مقدمة المحقق ص ١٨ (تحقيق اسعد

ذبيان)، بيروت: دار الكلمة، الطبعة الاولى، ١٩٨٣ / ١٤٠٣.

- الصابي، غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال، الهفوات النادرة، مقدمة
المحقق ص ١٢، (تحقيق وتعليق صالح الاشتري)، دمشق: مطبوعات مجمع
اللغة العربية، الطبعة الأولى، ١٣٨٧/١٩٦٧.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٥٨ (باعتناء من
ديدرينغ)، فسادن: فرانز شتاينر، ١٣٩٢/١٩٧٢.
- العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ج ٢، ص ٦١
(تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، بيروت: عالم الكتب، مصر: المطبعة التجارية
الكبرى، ١٣٦٧/١٩٤٧.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تاريخ الحكماء، ص ٧٥ (تحقيق جوليس
ليبرت)، ليسك: ١٣٢٠/١٩٠٣.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج ١، ص ٤١،
القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٣ - ١٩١٩/١٣٣١ - ١٣٣٨.
- ياقوت الرومي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الادباء، ج ٢، ص ٢٠ (بعتناية
أحمد فريد رفاعي)، مصر: مطبوعات دار المأمون، ١٩٣٦/١٣٥٥.
- المراجع
بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ج ٢، ص ١١٩ (ترجمة عبد الحليم النجار)، القاهرة:
دار المعارف، الطبعة الرابعة، (١٩٧٧)، ٤.

البندادى، اسماعيل، هدية العارفين، ج ١، ص ١٧٢، استانبول : طبعة وكالة المعارف، ١٩٥١.

الخاقاني، علي، شعراء بغداد، ج ١، ص ١٤٨، بغداد : مطبعة أسعد، ١٣٨٢/٧.

١٩٦٢.

الزركلي، خير الدين، الاعلام، ج ١، ص ٧٨، بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة

الخامسة، ١٩٨٠.

كرنكوف، ف. "الصابي ابو اسحاق ابراهيم بن هلال"، دائرة المعارف الاسلامية، ج ١٤، ص ٨٣،

(ترجمة احمد الشنتناوى).

مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ج ٢، ص ٢١٠، القاهرة : دار الكتب المصرية،

الطبعة الاولى، ١٣٥٢/١٩٣٤.

المقدسي، انيس، تطور الاساليب النثرية في الادب العربي، ج ١، ص ٢٢٥، بيروت :

منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية، مطبعة

سركيس، ١٩٣٥.

Sezgin, Fuat, Geschichte des arabischen Schrifttums

Vol. 2. P. 592, Leiden : E.J. Brill, 1975.

ملاحظة : لم يثبت من هذه اللائحة في قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث الا
المصادر والمراجع المستعملة فيه.

لائحة باسماء المصادر والمراجع الممتدة في هذا البحث :

المصادر

ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو القاسم احمد بن القاسم معيون الانبياء في طبقات الاطباء ،

(تحقيق نزار رضا) ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ .

ابن ابي سلمى ، زهير ، ديوان زهير بن ابي سلمى (تحقيق كرم البحتاني) ، بيروت :

دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .

ابن ابي عمير ، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم ، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ،

ج ١ (تحقيق احمد الحوفي وندوى طبانة) ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩ ،

القاهرة : المطبعة البهية ، ١٣١٢ هـ .

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ و ٩ ، بيروت : دار

صادر ودار بيروت ، ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

ابن تغري بردي ، الاتاكي ، جمال الدين ابو الحسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر

والقاهرة ، ج ٤ ، القاهرة : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦ .

ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد ، رحلة ابن جبير (تحقيق حسين نصار) ، مصر : مكتبة

دار مصر ، دون تاريخ .

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج ٧ ، حيدر

آباد الدكن : دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٨ هـ .

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد ، النيل في الليل والاهواء والنحل ، ج ١ ، مصر :

المطبعة الادبية ، الطبعة الاولى ، ١٣١٧ هـ .

ابن حمدون ، ابو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي ، التذكرة الحمدونية ، ج ١ (تحقيق

احسان عباس) ، بيروت : معهد الانماء العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ .

— التذكرة الحمدونية ، مخطوط برلين ١١٨٨ .

— التذكرة الحمدونية ، مخطوط رئيس الكتاب ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ .

ابن حوقل النصيبى ، ابو القاسم محمد ، صورة الارض ، ليدن : بريل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ .

ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناؤ الزمان ،

ج ١ - ٦ (تحقيق احسان عباس) ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨ - ١٩٨٢ / ١٣٨٨ - ١٣٩٢ .

ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ، بهجة المجالس وانس المجالس ، ج ١ - ٢

(تحقيق محمد مرسى الخولي ومراجعة عبد القادر القط) ، القاهرة : دار الكتاب العربي ،

١٩٦٧ - ١٩٦٩ .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد ، مذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٣ ، مصر :

مكتبة القدسي ، ١٣٥٠ هـ .

ابن القيم ، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني ، كتاب البلدان ، ليدن : بريل ، ١٩٦٧ .

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابو عبد الله محمد ، احكام اهل الذمة ، ج ١ (تحقيق صبحي

الصالح) ، دمشق : مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٣٨١ / ١٩٦١ .

ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء، اسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١١،

مصر : مطبعة السعادة، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩.

— شمس الحافظ ابن كثير، مصر : مطبعة المنار، ١٣٤٣ هـ، نسخة مصورة عن

نسخة المطبعة الاميرية بمصر سنة ١٢٠٠ هـ.

ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن الحافظ ابن ماجه، ج ٢ (تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي، مصر : دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٣ / ١٩٥٣.

ابن العمير، علي بن يحيى بن علي بن محمد بن المعير، لقاح الخواطر وجلاء البصائر، مخطوطة

جامعة كهردج رقم 139 ٥9.

ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين الافريقي، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دون تاريخ.

ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراق، الفهرست (تحقيق رضا تجدد)،

طهران : ١٩٧١.

ابن هشام، ابو محمد عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، ج ١ - ٢ (تحقيق مصطفى

المقا و ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي) مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي،

الطبعة الثانية، ١٣٧٥ / ١٩٥٥.

ابو حنيفة، الامام النعمان بن ثابت، مسند الامام ابي حنيفة (تحقيق صفوت المقالي)،

حلب : مكتبة ربيع، الطبعة الاولى، ١٣٨٢ / ١٩٦٢.

ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن ابي داود، ج ٣ (اعداد وتعليق

عزت عبيد الدعاس) ، حمص : نشر وتوزيع محمد علي السيد ، ١٣٩١ / ١٩٧١ .

ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، القاهرة : المطبعة

الحسينية المصرية ، ١٣٢٥ .

ابو نوار ، الحسن بن هاني ، ديوان ابي نوار (تحقيق احمد عبد المجيد النوالي) ،

بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .

ابو يعلى الفراء ، محمد بن الحسين ، الاحكام السلطانية (تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي) ،

القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧ .

اخوان الصفاء ، رسائل اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، ج ٤ ، بيروت : دار صادر ، دون تاريخ .

ارسطو طاليس ، فن الشعر (ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة : مكتبة النهضة

المصرية ، ١٩٥٣ .

الاصطخري ، ابراهيم بن محمد الفارسي ، المسالك والممالك (تحقيق محمد جابر عبد الوال الحبني) ،

القاهرة : ١٣٨١ / ١٩٦١ .

الاعشهباني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد ، الاغانى ، ج ١٥ (تحقيق عبد السلام هارون) ،

القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩ .

البحر ، ابو عبادة الوليد بن عبيد ، ديوان البحرى ، القسطنطينية : مطبعة

الجواثب ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٠ هـ .

البلدى ، عبد الرحمن بن محمد ، الكافي في البيزرة (تحقيق احسان عباس وعبد الحميد

منصور) ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ،

١٩٨٣ / ١٩٠٣

التوحيد ، ابو حيان علي بن محمد ، الانشاع والمؤانسة ، ج ٣ (تحقيق احمد امين واحمد

الزوين) ، بيروت وصيدا : نسخة مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

منشورات المكتبة العصرية ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣ .

_____ ، مثالب الوزيرين (تحقيق ابراهيم الكيلاني) ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٦١ .

_____ ، المقابس (تحقيق محمد توفيق حسين) ، بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٧٠ .

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، لطائف اللطف ، (تحقيق عمر الاسعد)

بيروت : دار السيرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .

_____ ، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، ج ١ - ٣ مكة المكرمة : دار الكتب

العلمية ودار الباز للنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٩ / ١٣٩٩ .

الخصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم القيرواني ، زهرة الآداب وثمر الألباب ، ج ١ و ٢ و ٤

(تحقيق زكي مبارك) ، مصر : المطبعة التجارية الكبرى والمطبعة الرحمانية ، ١٩٢٥ .

الحلاج ، ابو المنير الحسين بن منصور ، ديوان الحلاج (تحقيق كامل مصطفى الشبيبي) ، بغداد :

دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار (تحقيق احسان عباس) ،

بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

الخطيب الهندادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، ج ١، بيروت : دار الكتب

العلمية، دون تاريخ .

—، التفصيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم (تعليق كاظم

المظفر)، النجف : المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

الخوانساري، محمد باقر الموسوي الاصبهاني، روضات الجنّات في احوال العلماء والسادات،

ج ١ و ٢ و ٦ (تحقيق اسد الله اسماعيليان) طهران وبيروت : مكتبة اسماعيليان ودار

المعرفة، ١٣٩٠ / ١٣٩٢ .

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، ج ١٣ (تحقيق علي أبو زيد)

وج ١٦ (تحقيق اكرم البوشي) وج ١٧ (تحقيق شعيب الارنؤوط)، بيروت : مؤسسة

الرسالة، الطبعة الاولى، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

—، العبر في خبر من غير، ج ٣ (تحقيق فؤاد سيد)، الكويت : ١٩٦١ .

الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد، محاضرات الادباء ومجاورات الشعراء والبلغاء، ج ١ و ٣ و ٤،

بيروت : دار مكتبة الحياة، ١٩٦١ .

الروذراوري، أبو شجاع محمد بن الحسين، الذيل علي تجارب الامم (تحقيق هـ . ف . آمدروز)

مصر : مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٤ / ١٩١٦ .

الزبيدي، محب الدين أبو الفيز محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس،

ج ١، مصر : الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .

الزمخشري، محمود بن عمرو، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ٣ (تحقيق سليم النعيمي)،

بغداد : مطبعة العائلي، ١٩٨٠ .

_____، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١ - ٢، القاهرة، بولاق، ١٢٨١ هـ .

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢،

مصر : المطبعة الحسينية، الطبعة الأولى، دون تاريخ .

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين، ديوان الشريف الرضي، ج ١ و ٢،

بيروت : دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .

_____، ديوان الشريف الرضي (بشرح وتعليق كامل سليمان)، ج ١، بيروت :

دار الفكر ومكتبة العرفان، ١٩٥٦ / ١٣٧٥ .

_____، رسائل الصابي والشريف الرضي (تحقيق محمد يوسف نجم)، الكويت : ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج ١ - ٢ (تحقيق محمد سيد

كيلاني)، بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .

الصابي، أبو اسحاق إبراهيم بن هلال، المختار من رسائل أبي اسحاق الصابي (تحقيق الأمير

شكيب أرسلان)، بيروت، دار النهضة الحديثة، دون تاريخ .

_____، المنتزع من كتاب التاجي (تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الحرية

للطبعة ١٣٩٢ / ١٩٧٧.

الصابي ، غفر النعمة ابو الحسن محمد بن هلال ، الهفتوات النادرة (تحقيق صالح

الاشتر) ، دمشق : مجمع اللغة العربية ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .

الصابي ، ابو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، بيروت :

مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤ .

_____ ، كتاب التاريخ ، نشر ملحقاً بكتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء .

_____ ، رسوم دار الخلافة (تحقيق سيخايل عواد) ، بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٣ / ١٩٦٤ .

_____ ، غرر البلافة (تحقيق اسعد ذبيان) ، بيروت : دار الكلمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣ /

١٩٨٣ .

الصاحب بن عباد ، ابو القاسم اسماعيل بن عباد ، الروز نامجة (تحقيق محمد حسن آل ياسين) ،

ملحق بكتاب الامثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب ، بغداد : مكتبة النهضة

الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ / ١٩٦٥ .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، ج ٥ - ٦ (باعتناء س . ديدرينغ) ،

فسيباده : فرانز شتاينر ، ١٣٨٩ / ١٩٧٠ - ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

الذهبي ، المفضل بن محمد ، امثال العرب (تعليق احسان عباس) ، بيروت : دار الرائد

العربي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١ / ١٩٨١ .

العباسي ، عبد الرحيم بن احمد ، معاهد التنصيص على مواجد التاخير ، ج ٢ (تحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد) ، بيروت ومصر : عالم الكتب والمكتبة التجارية

الكبرى ، ١٣٦٧ / ١٩٤٧ .

العتبي ، ابو النصر محمد بن عبد الجبار ، كتاب اليمينى ، مطبوع على هامش

كتاب مرج اليمينى المسمى بالفتح الزهبي على تاريخ ابن نصر العتبي للمبشر

احمد المثنى ، دون مكان وتاريخ .

المسكرو ، ابو هلال الحسن بن عبد الله ، الصناعتين الكتابية والشعر ، مصر : مطبعة

محمد علي صبيح ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ .

الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،

ج ١ ، مصر : المطبعة البهية ، ١٣٠٢ هـ .

القاضي التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، ج ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ٨

(تحقيق عبود الشالجي المحامي) ، بيروت : دار صادر ، ١٣٩١ / ١٩٧١ -

١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

القفاطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء (تحقيق جوليوس ليرت) ،

ليساك : ١٣٢٠ / ١٩٠٣ .

القلقيندي، أبو العباس أحمد بن علي، مبج الأعشى في صناعة الإنشا، ج ١ و ٢

٦ و ٧ و ١٣ و ١٤، القاهرة : المطبعة الأميرية، ١٣٢١/١٩١٣ - ١٣٣٨/١٩١٩.

القسي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج ٣ (أهماف

حسن الموسوي الخراساني)، النجف : مطبعة النجف، الطبعة الرابعة، ١٣٧٨ هـ.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، الأصول من الكافي، ج ١ (تعليق علي أكبر

النفاري)، طهران : مكتبة الصدوق، ١٣٨١ هـ.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية، مصر : مطبعة الوطن، ١٢٩٨ هـ.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري،

ج ٣ (تصحیح مصطفی السقا و ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شليبي)، مصر : مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥ / ١٩٣٦.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ و ٢ و ٤ (تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة : مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة،

١٣٨٤ / ١٩٦٤.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،

لیدن : بريسل، الطبعة الثانية، ١٩٦٢.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، تجارب الأمم، ج ١ و ٢ (تحقيق هـ. ف. آمدروز)

مصر : مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٢/١٩١٤ - ١٣٣٤/١٩١٦.

مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين ، الجامع الصحيح ، ج ٧ ، مصر : مطبعة محمد

علي صبيح ، ١٣٣٤ هـ .

الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، مجمع الأمثال ، ج ١ - ٢ (تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد) ، مصر : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .

النسوي ، الإمام أبي زكريا يحيى بن عوف النوى الدمشقي ، رياض الصالحين (تحقيق شعيب

الارسلوط) ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .

النيسري ، مهناب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ، القاهرة :

دار الكتب المعرصة ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٧ / ١٩٢٩ .

ياقوت الرومي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم الأدباء ، ج ٢ و ٤ و ٦ و ٧ و ٩

و ١١ و ١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٩ (بمناية أحمد فريد رفاعي) ، مصر : مطبوعات دار

الأمون ، ١٣٥٥ / ١٩٣٦ .

_____ ، معجم البلدان ، ج ٢ ، بيروت : دار صادر و دار بيروت ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

آل ياسين ، محمد حسن ، العالم بن عباس حياته وأدبه ، بغداد : دار المعارف ، الطبعة

الأولى ، ١٣٧٦ / ١٩٥٢ .

المراجع
بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ (ترجمة عبد الحليم النجار) ، القاهرة :

دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، (١٩٧٧) .

البغدادى، اسماعيل، هدية العارفين، ج ١، استانبول : طبعة وكالة المعارف، ١٩٥١.

الحسنى، السيد عبد الرزاق، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، دون مكان، الطبعة

الخامسة، ١٣٩٨/١٩٧٨.

الحلى، عبد الحسين، حياة الشريف الرضى، بغداد : مطبعة الحرية، ١٣٨٨/١٩٦٨.

دراور، اللىلى، ايشل ستيفانا، الصابئة المندائيون (ترجمة نعيم بدوى و غصيان رومى)،

بغداد : مكتبة الاندلس، ١٩٦٩.

الزركلى، خير الدين، الاعلام، ج ١، بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.

ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة : دار المعارف، الطبعة الثانية،

(١٩٧٧).

طبانسة، بدوى، الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم، مصر : المؤسسة المصرية العامة،

١٣٨٣ / ١٩٦٣.

عباس، احسان، تاريخ النقد الادبي عند العرب، بيروت : دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨/١٩٧٨.

_____، الشريف الرضى، بيروت : دار بيروت ودار صادر، ١٣٧٩/١٩٥٩.

عليان، رشدى، الصابئون جرائبين ومتدائميين، بغداد : مطبعة دار السلام، ١٩٧٦.

فضل الله، السيد محمد حسين، " تأملات حول شخصية الشريف الرضى "، الثقافة الاسلامية، ٢ (٢٤٠٦هـ).

ص ١٢ - ٢٤.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١- ٢ و ٦، بيروت : دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢/١٩٨٢.

مبارك زكي، التشريع الفنى فى القرن الرابع هـ، القاهرة : دار الكتب المصرية،

الطبعة الاولى، ١٣٥٢/١٩٣٤.

متز، آدم، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى هـ ١ و ٢ (تعريب محمد عيسى

الهادى ابوريدة)، القاهرة ويمروت : مكتبة الخانجي ودار الكتاب العربى،

الطبعة الرابعة، ١٣٧٨ / ١٩٦٧.

مرانى، ناجية، مفاهيم صابئية مندائية، بغداد، مطبعة شركة التأسيس، ١٩٨١.

مردم، خليل، ابن العميد، دمشق : مكتبة عرفة، مطبعة الاعتدال، ١٣٥٠/١٩٣١.

_____، الصاحب بن عباد، دمشق : مطبعة الترقى، ١٣٥١/١٩٣٢.

داعيرة، المعارف الاسلامية، نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندى واحد الشنتاوى

وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، ج ١٤، دون مكان، (١٩٣٣ ؟).

Sezgin, Faut, Geschichte des arabischen Schrifttums, vol . 2

Leiden : E. J. Brill, 1975.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, James

Hastings, 13vol. New York : Scribner, 1955- 56 .

ملحق

الشهادة النشروية

" نسخة كتاب النسي المطبوع للنسي

عن عز الدولة ابني منصور عند دخوله الموصل

وانهم زام ابني تغلب بن حمدان عنها (١)

" لعبد الله الفضل الامام المطبوع لله امير المؤمنين، من عبده،

وصنيحته عز الدولة بن معز الدولة مولى امير المؤمنين، سلام على امير

المؤمنين ورحمة الله، فاني احمد الى امير المؤمنين الله الذي لا اله الا هو،

واسأله ان يصلي على محمد عبده، ورسوله صلى الله عليه وسلم، اما بعد، اطل الله بقاء

مولانا امير المؤمنين وادام له العز والتأييد والتوفيق والتמיד، والعلو والقدرة، والظهور

والنصرة، فالحمد لله العلي العظيم، الأزلي القديم، المتفرد بالكبرياء، والملكوت، المتوحد

بالعظمة والجبروت، الذي لا تحده المفاسد، ولا تحوزه الجهات، ولا تحصره قسرة

مكان، ولا يغيره مرور زمان، ولا تتمثله العيون بنواظرها، ولا تتخيله القلوب

بخواطرها، فاطر السموات وما تظلم، وخالق الارض وما تقل، الذي دل بلطف صنعته، على جليل

حكيمته، وبين بجلي برهانه، عن خفي وجدانه، واستغنى بالقدرة عن الاعوان، واستعلى

بالعزة عن الاقران، البعيد عن كل معادل ومضارع، المتنع على كل مطاول ومقارع،

الدائم الذي لا يزول ولا يحول، العادل الذي لا يظلم ولا يجور، الكريم الذي لا يخن

ولا ييخل، الحليم الذي لا يعجل ولا يجهل * ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له

(١) رسائل الصابي، ص ١١٩ - ١٣٥، وانظر الحادثة في مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٣١٥ - ٣٢٠

وابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٤

السديق * (١) منزل الرحمة على كل ولي توكل عليه، وفوض اليه،
وأتمر لأوامره، وازدجر بزواجره، ومحل النعمة بكل عدو صد عن سبيله وسننه،
وصد عن فرائضه وسننه، وحاذ في مكسب يده، وصعاة قدمه، وخائنة عينه،
وخافية صدره، وهو راتع رتعة النعم السائمة، في اكلاء النعم السابغة، وجاهل جهلها
بشكر آلائها، ذاهل ذلولها عن طرق استبقائها، فلا يلبث ان ينزع سراويلها صاغرا،
ويتعمر منها حاسرا، ويجعل الله كيد في تضليله، ويورده شر المورد الوبيل * ان الله
لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين * (٢) والحمد لله الذي اصطفى للنبيوة
احق عباد به يحمل اعبائها وارثاء رداؤها . محمدا صلى الله عليه وسلم، وعظم خطره
وكرم فصدع بالرسالة، وبالغ في الدلالة، ودعا الى الهداية، وتجلي من الخواصة، ونقل
الناس عن طاعة الشيطان الرجيم، الى طاعة الرحمن الرحيم، واعلقهم بحبائل خالقهم ورازقهم،
وعصمة محبيهم وميتهم، بعد انتحال الأكاذيب والباطيل، واستشمار المحاسنات
والاضاليل، والتهور في الاعتقادات الذائدة عن النعيم، الساقطة الى العذاب الاليم، فصرى
الله عليه من ناطق بالحق، ومنقذ للخلق، وناصح للرب، ومؤد للفرض، علاة زاكية نامية، رائحة
غادية، تزيد على اختلاف الليل والنهار، وتعاقب الاعوام والادوار،

(١) سورة غافر (٤٠) : ٦٤ و ٦٥

(٢) سورة يونس (١٠) : ٨١

(٣) سورة يوسف (١٢) : ٥٢

والحمد لله الذي انتخب امير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، من ذلك المنح
 الشريف ، والعنصر المنيف ، والعثرة الثابت اصلها ، المتمد ظلها ، الطيب جناها ،
 المنوع حماها ، وحاز له مواريث آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ،
 واختصه من بينهم بتناول امد الخلافة واستحصال جملها في يده ، وفقه لاهابته
 الغرض من كل مرمى يرميه ، ومقصد ينتحيه ، وهو جل ثناؤه الحقيق . باتمام ذلك عليه ،
 والزيادة فيه لديه ، واحده سبحانه حمدا ابتديه ثم اعيدته واكرره واستزیده ، على ان اهل
 ركن الدنيا علي ، وعقد الدولة ابا شجاع مولى امير المؤمنين ، واهلني للاثرة
 عنده ، ايده الله ، التي بذنا بها الأكفاء ، وقتنا فيها القرناء ، وتقطعت
 دونها انفاس المنافسين ، وتضرمت عليها احشاء الحاسدين ، وان اولاني في كل منزى
 في خدمة امير المؤمنين اغزوه ، ومنحى انجوه ، وشأى ارباه ، وشعث المء وعد وارغفه ،
 وزائغ اقومه ، افضل ما اولاه عباد ، السليمة غيوبهم ، النقية جيوبهم ، المأمونة ضمايرهم ،
 المشحونة بمصائرهم ، من تمكين يد ، وتثبيت قسيد ، ونصرة راية ، واعلاء كلمة ، وتقريب
 بغية ، وانالة امنية ، وكذلك يكون من الى ولاه امير المؤمنين اعتزاه ، وشعاره اعتزازه ،
 وعن زناده قدحه ، وفي طاعته كدحه ، والله ولي بادامة ما خولني من هذه المثبة ،
 وسوغني من هذه الموهبة ، وان يتوجه امير المؤمنين في جميع خدمه ، والذابين عن
 حوزته ، المهيبين الى دعوته بيمين الطائر ، وسعادة الطالع ، ونجاح المطلب ، وادراك الارب ،
 وفي اعدائه الغامطين لنعمته ، الناقضين موافق بوعته ، باغراع الخد ، واتعسا من
 الجسد ، واخفاق الال ، واجباط العمل ، بقدرته .

ولم يزل مولانا امير المؤمنين، اطال الله بقاءه، ينكر قد يما من
 فضل الله بن ناصر الدولة احوالا حقيقا مثلها بالانكار مستحقا من ارتكبتها الاعراض،
 وانما اذهب في حفظ غيبه، واجمال محضه، وتحمل حججه وتلفيقها، وتاليف معاذيره
 وتنميقها، مذهبي الذي اعم به كل من جرى مجراه، من ناشئ، في دولته، ومنفذ بنعمته،
 وينتسب الى ولايته، ومشتهر بصنيعته، واقدر ان استملحه لامير المؤمنين، اطال
 الله بقاءه، واصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد، ومناهج السداد، وهو يرني
 ان قد قبل وارثي، وابصر واهتدى، حتى رغبت الى امير المؤمنين، ادام الله عزه
 فيما شفعتني متفضلا فيه من تقليد اعمال ابيه والقناعة منه في الغمسان بميسور
 بذله، واشارة به على من هو فوقه من كبراء اخوته واهله، فلما بلغ هذا الحال
 ألط بالمال، وخاس بالعهد، وطرق لفسخ العقد، واجرى الي امورا كرهتها،
 ونفذ العبر مني عليها، وخفت ان استمر على الاغصاء عنها، والسامحة فيها، فيطلب
 الله مني على اضعاف الاحتياط في امر قلدي امير المؤمنين، اطال الله بقاءه،
 زمامه، وضمنني دركه، وارخاء لبب رجل فيل في الاعتماد عليه رأي، وعول في
 اخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي، فتناولته بأطراف المذل ملحوا، ثم بأشجائه
 منصحا مصرحا، ورسمت لعبدي امير المؤمنين الناصح ابي طاهر ان يجسد بسبه
 وبوسطائه وسفرائه في حال، ويدخل عليه من طريق المشورة والرفق في اخرى،
 وينتقل معه بين الخشونة التي يقفو فيها اشرى، واللين الذي لا يجوز ان يحسبه
 مني، تقديرًا لاثناؤه، وزوال التوائه، ففعل ذلك على رسمه في الثاني لكل

فاسد حتى يصلح ، ولكل آب حتى يسمح ، ولم يدع التناهي في وعظه ، والتمادي في نصحه ، وتعريفه سوء عاقبة اللجاج ، ومغبلة الاحراج ، وهو يزيد طمعا في الاموال وشرها ، وعسى في الرأي وعما ، الى ان كاد امرنا معه يخرج عن حد الانتظار الى حد الرضى بالاصرار ، فاستأنفت اذ راع الحزم ، وامتطيا العزم ، ونهضت الى اعمال الموصل ، وعندي انسه يغنيني عن الاتمام ويلقاني بالاعتاب ، وينقاد الى المراد ويتجنب طرق العناد ، فحين عرف خيبر ميسرى وجدى فيسه وتشميرى ، برز بروز المخالف المكاشف ، وتجرد تجرد المواقع المواقف ، وهو مع ذلك اذا ازدادت منه تقربا ، ازداد مني رعبا ، واذا دلفت اليه ذراعا ، نكص عني باعا ، وتوافيت الى حضرتي وجوه القبائل من عقيل وشيسان وغيرهما في الجمع الكثيف من معاليكهما ، والعدد الكثير من صناديدهما ، وداخلين في الطاعة ، متصرفين في عوارض الخدمة ، فلما شارفت الحد يشنة انتفضت عزائم صبره ، وتقوضت دعائمه امره ، وبطلت امانيه ووساوسه ، واضمحلت خواطره ، وهوا جسمه ، واضطرب عليه من ثقافته وغلمانته من كان بهم يعتمد ، وعليهم يعتمد ، وبدأوا بخذلانه والاخذ لنفوسهم ، ومفارقته والطلب بحظوظهم ، وحصل بحضرتي منهم الى هذه الخاية زهاء خمس مئة رجل ذوي خيل مختارة ، واسلحة شاكبة ، فصادفوا عندي ما املوا من فائض الاحسان ، وغامر الائتمان ، فذكروا عمنا ، وهم من نظرائهم التنزي الى الانجذاب والحرص على الاستئمان ، وانهم يردون ولا يتأخرون ، ويبادرون ولا يتلومسون ، ولما رأى ذلك لم يملك نفسه ان مضى هاربا على طريق منجاره ، منكشفا عن هذه الديار ، قانعا من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ، بسلامة

حشاشة هي رهينة غيرها ، وصريعة بنيتها ، وكان انهزامه بعد ان فعل فعل
السخيف ، وكاننا الكيد الضعيف ، بأن اغرق سفن الموصل وغروبها ، واحرق جسر
واستندم الى اهلها ، وتزود منهم اللعن المطيف به اين يسم ، الكائن معه حيث خيم ،
ودخلتها يومى هذا ، ايد الله امير المؤمنين ، دخول الغانم الظافر ، المستعلى الظاهر ،
فسكنت نفوس سكانها ، وشرحت صدور قاطناتها ، واعلمتهم ما امرني به امير المؤمنين ،
ادام الله عزه ، واعلى امره ، من تانيس وحشتهم ، ونظم الفتهم ، وضم نشرهم ، ولم
شعثهم ، واجمال السيرة فيهم ، في غروب معاملاتهم وعلقهم ، وصنوف متصرفاتهم
ومعاشهم ، فكسر منهم الثناء والدعاء ، والله سامع ما رفعوا ومجيب ما سألوا .

واجلت حال هذا الجاهل ، ايد الله امير المؤمنين ، عن اقبح هزيمة ،
واندل هزيمة ، واسوأ رأى ، وانكر اختيار ، لانه لم يلقني لقاء الباخع بالطاعة ، المعتذر
من سالف التفريط والاضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ، المحقق
لزعمه في الثبات للمدافعة ، ولا كان في هذين الامرين بالبر التقي ، ولا الفاجر
القوى ، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره ، ونقيصة جبنه وخوره ، متكبيا للصلاح ،
عادلا عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد ، وضربت بينه وبينه الاسداد ، وانزله
الله منزلة مثله من اساء حفظ الوديعه ، وجوار الصنيعة ، واستوجب نزعهما منه ،
وتحويلهما عنه ، وتأملت ايد الله مولانا امير المؤمنين امره بالتجريب ، وتصفحته على
التقليب ، فاذا هو الرجل الذى اطاع ابوه فيه هوى امه ، وعصى دواعي رايه وحزمه ،
وقدمه من ولده على من هو آنس رشدا ، واكبر سنا ، واثبت جاشا ، واجرى جنانا ، واشجع

قلبا ، واوسع صدرا ، واجدر بمخايل النجابة ، وشما فل اللبابية ، قلما اجتمعت
له اسباب القدرة والثروة ، وامكنته مناهز النعمة والفرصة ، وثب عليه وثبة السرحان
في ثلثة الضان ، وجزاء جزاء * ام عامر لمجيرها ، اذ فرت به بأنيابها واظافيرها ، واجتمع
واخوه من الام ، المرتضع معه لبان الاثم ، المكنى ابا البركات ، على ان نشزا عنه
وعقاه ، وقبضا عليه واوثقاه ، واقراه من قلعتهما بحيث يقر العتاة ، وتماقب
الجناة ، ثم اتبعنا ذلك باستحلال دمه ، وافاضة مهجته ، غير راعيين فيه حق الابوة ،
ولا حانيين عليه حنو البنوة ، ولا متذمين من الاقدام على مثله ممن تقدمت عند
سلطانته قدمه ، وتوكدت اواصره وعصمه ، ولا راحيين له من ضعف شيخوخته ، ووهل
كبرته ، ولا مصغيين الى وصية الله اياهما به ، التي نصها في محكم كتابه ، وكسررها
في آية وبيناته ، اذ يقول : * اشكر لي ولوالديك الي المصير * (١) . واذ يقول :
* وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * (٢) . فبأى وجه يلقي الله قاتل والد حبيب

(١) سورة لقمان (٣١) : ١٤ .

(٢) سورة الاسراء (١٧) : ٢٣ و ٢٤ .

قد امر الا ينهره ؟ وبأى لسان ينطق يوم يسأل عما استجاز به فيه وفعله ؟
تالله لو ان بمكانه عدوا لهما قد قارعهما الذحول وقارعهما عن النفوس
لقبح بهما ان يلوما ذلك اللوم عند الظفر به ، وان يركبا تلك الخطاة الشنعاء
في الاخذ بناصيته .

ولم يرض فضل الله بما اتاه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بان يتبع
اكابر اخوته السالكين خلاف سبيله ، المتبرئين الى الله من عظيم ما اكسب ، ووخيم
ما احتقب ، لما غضبوا لأبيهم ، وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم ، فقبض على محمد
بن ناصر الدولة حيلة وغيلة ، وغندرا ومكيدة ، ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار
الله له فيها بان اصاره من فناء امير المؤمنين ايد ، الله الى الجانب العزيز ، والحرز
الحريز ، وان اجرى الله عز وجل على يد الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته ابي
البركات ، التي لقا الله فيها نحمه ، واتلف نفسه ، وصرعه بعقوقه ونخبه ، وقنعه
بعاره وخزيه ، وهو مع ذلك لا يتعظ ولا يتنزع ، ولا يقلع ولا يزدجر ، اصرارا على الجرائر
التي الله عنها حميه ، وبها طليعه ، والدنيا والآخرة . مرصدتان له بالجزء المحقوق
عليه ، والعقاب المسوق اليه .

واعظم من هذا ايد الله امير المؤمنين ، خطبا ، واعسر مسلكا ولجبا ،
ان من شرائط العهد الذي كان قد عهد اليه ، والعقد الذي عقد له ، والضمان المخفف
مبلغه عنه ، المأخوذ عفوه منه ، ان يتناهى في ضبط الثغور ، وجهاد الروم ، وحفظ
الاطراف ، ورم الاكشاف ، فما وفى بشي من ذلك ، بل عدل عنه الى الاستئثار بالاموال
واقطاعها ، واحرازها في مكائنها وقلاعها ، والظن بها دون الاخراج في وجوهها ،

والوضع لها في حقوقها ، وان تراخى في امر عظيم الروم مهملاً ، واطرح الفكر فيه مغفلاً ،
 حتى هجم في الديار ، واثار الآثار ، ونكى القلوب ، وابكى العيون ، وصعد الأكباد ،
 واجر الصدور ، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارىء لكتاب الله اذ يقول :
 ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل
 الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى
 بعهده من الله فاستبشروا بهيعةكم التي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) .
 بل صدق عن ذكر الله لاهياً ، وعدل عن كتابه ساهياً ، واستغسغه ذلك البيع والعقد ،
 وتنجزه الوعيد والوعد ، ولاطف طاغية الروم ، وهاداه وماراه ، واعطاه وصانعه بمال
 المسلمين ، الذي ان سلم دينه ، وصح يقينه ، ان ينقذه في مرا بطيهم ، ويذب به
 عن حريمهم ، لا ان يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهته بالنقل الى عدوهم ، وادخل
 الوهن بذلك عليهم . وقاد اليه من الخيل العتاق ما هو عون للكفار على
 الايمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما اتخفه به الخمر التي حظر
 الله عليه ان يشربها ويسقيها وتعبد به بان يجتنبها ويجتوبها ، وصبان ذهب ما غمها
 له ، وتغرب بها اليه تقربا قد باعده الله فيه عن الاصابة والاصالة ، وادناه من
 الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله ، او بطريق من بطارقه ، فأما فشله
 عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته ، ففقد الذي امره الله به في قوله : ﴿ يا ايها

الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا
ان الله مع المتقين ﴿ (١) ﴾ . واما ما نقله من خيل من ديار المسلمين الى ديار
اعدائهم فتغير قوله عز وجل : ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (٢) . واما اهداؤه الخمر والميلان فخلاف
عليه تبارك وتعالى اذ يقول : ﴿ انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس . من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (٣) . كل ذلك عناداً لرب العالمين ،
وطمسا لاعلام الدين ، وضناً بما يحامى عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المشبر
من الآثام ، وقد فعل الآن بي وبالعساكر التي معي ومن يضم من اولياء امير المؤمنين ، اطال
الله بقاءه ، الذين هم اخوتهم وصحبته ان كان مؤمناً ، وانصاره وحزبه ان كان موقناً ، من
توعير المسالك ، وتخريق العروب ، وتضييق الاقنات ، واستهلاك الازواد ، ليوصل اليها الضرر
ويلحق بنا الجهد ، فعل العدو المبين ، المخالف في الدين ، فهل يجتمع في احد من
المساوي ، ايد الله امير المؤمنين ، ما اجتمع في هذا الناد العائد ، والشارد
الشارد ؟ وهل يطمع من مثله في حرق يقضيه ، او فرض يؤديه ، او عهد يوعاه ،
او ذمام يحفظه ، وهو لله عاص ، وللامامة مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلا

(١) سورة التوبة (١) : ١٢٣ .

(٢) سورة الانفال (٨) : ٦٠ .

(٣) سورة المائدة (٥) : ٩٠ .

والله هو الحقيق بان تثنى اليه الالة ، وتشعر نحوه الالة ، وتنصب له
الاصاد ، وترحذ له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابرهم ، ويجب غارهم ، ويصرعه
مصرح الاثيم المليم ، المستحق للعذاب الاليم ، ويغي الى الحق افاءة الداخل فيه
بعد خروجه ، العائد اليه بعد مروقته ، التائب النيب ، النازع المستقيل ، فيكون حكمه
شبيها بحكم الراجع عن الردة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم كنا لولا ان يهدانا ، ووقف بنا على السبيل المنجية لنا ، والمقاصد
المفضية الى رضاه ، البعيدة عن سطاء ، والحمد لله الذي اعز امير المؤمنين بالنصر
واعطاء لواء القهر ، وجعل اولياءه العالمين الظاهرين ، واعدا ، السافلين الهاططين ، وهناء
الله هذا الفتح ، ولا اخلاء من اشكال له تقفوه ، وتتبعه ، وامثال تتلوه ، وتشفعه ، واصلا
فيها الى ما وصل فيه اليه من حيازته مهتسا لم يسفك فيه دم ، ولم ينتهك محرم ، ولم
ينل جهد ، ولم يمس نصب ، انهيت الى امير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، ذلك ، ليضيف صنع
الله فيه ، الى السالف من عوارفه عند ، واياديه ، وليجدد من عكره جل وعلاء ما يكون
داعيا الى الامة والمزيد ، مفضيا للعون والتأييد ، ان شاء الله . وكتب يوم الجمعة
لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

* وكتب عن المطيع لله رحمه الله

الى ركن الدولة ابي علي بخير اسر المستنق

سنة اثنتين وستين وثلاثمائة (١)

* اما بعد ، فالحمد لله ذي المنة والطول ، والقدره والحول ، والغلبه والصول ،

المنفرد بكبريائه ، والمنعم على اوليائه ، المنتقم من اعدائه ، رافع الحق ومعليه ، وقامع

البطل ومرد يسه ، ومعز الدين ومد يله ، ومذل الكفر ومذيله ، المنزل رحمته على من جاهد

في طاعته ، المحل سطوته بمن جاهر بمعصيته ، المتكفل بتأييد حربه حتى يظفر ، وخذلان

حربه حتى يدحره ، الذي لا يفتنه الهارب ، ولا ينجو منه الموارب ، ولا يعيبه المعضل ، ولا يعجزه

المشكل ، ولا تهبطه الشنال ، ولا تؤوده الاثقال ، الواحد الذي لا شريك له ، الفرد الذي

لا قرين معه ، الذي المفتر اليه ، القوي المعتمد عليه ، بالغ امره بلا مؤازر ، ومضي حكمه

بلا مظاهر * ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين * (٢) والحمد لله الذي اختار لنا الاسلام

دينا وآثره ، واظهره على الدين كله ونصره ، وشرعه شرعا لا ينسخ ، وعقده عقدا لا يفسخ ، وجعله

حقا لا يدحض ، وامره امرارا لا ينقض ، وقضى له بمعز المرافقين وذل المناققين ، وظهر المعاضدين

وشهر المعاندين ، واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم من اكرم المناسب ، واجتباه من اشرف

(١) رسائل العاين ، ص ٦٤ - ٧٥ ، وانظر تفاصيل الحادثة في مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٩ و ٣١٢ - ٣١٣ وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٥٩ - ٦٠ ، وفي التوحيد ، الامتاع (ج ٣ ، ص ١٥٠ - ١٥٩)

(١٥٩) ذكر لسما سبق اسر المستنق من الفتنة في بغداد ولقاء العلماء لاختياره ، والمستنق قائد بيزنطي مسؤول عن الاغارة على الدولة الحمدانية ، يسمى في بعض المصادر : ابن الشمشيق واسمه جون زيمستيكيس ، (عن حديث للدكتور احسان عباس) .

(٢) سورة غافر (٤٠) : ٦٤ و ٦٥ .

المحاند والمناصب، واستخلصه من اسرة هاشم، وفضلته على جميع بني آدم، وايدته بالملافة
 المقربين وبعثه رسولا الى العالمين، فأدى امانة ربه مخلصا، وصدع برسالته مبلغا مخلصا .
 واستنقذ هذه الامة من الغواية، وعرفها طرق الهداية، وسلك بها سواء المحجة،
 ودعاها الى الحق باوضح حجة، وعدل بها عن عبادة الاوثان الى طاعة الرحمن،
 وعن دين الشيطان الى ارشد الاديان، فأصبح الناس على التعاطف والائتلاف عاكفين،
 وعن التهاجر والاختلاف عازفين، اخوانا في ذات الله متوازيين، واقربا في السمي لرضا
 متضافرين، يرمون اعداءهم عن يد وساعد، ويرصدون لهم ارمادا رجل واحد، نعمة من الله
 اسبغها عليهم . وموهبة ازلها اليهم، اذ يقول جل جلاله وعظمت كبرياؤه : * واذكروا
 نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا
 حفرة من النار فأنقذكم منها * (١) . والحمد لله الذي برأ امير المؤمنين من شجر النبوة الطيب،
 وذراه من عنصرها الخالص المذهب، وحباء بفضيلة الامامة، ورداء الكرامة، وسواء منازل
 اسلافه الطيبين، وحازلهم مواريثهم اجمعين، واهله لعظيم ما استرعاه، واعانته على
 الاستقلال بما استكفاه، وافترض طاعته على عباد، وخلقه، وانهمضه فيهم بتأديتوا جبهه وحقه،
 واختصه بأمد في الخلافة اطاله، ومدي قات به نظراء، واشكاله، وحبب اليه جواد العدل المنجية،
 وجنبه عوادل الجور المردية، فالدهما بسياسة ساكنة، والرعية برعايته آمنه، والفتوح في ايامه
 متصلة متقاطرة، والذنائم على المسلمين ببركته دارة متواترة، وقد كنفه الله منذ منحه فضيلة هذه الآلاء،
 وحمله اوق هذه الاعباء منك، كلاك الله، ومن ذوبك وولدك وولد اخيك بركن لدولته
 لا يتزعزع ولا يتضعع، وعقد لا يفت فيه، ولا توطأ نواحيه، وعز لا يخام ولا يرام، ومؤيد لا يعجز

ولا ينكل ، وعمدة لا يضعف ولا يفشل ، فرايات امير المؤمنين ابن توجهتم بها منصوره ،
وجيوشه انى صرفتموها ظافرة موفورة ، وعوائد الله عليه بكم وعلى ايد بكم جارية ، وفوائد
اليه ببركتكم ويمنكم متوافية ، وانست حفظ الله النعمة فيك تسنخ تلك الارومة وعظيمها ،
وعيد تلك الجرثومة وزعيمها ، قد انبت خطيها وشيجك ، وقوم اغصانها تخريجك ،
وتشعبت شعبها من اصولك ، واحتدت فروعها على تشيلك ، وناب عز الدولة ابو منصور
مولى امير المؤمنين امتح الله به عنك حرم الله فيك النعمة وعن شيخه معز الدولة ابي
الحسين ، تولاه الله باوسع الرحمة ، اتم نيابة واقاها ، وخدم امير المؤمنين في مهمه
اوفى خدمة واشفاها ، لا يذخره نصحا ولا يألوه جهدا في ضبط الثغور وسد ها ، ورم
الامور وشدها ، وترتيب الاحراس بمراكزها ، وتسريب البعوث في مقاصدها ، ومجاهدة الكفار
ومقارعتها ، ومناخلة الاعداء ، ومدافعتها ، واصلاح البلاد وعمارتها ، ورعاية الرعية وسياستها ،
يسافر رايه وهو دان لم يرح ، ويسير تدبيره وهو شاق . لم ينزح ، يتناول العالي بثاقب حزمه ،
ويقتصر الهضاب ببعيد همه ، ويصيب الاغراض بصائب سهمه ، ويطبق المفاصل بصواب
عزمه ، والله يمتنع امير المؤمنين بك وسه ، ويدافع له عنك وعنه ، فقد ارقدتما طرفه بيقظكما ،
وارغدتما عيشه بحفظكما ، ووصلتما ايام دعت به ايكما ، واطلتما زمان راحت به بنصبكما ، ولا
يخليه فيكما وفي اهليكما ، من نعمة بعد ها الاولى من نعمه عليه ، ومنحة يعتد ها العظمى من منحه
لديه ، بلطفة وعطفه ، وجوده ومجده .

وقد عرفت، احسن الله الولاية فيك، ما كان من عظيم الروم لما تطاول بواسطه مقام
 عز الدولة ابي منصور مولى امير المؤمنين، رعاه الله، وثقته ببعد المسافة على
 ابي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة عامل امير المؤمنين في الاستصراخ والاستنجد، وطول
 الشقة في الاستنصار والاستمداد، وانتهازه هذه الفرصة، واهتباله هذه الغرة، ومسيره في
 العدد الجم من الكفار، وتناهيه في الاحتشاد والاستكثار، وتوغله في دار الاسلام الى
 نصيب من، وايقاعه، وتكايته بمن بها من المسلمين والمعاهدين، ووردت في اثر ذلك
 كتب ابي تغلب الى امير المؤمنين والى عز الدولة مولا، وحفظه الله وتولاه، بشكوى ما نزل
 به وحل بساحته، والتماس مدد يزيد في عدته ومنته، فأهم امير المؤمنين ما ورد منه
 طويلا، واقلقه شديدا، وعثته على استقدام عز الدولة، كلاً، والله، والجيوش التي يرسمه،
 نصره الله، فثنى عنانه اليها مسرعا مبادرا، ولبى دعوته مجيبا مثابرا، وعاد الى مكانه
 من الخدمة، ومقره من الحضرة، وامثل امير المؤمنين في انجاد ابي تغلب، بجمع
 كيف من الرجال الذين يصلحون للقاء الروم، وبلا بطل المختارة من طوائف الاعراب والاكراة، فتوافت
 هذه الجموع اليه، وتكاثر لديه، واتفق والمجردون من الحضرة، على استنفاد الوسع والنصرة، وتوكلوا
 جميعا على رب العالمين، واستنجدوا بشعار امير المؤمنين، واثروا في الطغاة الكفرة، والبناة
 الفجرة، اثرا بعد اثر، وظفروا بهم ظفرا بعد ظفر، الى ان ختم الله بورود الكتب مقتضا
 فيها حال غزاة بعض اصحابنا بنواحي موشر وطرون وانهم وردوا منها بلادا قد اغتر
 اهلها بوعورة سالكيها، وخشونة مناهجها، وظنوا ان الامد في بلوغها بعيد، والوصول
 اليها شاق شديد، فادال الله منهم وجعل الدائرة عليهم، فملكوا قسرا وقهرا، وبولغ

فيهم قتلا واسرا ، وامتلات ايدي المسلمين من السبي والرجال ، والدواب والبغال ،
والاموال والاغال ، والغنائم والافعال ، وانصرفوا غانمين سالمين ، والحمد لله حمد
الشاكرين ، وان عسكرا لاعداء الله خرج مع عدة من عظامهم المعروفين بالزراورة السى
حصن للمسلمين بيد ليس وسميرام قد كان شحن بمن يحميه ، ورتب فيه من الرجال من
يكفيه ، فلما نازلوه ، واستحكم طمعهم فيما حاولوه ، نهى لهم جميع اولئك الرجال ،
واستعانوا بالله ذى الجلال ، فرزقهم النصر عليهم ، وقتلوا عددا يفوت الاحصاء منهم ، ولله
الطول ومنه العون ، وتواترت بعد ذلك على ابي تغلب والمنفذين اليه اخبار عسكر ببطن
هنزيط ونواحيه ، ومعبر الفرات وما يليه ، وذكر كثره عدد ، وعدد ، وعظم حشده ومدده ،
فأنفذ اخاء هبة الله بن ناصر الدولة في معظم الرجال الذين امد بهم عز الدولة ،
رعاء الله ، ان كانوا اقوى تلك الطوائف المجتمعة لديه ، واولاها بعادة النصر والظفر
عليه ، وفيمن انضوى اليهم من قبائل الاقرب وصناديدها ، وفناك الاكراد وصعاليكها ،
وساروا بصدور منسرحة ، وآمال منسححة ، ووردوا ظاهرا آمد يوم الثلاثاء لثلاث ليال بقيت
من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فعرفوا صحة خبر الدستيق لعنه
الله وحصوله على اقرباء الدروب في خمسين الف رجل منهم عشرون الفا من المدججة
وذوى المراتب المقدمة ، وتلوم اصحابنا بها يريحون ، والكفرة على مسافة يوم منهم
مقيمون ، مرة تقدم بهم الآجال ، ومرة تحجم بهم الاوجال ، ثم تدانى الفريقان ، والتقت

حلفت البطان في يوم الجمعة الذي ختم الله به شهر الصيام، وختم فيه بالظهور للإسلام، فثبتت الطغاة اغترارا بسوقور عدد هم، ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم، واخذ الاولياء منهم بالمخنق، وصد قوههم القتال في المعترك الضيق، فلم استعمرت الملحمة، وعلت الغنمة، ودارت رحى الحرب، واستحرق الطعن والغرب، واهتجرت سمر الرماح، وتما فحت بيض الصفاح، وتداعى الاولياء بشعار امير المؤمنين المنصور، وتنادى الكفار بالويل والثبور، فنكسوا على اقدامهم مجددين في الهزيمة، واعتدوا الحشاشات لو سلمت لهم من اعظم الغنمة، واستلحتهم السيوف، واحتكت فيهم الحنوف، واخذ المسلمون منهم الثار، وعجل الله بارواحهم الى النار، واسر بعد قتل السوف منهم في المعركة الدمعق رئيس عساكرهم وقائدها، ومد بسر حروبهم ومرتبها، وما اخذ المسلمون قبله مستقما، وذلك من غرائب النعم التي بانست وتوالت في ايام امير المؤمنين طلقا ونسقا، وحصل معه المعروف بابن البلنطس وهو طريقه في الرقاسة، ورسل في السياسة، وجماعة من البطارقة والزراوة والاراخنة والطراخنة قد اذلهم الله بوثق الاسر، واذاقهم وبال الكفر، وافاء على اوليائه الصالحين من الخيل والسواد والاسلحة والاسلاب، ما ازدادت به قوتهم، واهتدت معه شوكتهم، وانهمس اهل الثغور في جميع غلاشهم مستبشرين، وانتشروا في مسالكهم ومعاشهم آمنين مطمئنين، ونفذ كتاب امير المؤمنين الى ابي تغلب بن ناصر الدولة، وكتاب عز الدولة ابي منصور، تولاه الله، واليه والى من كان انجده بهم، بالاحساد على ما علموه سالفاء، والارشاد الى ما يعملونه آنفا، وان يتناهاوا في التوثق من عدو الله المستق، ومن قرينه ابن البلنطس، والوجوه المأخوذون معهم المأسورين بأسرهما، وانفذ رؤس من قتل من الاكابر ودون من

يفوت الاحصاء من الأصغر ، ففعلوا ذلك ، وورد مدنية السلام من هذه

الرؤوس العدد الكثير الذي امتلأت به العيون قسرة والعدور شفاء .

فالحمد لله الذي أنجز وعده ، وأعز جنده ، وجعل رايات أمير المؤمنين

منصورة وعداته مقهورة ، وهو المسؤل اتمام ما أسدى من عارفة ومنة ، وأسبغ ما

أولى من موهبة ونعمة ، أعلمك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ - حفظك الله - بحظك

الوافر منه ، وتضرب بسهمك الفائز فيه ، إذ كان نتيجة تدبير عز الدولة ، امتع

الله ببقائه ، الذي فضله منسوب اليك ، وجمال اثره عائد عليك ، لتتقدم بأشاعتيه .

وإذا عنته والتحدث به ، وأفاضته ، والكتاب بشرحه إلى الأعمال التي تليك ، والأطراف المتصلة

بنواحيك ، فيشترك الخاص والعام في الجذل به ، ويستسوى القاصي والداني فسي الابتهاج

له ، إن شاء الله .

"وكتب عن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه

عند ظفره بوزنها بن وند آخر شينذ العاصي عليه بالاهواز (١)
 "أما بعد ، فان احق النعم بان يلقي ضيقها العصا ، وتستقر به النوى ،
 ويمتوطن عاكفا ، ويطمئن محالفا ، نعمة قرنت بالشكر ، وجنبت الكفر ، وتلقيت بالارتياح
 والاستدامة ، وتنوولت بالتأنيس والاستمالة ، وصادفت كقوا مطبقا لحملها ، وواليا حقيقا بمثلها ،
 وناهضا مستقلا بأعبائها ، وناشرا مشيا بالاشياء ، فثبت الله عند اطنابها ، ومكن لديه اسبابها ،
 واضفى عليه ملابسها ، وساق اليه نفائسها ، وعقد له بها لواء الظفر اين يمد ، عليه رواق النصر
 حيث خيم ، والله سبحانه يقول : * ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور * (٢) .
 وان اخلقها بان يأبى زورها المقام ، وينبوع الدوام ، وينعب غرابه بالزيال ، وتحدي ركائبه
 بالانتقال ، نعمة وقعت عند مسي لجوارها ، جاهل بمقدارها ، عبي بحراستها ، ملي باضعتها ،
 فاتخذها اكبر اعوانه على كيد سوطيها ، واحصن جنته على حرب سديها ، غافلا عن فادة الله
 الجارية ، بتزعمها عن ملك موحش سبيله ، واتبع مغل دليله ، وتعويفه منها بشعار العار
 والشنار ، وجلباب المذلة والصغار ، فلا يلبث ان يصبح مترديا برداء بنييه ، مقتنعيا
 قناع خزيه ، مأخوذا من مأمنه وحزره ، مستنزلا عن نخوته وعزه ، مأفلا عرشه
 بعد السوء ، مخفوا عماده بعد العلو ، مهتوكا حجابيه وذراه ، مستباحا حريمه وحماه ، مستمرا ما
 كان استحلاه ، مستويا ما كان استمراه ، كايما ليديه وفمه ، مضيا الى عواقب حسرتيه وندمه .

(١) مسائل الصابي ، ص ٤٣ - ٦٣ وانظر الحادثة في مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٦٦ - ١٦٦

وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٥١٤ - ٥١٦ .

(٢) سورة الشورى (٤٢) : ٢٣ .

عائرا لا يستقيل ، سقيما لا ييل ، كسيرا لا ينجبر ، مضيا لا ينتصره قد حقت عليه
كلية الله ان يقول : * ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد * (١) ، وان يقول
عز وجل : * ووجدوا ما عملوا حاضرا وريك لا يظلم احدا * (٢) . فالحمد لله الذي نصب لنا معالم
الهداية ، وجنهننا مجاهل الغواية ، وجعلنا من العارفين بنعمه ، الشاكرين لنعمة ،
المستحقين لمزيد ، المعزودين بتأييده ، وعصمنا من مراكب اهل البغي المزلية
لاقدامهم ، الجالبة لحماهم ، المذلة لآبائهم ، الصارعة لجنوبهم ، الصائرة بهم الى العذاب
الاليم ، والحال الذميم ، وسكنى الجحيم ، وشرب الحميم . والحمد لله الذي اعلقنا من طاعة
امير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، بالعروة الوثقى ، والعصمة الكبرى ، والسبب المتين ،
والحمل الامين ، والكهف المنيع ، والمحل الرفيع ، وقرن مشايعتنا بمشايعته ، ومبايعتنا بمبايعته ، حتى
صار ولينا ، وليه ، وعدونا عدوه ، وحرينا حربه ، وحزينا حزنه ، والقريب منا قريبا منه ، والبعيد
عنا بعيدا عنه ، فما يلسوق بجانبنا لا يند ولا يعوذ بعقوتنا عاقده الا كانت عليه يد من
الله كائفة واقية ، وعين كالثة راعية ، وكانت السلامة له مضمونة ، والعاقبة عليه
مأمونة ، ولا ينجم بمنازتنا ناجم ، ولا يعزم على مبايئتنا عازم ، الا قطع الله دابره ،
وجب غاريه ، وكسور شمس ، وازهق نفسه ، وطمس نوره ، واظلم ديجوره ، وكانت دعائمه
مخفوضة ، ومراثره منقوضة ، والهلكة عليه مكتوبة ، واللعنة به معصومة ، تكرمة من الله
بها علينا ، واحسن فيها اليانا ، وحملنا اوق شكرها ، وطوقنا طوق فخرها ، وآثرنا بغفلها

(١) سورة آل عمران (٣) : ١٨٢ وسورة الانفال (٨) : ٥١ .
(٢) الآية ٤٩ من سورة الكهف (١٨) تقول : * ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ريك احدا * .

على كل حاسد لعين ، وعدو مبين ، وان الله بحكمته الباهرة وقوته القاهرة ،
ومشيئته النافذة وعزيمته الماضية ، خلق الخلائق من طينة واحدة ابتدعها
على صور شتى اخترعها ، فبصر حسان على مثال ، ولا راجع الى استدلال ، ولا محتاج
الى معين ، ولا معترض بقرين ، ولا آخذ بتعريف معرف ، ولا مؤتم بتوقيف موقف ، واختص
منها الانسان بالعقل الذي هداه بعد الضلالة ، وفقهه بعد الجهالة ، واهله
به لحمل تكليفه ، والتصرف مع تعاريفه ، والالتزام لاوامره ، والازدجار لزواجره ، والاستحقاق
لثوابه او عقابه ، ورحمته او عذابه ، وهو مطلع من كل نفس ذراها ونسمة برأها ، على
طاعة مطيعها ، وراخاعة مضيعها ، ونسك ناسكها ، وفك فاتكها ، غير متمنع مع علمه بخواتم
العيون ، وخفايا الصدور من اعداء النعمة الى العاكر والكافر ، واقرارها عند البر والفاجر ،
ابتداء بالمنة ، واتماما للموهبة ، وايجابا للحجة ، وتأكيذا للتوثقة ، وليجزى كالا منهم عن
بينة بما كسب ، وبصيرة بما احتق ، ولما فعل ذلك علام الغيوب ، وسيطر القلوب ، الذي لا
تحتجب عليه الضمائر ، ولا تنطوى دونه السرائر ، فلا تثريب علينا في ايداع الحسنه عند من
نظن به شكرها ، وتقدر فيه حفظها ، وليس لنا ما لله من علم البواطن الدفينة ، والدخائل
الكبينة ، التي لم يوازه في ادراكها مواز ، ولم يساوه في الاحاطة بها مساو ، فان اصبنا
بالهنيمة طريق المصنع ، واود عناها عند خير مستودع ، فقد اصبى سهمنا ، وانجح سعيننا ،
وصدقت مخيلتنا ، وسلمت ذخيرتنا ، وان خاب حدسنا وكذبنا حسنا ، واخطأت فراستنا ،
وضلت دلائلنا ، فالله يظفرنا بمن شد عنا ونقى ، ويمكننا من ناصية من اعتدى ولمضى ، ويجعل
كلمتنا عليه العليا ، ويدنا فوقه الطولي ، ويعوضنا من تقديرنا فيه المعكوس ، وتأملنا

المنكوس، وان يحل به نعمة من نعمة، وقارعة من قارعة، يضحى بها عبادة
لنظرائه، وعظمة لقرنائيه، فيصلحهم الله لنا بفساده، ويجمعهم بشتاته وانفراد،
ويبصرهم بعما، وينجيهم براد، * ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * (١)
وكان الغامط لانعامنا، الجاحد لاحساننا، المتردى من ذروة الاعتناء، الهاوى في هوة
معصيتنا، الخالع رقة ذمتنا، النازع جنة معايقتنا، روزبهان بن ونداخرشيد، تصنع
عندنا في قديم امره بالولاية، وتتفق بالكفاية، واظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة
وكدحه وسرابا لامعا من وفائه ونصحده، وهو يدب الضراء ويسر حسوا في ارتقاء، ويوكتي
على الغر، عبابسه، ويحنو على النكت، خلوصه وحجابيه، ولا يسدى لنا بادية وفاسق، الا
عن خافية نفاق، ولا يطلع طالمة وداد، الا عن خبيثة عناد، ولا يبرز في شيمة من شيم
التقرب منا، والتوصل الى قلوبنا، الا كانت غطاء، على حيلة بعملها، او غيلة يرمد لها،
وغشاء على فرصة يتتهزها، وغرة يهتبلها، ونحن نحمل امره على ظاهره، ونظن ظاهره
مثل حاضره، وباطنه مثل عالنه، بل كلما زدناه احسانا وامتنانا، زدنا اليه سكونا
وركونا، وكلما ارتقيناه به الى منزلة ورتبة، ارتقيناه فيه الى مثلها من انسه وثقة،
حتى استبطناه من الحضيض الاوهد، الى السناء الامجد، وجذبنا بضبعه من المسقط

المنحط، الى المرفع المشتط، وانتهينا في الاناقة بقدره، والاشادة بذكوره، والتفخيم
 لأمره، والتقديم لقدمه، الى الغاية التي لا تسمح بها نفس باذل، ولا تسمو اليها
 همة آمل، فلما عز بعد الذلة، وكثر بعد القلة، وبعد صيته بعد الخمول، وطلع
 سعده بعد الافول، وجمت عنده الاموال، ووطئت عقبه الرجال، وتضرمت بحسده جوانح
 الاكفاء، وتقطعت بمنافسته انفاس النظراء، نزت به بطنته، وادركته شقوته،
 ونزغ له شيطانه، وامتدت في الغي اشطانه، فنصب اشراكه وجاثله، واعمل مكايده
 ومخاتله، وجعل المدخل الى اريه، والمسلك الى غرضه، ان تصدى لمقارعة عمران (١) وضمن
 ذلك اوكد ضمانه، وزعم انه لجاورته اياه في اعماله، ومقارنته له في اوطانه، قد اطلع
 على ما لم يطلع عليه غيره من عوراتيه، واهتدى الى ما لم يهتد اليه سواء من غراتيه
 وموه بأباطيله، وتماذى في اذاليله، وقرب في مواعيده، وزخرف من اقاريله، فلجبناء الى
 ما طلبه، وآثرناه بما خطب، ونطنابه الامر الذى شرع فيه، ورغب اليه في توليه،
 وضمننا اليه العدد الوافر من قوادنا، والجم الغفير من اوليائنا، واطلقنا يده
 في انفاق اموالنا، وتناول ذخائرنا، قبيولا لما اظهر من الحرص، وتأميلا
 لاستئصال ذلك اللص، وزحنا لا نعلم ان الطالب شر من المطلوب، والقاصد اضر
 من المقصود، وانهما في سوء النية ميان، وفي خبث الطوية اخوان، فما زال يناوله
 منازل المطاول، ويزاوله مزاوله الماطل، لتتراخى به الايام، ويتسق له النظام،
 ويصل من مراده الى الانعام والاهرام، وهو يختدع من قبله من الرجال، ويعد هم بكل باطل

(١) هو عمران بن شاهين صاحب البطيحة، انظر اخباره في مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ١١٩
 وابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٨١.

ومحال ويحملهم من طاعته والعصيان لنا وسمايلته والازرار عنا على كل
خطئة عنما هودا هبة دهب هيا هالي ان استمال سفها هم اغترارا واجترارا
واستولى بهم على من مواهم اقتسارا واضطارا وكان ابسو محمد الحسن
ابن فنا خسرو من حصل تحت امره واعتقلته اشراك مكره وكتب الى اخيه اسفار بن
ونداخرشيد المقيم كان في اعمال ضمانه بالا هواز باخراج كوركبير والفتح اللشكري (١) من
القلعة بجند يسابور التي كانتا معتقلين فيها وهما ممن كان الشيطان استغل حزمه واستنزل
قدمه وعرض دمه واطال ندمه فعمينا فيها بواعث الانتقام والسطو واطعنا عواطف
الاغفار والعفو ونفسنا بهما عن افاضة النفوس واقتصرنا في عقوبتهما على ازالة
الجبوس واقررناهما من هذه القلعة بحيث امنا وسكنا واطماننا ووثقنا ففعل اسفار
ما امر به وامتثل ما رسمه له ثم انكأ روزبان عن البطائح بالمساكر ناكسا عن محاصرة
ذلك الفاجر وقدم اليها كتبنا ينقض بعضها بعضها ويخالف آخر منها اولا وبناها
على ذم فعل اخيه والبرائة منه فيه وتصرف تصرف المذكور لنا بحرمانه المستحفظ لمولاته
وادعى من تنكرنا له وتخيرنا عن العناية به واصفائنا الى افساد المفسدين عليه
وايحاسر الموحشين منه دعاوى اتخذها سلما الى المركب الصعب الذي ارتكبه وعذرا في
المنهج الوعر الذي انتهجه فأجبناء جوابا اتبعناه بأشال له لم نأل في جميعها
جهدا شديدا ولفظا شديدا في تسكين نفرتهم والاهابة به الى مصلحته والتوثقة له

(١) كوركبير هو من اكابر القواد خرج على معز الدولة فقاتله واخذ اسيرا وجلس في قلعة رامهرمز
(مسكويه تحارب الامم ج ٢ ص ١١٢ وابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٤٦٩) اما الفتح اللشكري فقد
قلده معز الدولة اعمال تكريت فمال الى ناصر الدولة بالموصل وتقلد تكريت من قبله فقبض عليه
سنة ٣٣٥ واسر في قلعة رامهرمز ايضا (مسكويه تحارب الامم ج ٢ ص ٤٦٩ و ١١١ وانظر ايضا المصدر
نفسه ص ١٢١)

بكل ما اخذ الله على انبيائه الصديقين ، وملائكته المقربين ، من عهد محمد وعقد محسن ، ويعين
غوسه لا مخلص للمخل بها ، ولا فسحة للتأول فيها ، الا نواخذة بجريرة ، ولا تعاقبـــــــــــــــــه
على كبيرة اقترفها ولا صغيرة ، ولا ننقصه من رتبة بلغها ، ولا نبعد عن قرية وصل اليها ، ولا
نلحق به ضياع ، ولا نطلق عليه هضما ، ولا ننصر ضدا له ، ولا نمكن خصما منه ، ولا نفسد العارضة
عنده ، التي انفقنا في اسدائها الاموال ، وخالفنا في اتامها المذال ، ولا نشمت به اعداء طالما اشاروا
فعمروا ، وتنصحوها فأقصوا ، واننا نخفي له عن كل مال انفق واستهلكه ، ونذخر اجحف به واتتهكـــــــــــــــــه ،
ونستأنف به المنهد في الاحسان والصنعة ، والمنزلة الرفيعة ، ثم تكون حاله في نفوسنا اذا حضرنا
بعد النبوة ، ووطى بساطنا بعد الهفوة ، حال من لا يحترضنا ابدا فيه عارض الشك ، ولا نخفي السي
طعن طامن عليه بصدق ولا افك ، وحذرنا عواقب الكفر النازعة للنعم ، وخوفنا معارم البغي
الجاهلة للنعم ، وتلوننا عليه آيات القرآن المبصرة ، وضرينا بقوارعه المندرة ، ودعونا الى التنزه
عن ميسم العاصين ، وعمار المخالفين ، وسوء قاله القاطنين ، واحاديث المتحدثين فأبى له ضعف العقل
والنحيزة ، ولولم الطبع والفريزة ، الا اصرارا على طيشه وسفهه ، واستمرارا في طيغته وهيبه ،
حتى كأن الوعد اغراء ، والارشاد اغواء ، فلما حصل بواسطه هتك حجاب نفاقه ، واظهر مكسونه شقاقه ،
وجاهر بالخلاف ، وظاهر وكاشف بالانحراف ، ورحل الى سوق الاهواز عاملا على الاستيلاء عليها ، ودفع
ابي محمد المهدي ، ادام الله عزه ، عنها وتوافى اليها معه اسفار اخوه ومن معه ، فكتبنا الى ابي
محمد الحسن بن محمد بمقارنته ان استصوبها ووثق من معه بالاستقلال بها ، والانحياز
الى البصرة ان خاف منها ، نكسولا عن اللقاء او عدولا عن الوفاء ، فأخذ في الحزم في تقديم ما كان قبله من

الاموال والانفال والمير والازواد ووجوه اهل البلاد الى البصرة، ونصب ابا العباس
 ليلى بن موسى زعيما لمن كان بالاهواز من الشحنة والرجال، ووقف معه وقوف الابلاء
 والاعذار، فلما احسا منهم بالاسفاف الى الدينثة، والايضاع في الفتنة، وكانوا كالغنم
 السارحة التي لا راعي لها، ~~والاهل السائمة التي لا سائق معها~~، انجذبا الى البصرة،
 ومن تابعهما من اهل البصرة والنصرة، واخرجوا له عن الاهواز بعد ان كان ابو محمد اصفرها
 من كل خير، واقفرها من كل مير، ودخلها الخائن، دخول الكافر الخادر، وتناحرت اليه
 كلاب الغارة الشعواء، وتعايرت اليه ذئاب الصيلم العماء، طمعا منهم في الوصول الى
 ما عنده، واقامة سوق يستنفدون بها حاصله ووجده، وهو يزداد تماديا في غيبه،
 وتناهيها في بغيه، وقبولها من شيطانها العارذ، وعصيانها لنصيحة الراشد، وانحاز اليه
 بالاهواز محمد بن احمد الخوميني عاملنا كان عليها بعد مكاتبة منه لهذا الخائن خان معه
 فيها، وعن مواطاة بينهما تنجز العقوبة بها فقبله واقبل عليه واستوزره وفوض اليه، وكان
 الله قد قضى عليهما بهذا الاجتماع في المعصية، ان يجتمعا في انصرام المدة، وعسكر
 ومن معه بظاهر سوق الاهواز على سمت الطريق التي عليها نسير اليه، وتجاه الجهة
 التي منها نود عليه، فلما تحققت عندنا هذه الالهيارة، واسفرت اوضح الاسفار، حاكمنا
 هذا اللعين الى الله العادل حكمه، السابق في الاشياء علمه، العارف باحساننا اليه،
 وافضالنا عليه، ورفعنا خبيثته، وتشریفنا دينيته، وانه قابلنا مقابلة العبيد الاباق،
 وجازانا مجازاة الفجار الفساق، حين ضلعت عليه ملايئنا، وكرمته مجالسنا، وكلمت لديه
 فواضلنا، وتظاهرت عليه نوافلنا، وقوت يده ايد بنا، وتحاشدت اليه موالينا، وتوجهنا
 نحوه فيمن كان بحضرتنا من العساكر واصناف الغلمان الاكابر والاصاغر، محتشرون

عليه بكفاية الله التي هي اعز نصيره ، ومستهزئين عليه بمعوتها التي هي انجد
ظهيرة ، ووردنا اوائل اعمال الاهواز فوجدنا خواص كل كورة من كورها وعراقسها ،
ووجوه كل ناحية من نواحيها ورعاياها ، على ما ينبغي ان يكونوا عليه من الشغف بموردنا ،
والتجرد في نصرتنا ، والدعاء لنا ، والباينة لعدونا . فلما ايقن باقبالنا اليه
واوجس من اطلالنا عليه ، صار الى عسكر مكرم مرجا عن المواجهة ، ومردا عن
المناجزة ، مظهرا لاصحابه ان طريقنا كان عليها ، وانه سابقنا اليها ، واتمنا الى سوق
الاهواز ، ووضعنا العطاء في الاولياء ، فتشوف اليها من كان استغره منهم بأخذه وتلميق
من كان استجره بخدعه . وخفت ذات يده في الاطلاق ، وانقطعت عن عسكره مادة الاتفاق ،
وعلم ان الامر له مرهق ، والهلا به محقق ، فثنى اليها عنقا قد اعنقت اليها الحنوف ،
وابرقت نحوها السيوف وقد كان ابو محمد الحسن بن محمد ، وابو العباس ليلى بن موسى ،
عاد الى الاهواز ممثلين بالتعجل اليها ، وللحاق بنا ، امرا صدر اليهما منا ، ووكيدا
ورد عليهما من كتبنا ، وثننا رسلنا الى اوليائنا الحاصلين مع هذا الخائن الذين كل منهم
احد الرجلين : اما مسفا الى تناول خطامه ، وعازم على خذلانه واسلامه ، او منلوب على
رأيه ، محام عن جوائسه ، طالب لنفسه فرصة الانسلا ، وخلصه الانتقال ، فاستجابوا الى
الواجب ، واذعنوا بالحق اللازم ، واقاموا خروجا من العذر عندنا ، ولانوا بالمغو والنفرا منا .
واستأمن اليها ابو محمد الحسن بن فنا خسرو مستقيلا من عثرته ، مستفحفا عن جريرته ، فتلقينا
بالاحسان ، وغمرنا بالامتنان ، وثلم الله به جانب العدو ، وابقن بحلول المكروه والسوء ، وافضى الرأي ان
رددنا ابنا محمد الحسن بن محمد الى الباسيان ، لنبعد عن مياصرة الحرب ، ونصونهم

عن مشاهدة الطعن والضرب بعد ان اتت المفاوضة بيننا وبينه على ما استدعينا من اجله ،
وان عدلنا الى قنطرة ارسق حتى ملكنا وعسكرنا من ورائها جلوسا بالمرصاد له ، وضربا بالاسداد
عليه ، واخذنا بمخنقه ، وتضييقا لطرقه ، وكر هو الى سوق الاهواز راجعا ، واقبل منها اليها
سارعا ، والفا دلوف الجاهل بربه ، والذاهل عن رشده ، المركوس في غيه ، المسوق الى
حتفه ، قد اعجبته نفس محبطة العمل ، وفترته أمنية خائبة الامل ، واوردته حجة الاليم ،
ورقة الدين موارد هلكة لا صدر عنها ، واقتحمت به قبح خطة لا انفراج لها ، والله في ذلك كله
ناصرنا وخاذله ، ومظفرنا وقاتله ، ومعلمنا ومسقطه ، ومد ي لنا ومورطه ، اذ كان سبحانه العالم
بان الجنود المطيعة به جنودنا ، والبنود الخاققة على رأسه بنودنا ، وان لنا الثوب الذي
سحبه ، والطرف الذي ركبته ، والدرع التي ادرعها ، واللكمة التي استلحمها ، والعصب الذي
انتضاه ، والسهم الذي امضاه ، وعبرنا القنطرة اليه في خواص غلماننا الاتراك ، ونخب من الديلم
والجيل الفاك ، وذوى صدور منه ومن اصحابنا الخونة حامية ، وقلوب عليهم ملتظية ، وايسد
في جهادهم متفكة ، واقدام الى لقاءهم مستبقة ، فلم تزل الخيل تطرقهم ، والكرير يحقهم ، والجراح
تخنهم ، والقتل يحقهم ، والحرب تذيبهم حرا حديدها ، وجلاد صناديدها ، وترميهم
بكلماتها وابطالها ، وتعركهم عرك الرحي بثقالها ، وسحابة يسوم الاثنين انسلخ شهر رمضان الذي ختم
الله به شهر الصيام ، وعظم بركته على الاسلام ، فلما تراعى الناس هلال شوال ، وكادت تغشاهاهم
غواشي الظلام ، انزل الله نصره على اوليائه ، وشفع لهم وعد بوفائه ، فانهمز الخائن هزيمة قووس الله
بها عرويه ، وفش جيوشه ، وضلل وساوسه ، وابطل هواجسه ، واستلحمت رجاله السيوف ، وحرقتهم
نار الحنوف ، واقتسمتهم الكاره معاعا ايدي سبا ، وبين قتيل مرمل ، واسير مكبل ، وهارب

مفلول ، ومستأمن ذليل ، وكان كوركيس والفتح الشكري ممن جرى عليهم حكم الأمان ،
 واعتلق جبل الذمام ، فدخلا في الجملة دخول التائب النيب ، والراشد المصيب ،
 وتعمدنا سالف وطارف جرائمهما ، وصفحنا عن قديم وحديث جرائمهما ، وانزلناهما منازل نظرائهما
 الشامل لهم فضلنا ، المتمد عليهم ظلمنا ، واتبع سرعان خيلنا عدو الله الهارب منا ، فلحقوه
 وادركوه ، واحاطوا به ، وملكوه ، ويدر اليه من الغلمان من ضربه ضربات اثرت فيه آثارا لم
 تجحف ، وبلغت منه مبالغ لم توغل ، وتباكوا عليه تباك المتنافسين في الأثر ، المتشاحين
 على الظفر ، الى ان اكب عليه ابو الفوارس شيرزيل بن كندر اسن (١) ، فاستخلصه واستحيياه ،
 واستنقذه واستبقاه ، واتانا به اسيرا عقيرا ، خاضعا ضارعا ، بنير عهد يحجز عنه ،
 ولا عقد يمنع منه ، ولا امان يعلق بحجته ، ولا ضمان يطالب بوثيقته ، ووجد احمد بن محمد
 الخوميني صريحا مجتدلا ، طريحا مغفرا ، قد اثخنه ضربة في رأسه ، لم يلبث بعدها الا قليلا
 حتى قضى نحبه ، ولقي باسود صحيفته ربه ، واجلس هذا الفتح العظيم خطره ،
 الجسيم قدره ، وعن سكون الدهماء ، وشمول النعماء ، وعزال اولياء ، وكبت الاعداء ،
 وشغاء الصدر ، وادراك الوتر ، واخذ الشار المنيم ، والظفر بشيطان الفتنة الرجيم ، وتلك
 عاقبة من ظلم وكفر ، وخان وغدر ، ونفى واستكبر ، وعشا وتجبى ، والله تعالى يقول
 فيه وفي امثاله : * وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من
 كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * (٢) .

(١) شيرزيل هذا هو الذي ارسله معز الدولة على مقدمته للحرب . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) سورة النحل (١٦) : ١١٢ .

فالحمد لله رب العالمين الذي لا يضيع اجر المحسنين ، ولا يصلح عمل المفسدين ، ولا
يهدى كيد الخائنين ، هدى الحجج البوالغ ، والنعم السوابغ ، والنقم الدامغ ، جبار الارض
والسموات ، وعالم الجليات والخفيات ، الذي لا ينجقو منه الهارب ، ولا يعجزه الطالب ، ولا يضيئه
ضائم ، ولا يروم مغالبته ، رائم ، واياه نسال ان يصلي على محمد عبده ، ورسوله صلى
الله عليه وسلم صلاة زاكية ، نامية ، دائمة ، راتبة ، منجزة عدته ، رافعة درجته ، قاضية
حقه ، مؤدية فرضه ، وان يدبر لمولانا امير المؤمنين احسن ما خوله ، واولاه ، ومنحه
واعطاء ، من نصرة رايته ، واعلاء كلمته ، واظهار من ظاهره ، وتأيد من ظافره ،
وان يجعلنا من اذا انعم عليه شكره ، واذا ابتلي صبره ، واذا زيد لم ينمط ، واذا
نقص لم يقنط ، والا يخلينا من الكفاية ، وجميل الولاية ، فيما غاب وحضره ، واستشر
وجهه ، ووطنه ، وعلنه ، واحتجز ويرزه ، انه ولي ذلك والقادر عليه ، والمرجو
ليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٤ - " ولم يزل يعمل الحيلة في المفارقة لهم والخلص منهم الى ان يسر الله ذلك واعانهم عليهم بما اوقعه بين اولئك المذلولين من اختلاف الالهواة واختلال الآراء وانتكاث العزيمة والتياث الصريمة فتمزقوا في البلاد كما تمزق الريح رجل جراد ، ولان الاكثر منهم بمواليهم ، والجاتهم الفاقة اليهم ، على غير عهد ولا امان ولا عقد ولا ضمان ، وكتاب امير المؤمنين هذا واعداء الدولة وزعماء الفتنة بين قتيل ومرسل ، واسير مكبل ، وعارب مفلول ، ومستأمن مقبول ، قد نسزعوا سرا بهل الاستكبار ، وادرعوا جلاهب الصنارة ، وايقنوا * ان الله لا يهدي كيد الخائنين ، ولا يصلح عمل المفسدين * (١) .

٥ - " وان يفتح لهم باب ، ويرفع عنهم حجاب ، ويمكنهم من الوصول اليه ، وعسوف مظالمهم عليه ، ويبسط لهم وجهه ، ويلين لهم كفاه ، ويبذل بشره ، ويخفف جناحه ، وان يتفقد الكبير والصغير من امورهم ، ويتكلف الدقيق والجليل من مصالحهم * (٢) .

٦ - " فمن رجع القهقري ، ونسزع وارعهوى ، فالتوبة تنفعه ، والاناوبة تنعشه ، والعفو يسعه ، والحلم ينمره ، ومن دام على لجاجة ، واصر على اعوجاجه ، فجيوش امير المؤمنين تطرقه ، ومساكره ترهقه ، والمعاصم تلفظه ، والمعاقل تعلمه ، والعقبي من كان معه ، والمعبيد من يسرى منه * (٣) .

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ والآية جمع الاجزاء من الآيتين ٥٢ من سورة يوسف و ٨١ من

سورة يونس .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩١ .

٧ - " وكس (١) من قنبر (٢) اطلقنا عليه بازيسا (٣) فخرج الى السماء مخرجاً ،
ولجج في اشروء تلجيجا ، فكأن ذلك يفتصم منه بالخالق ، وكأن هذا استطاعه
من خالق (٤) ، حتى غابا عن النظر (٥) ، واحتميا عن الابصار (٦) ، (وصارا كالغيب المرجم ،
والظن المتوهم) (٧) ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر (٨) الواحد ، فأعجبنا
امرهما واطربنا منظرهما (٩) ، ووردنا المنازل سالمين وولجناها غانمين والنزلة (١٠) مصوبة
للمروب مؤذنة بالمغيب ، والجوف في اطار مبهجة من اصائله ، مرساة (١١) من غلائله " .

- (١) اليتيمة ج ٢ ، ص ٢٥٤ وابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ٩٤ ب - ١٩٥ وابن المعمر ،
لقاح الخواطر ، الورقة ٨٧ ب .
- (٢) في التذكرة الحمدونية ، الورقة ٩٤ ب : " وكان قرياضه قنبرا وفي لقاح الخواطر : " فأبصرنا
فيه قنبرا " .
- (٣) في المصدرين السابقين : " يويؤا " واليؤيؤ : " اصغر من الخاطف ، وهو كالصقر في جميع حالاته ،
وفارقه في ثلاثة اشياء : احدهما ان اليؤيؤ صغير ، والصقر كبير . والثاني ان لون رجلتي الصقر
ازرق واليؤيؤ اصفر . والثالث ان الصقر اذا تفرس لم يتخير عن حاله كثير تغير ، واليؤيؤ اذا
تفرس صار لون ظهره ازرق ، وصدره كلون صدر الشاهين الكرز " . عن عبد الرحمن البلدي ، الكافى
في البيزرة (تحقيق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،
الطبعة الاولى ١٤٠٣ / ١٩٨٣) ص ٦٣ . وانظر ايضا القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٦١ .
- (٤) في التذكرة الحمدونية ، الورقة ٩٤ ب و لقاح الخواطر : " الرازق " .
- (٥) في لقاح الخواطر : " الابصار " .
- (٦) في المصدر نفسه : " الافكار " .
- (٧) ما بين قوسين غير موجود في المصدر السابق .
- (٨) في المصدر نفسه : " الطير " .
- (٩) ما بين قوسين غير موجود في اليتيمة ونقل عن التذكرة الحمدونية ، الورقة ٩٤ ب - ١٩٥ و لقاح
الخواطر ، الورقة ٨٧ ب .
- (١٠) في لقاح الخواطر : " والشمس " .
- (١١) في المصدر نفسه : " شغوف مرساة " .

٨ - " وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وبارة مصيبة ، وسعان غريسة ،
 واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحميد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرف
 بين جد امضى من القدر ، وهزل ارق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع
 للصراب ، الا ان الفعل قصر عن القول لانك ذكرت حملا جعلته بعفتك جملا ، وكان
 المعبد الذي تسبح به لا ان تراه ، فلما ان حضر رأيت كبتها متقاد الميلاد ، من
 نتاج قوم عاد ، قد افنته الدعور ، وتعاقبت عليه العصور ، وظننته احد الزوجين اللذين
 جعلهما نوح في سفينته ، وحفظهما لذريته ، صغر عن الكبر ، وكبر عن القدم ، فبان
 دمايته ، وقصرت قامته ، وعاد ناعلا ضئيلا ، باليا هزلا ، يادى الاسقام ،
 عارى العظام ، جامعا للمعائب ، مشتتلا على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ،
 ومن تأتى الحركة فيه ، لانه عظم مجلد ملبد ، لا تجد فوق عظامه سلبا ، ولا تلقى يدك
 منه الا خشبا ، قد طال للكلأ فقد ، ويعد بالمرعى عهد ، ولم ير القتل الا نائما ،
 ولا عرف الشعر الا حالما ، وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه عن محبتي للتوفير ،
 ورغبتى في التثبير ، وجمعي للولد زاد خاى لغد ، فلم اجد فيه مستقبلا لبقاء ، ولا مدفعا
 لعناء ، لانه ليس بانشى فتلد ، ولا بقتى فينمل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليما
 فيبقى ، قلت : اذبحه ليكون وظيفة للميعال ، واقيمه رطبيا مقام قديس الزال ، فانهدي
 وقد اخبرمت النار وحدت الغفار :

" اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم "

ثم قال : وما الفائدة في ذبحي ولست بذى لحم فأصلح للأكل لان الدهر قد اكل لحمي ، ولا ذى

جلد يصلح للديباغ لان الايام قد مزقت ادمي ولا ذى صوف يصلح للنزل لان الحوادث قد حصت وبرى فان اردتني للوقود فكيف يعز انفي من نارى وليرقي حرارة حجيرى بريح قنارى ؟ فلم يبق الا ان تظالبني بذحل او بيني وبينك دم * ٠٠٠ (١)

٩ - " اسأل الله تعالى مبتهلا لديه ، ماذا يدي اليه ، ان يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من اخواتها بالمالحات الباقيات ، والزائدات الغامرات ، ليهكون كل دهر يستقبله واعد يستأنفه موفيا على المتقدم له ، قاصرا عن التأخر عنه ، ويوفيه من العمر اطوله وابعد ، ومن العيش اعذبه وارغده ، عزيزا منصورا محيا موفورا باسطا يده فلا يقبضها الا على نواحي اعداء وحساد ، ساميا طرفه فلا يفضه الا على لذة غفر ورقاد ، مستريحة ركابه فلا يعملها الا لاستضافه عز وملك ، فائزة قد احه فلا يجيلها الا لحيازة مال وملك ، حتى ينال اقصى ما تتوجه اليه امنيته جامعاً ، وتسمو له همته طامحاً " (٢) .

١٠ - " بل كلما زدنا احسانا وامتنانا ، زدنا اليه سكونا وركونا ، وكلما ارتقينا به الى منزلة ورتبة ، ارتقينا فيه الى مثلها من انسية وثقة ، حتى استبطنا من الخضير الاهد ، الى السناء الامجد ، وجذبنا بضبعه من المسقط المنحط ، الى المرفع المشتط ، وانتهينا في الانافة بقدره ، والاشاد بذكوره ، والتفخيم لأمره ، والتقديم لقدمه ، الى الغاية التي لا تسمح بها نفس باذل ، ولا تسمو اليها همة آمل ، فلما عز بعد الذلة ، وكثر بعد القلة ، وبعد

(١) وفيات الاعيان ، ج ١ ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) البتيمة ، ج ٢ ص ٢٤٦ .

صيته بعد الخمول، وطلع سعده بعد الاقوال، وجمت عنده الاموال، ووطئت
عقبه الرجال، وتضرمت بحسده جوانح الاكفاء، وتقطعت بمنافسته انفس النظراء، ونزت
به بطنته، وادركته شقوته، ونزغ له شيطانه، وامتدت في النفي اعطائه،
فنصب اشراكه وحبائله، واعمل مكايده ومخائله، * (١) *

١١ - " امره بتقوى الله التي هي الصمة المتينة، والجنة الحصينة، والطود الارفع،
والمعان الامنع، والجانب الاعز، والملجأ الاحرز، وان يستشعرها سرا وجهرا، ويستعملها
قولا وفعلا، ويتخذها ردا، دافعا لنوائب القدر، وكففا حاميا من حوادث الخيرة،
فانها اوجب الوسائل، واقرب الذرائع، واعودها على العبد بمالحه، وادعائها
الى سهل متاجحه، * (٢) *

١٢ - الحمد لله، * * * المنعم على اوليائه، المنتقم من اعدائه، رافع الحق ومعليه، وقامع
البطل ومرد به ومعز الدين ومد يله، ومذل الكفر ومذ يله، المنزل رحمته على من جاهد في
طاعته، المحل سطوته بمن جاهر بمعصيته، المتكفل تأييد حربه حتى يظفروه، ويخذلان
حربه حتى يدحروه، * (٣) *

١٣ - " والحمد لله الذي اختار لنا الاسلام ديننا وآثره، واظهره على الدين كله ونصره،
وشرعه شرعا لا ينسخ، وعقده عقدا لا يفمح، وجعله حقا لا يدحض، وأمره أمرا لا ينقض، وقضى
له بجز المرافقين وذل المنافقين، وظهور المعاضدين وثبور المعاندين * (٤) *

(١) رسائل الصابي، ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٤ - ٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٦.

١٤ - " فأدى أمانة ربه مخلصا ، وصدع برسالاته مبلغا مخلصا ، واستنقذ هذه الأمة من الغواية ، وعرفها طرق الهداية ، وسلك بها سواء المحجة ، ودعاها الى الحق بأوضح حجة ، وعدل بها عن عبادة الاوثان الى طاعة الرحمن ، وعن دين الشيطان الى ارشاد الاديان ، فاصبح الناس على التعاطف والائتلاف عاكفين ، وعن التهاجر والاختلاف عازفين ، " (١) .

١٥ - " ولما نزلت بهم النوازل ، وهببتهم الهوابل ، وظلمهم البوار ، واستمر بهم العشار ، وغشيتهم جيوش امير المؤمنين المنوطة بحامي البيضة ، وراعي الحوزة ، عضد الدولة رعاه الله ، ففرقهم فرقا ، واطارهم شققا ، وقسمهم شعاعا ، وايدى سبا ، وانجز فيهم مواعيد الله ، واذاقهم سوء عاقبة ظنوتهم الكاذبة ، وقتل منهم من اذن الله في تعجيله ، وهزم من املى الله له الى غاية تأجيله " (٢) .

١٦ - " ونعود معك الى ذكر الحرب التي انت مجتهد في ان تشب بيننا نارها وتطير شرارها ، فيا ليت شعرنا بأى قدم تواقفنا ورواياتنا خائفة على رأسك ، وما ليكننا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة باصاقتنا تحتك ، وثيابنا محوكة في طرزننا على جسدك ، وسلاحنا مشحون لاعدائنا في يدك " (٣) .

١٧ - " فلم نزل الخيل تطرقهم والكر يرهقهم ، والجراح تتخنم ، والقتل يحققهم ، والحرب تذيبهم حر حديدها ، وجلاد صناديدها ، وترميمهم بكلماتها وابطالها ، وتمركهم عرك الرحى بثقالها ، فانهمز الخائن هزيمة قوفض الله بها عروشهم ، وفرض جيوشهم ، وغلل وساروسهم ، وابطل هواجسهم ، واستلحمت رجاله السيوف ، وحرقتهم نار الحتوف ، واقتسمتهم المكاره شعاعا ايدى سبا بين

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ، البيضة ، ج ٢ ، ص ٢٥١ والعباسي ، معاهد التنصيص ، ج ٢ ،

قتيل مرميل ، واسير مكبل ، وهارب مغلول ، وستأمن ذليل " (١) .

١٨ - " مكان حلوك بفناء " امير المؤمنين مكان الديمة الوطفاء ، غب السنة الشهباء ، والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر وانحسرت الفتن بلألاء جبينك ، ودرت النعم من اخلاف يمينك ، وجرت الامور على سنن الصواب ، واعتدلت بعد التواء واضطرب ، فأحاطت ريقة الطاعة باعناق كانت خالعة لها ، وحسنت الوفا كانت بعيدة العهد بها ، وتقلت الاحكام منها على منهاجها ، وتقويت بعد اعوجاجها في انفراجها ، واطمأنت المضاجع على مهاد العدل والحماية ، ونامت العميون في كنف الذب والكلاية " (٢) .

١٩ - " حتى استطناء من الحضيض الاوهد ، الى السناء الاملج ، وجذبنا بضبعه من المسقط المنحط ، الى المرفع المشتط ، " (٣) .

٢٠ - " نزل به بطنته ، وادركته شقوقه ، ونزغ له شيطانسه ، وامتدت في الغي اشطانه ، فنصب امرائه وجائله ، واعمل مكايده ومخاتله " (٤) .

٢١ - " للنعم شرط من الشكر لا تريم ما وجدته ، ولا تقيم ما فقدته ، وكثيرا ما تسكر الواردين حياضها ، ويحشي عيون المقتسين ايامها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعسبون عن الاستمتاع بنفرتها ، ويكونون كمن اطار طاقرها لما وقع ، ونفر وحشها لما انس ، ولا يلبثون ان يتعزوا من جلبابها ، وينسلخوا من اهابها ويتعزوا منها بالحصرة والغلييل ، والاسف الطويل " (٥) .

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٦ ب .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ ، واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥١ وابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ١٦٠ .

٢٢ - " فانها (النفس) اشارة بالسوء ، صبة الى الخي صادقة عن الخير ، صادقة
عن الرشيد ، لا ترجع عن مضارها الا بالكفائهم ، ولا تنقاد الى منافعها الا بالخزائم ، فمن
كبحها وثناها نجاها ومن اطلقها واهجرها ارداعا " (١) .

(١) رسائل الصابي ، ص ١٧١ - ١٧٢ .